

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01109 6439

03-34870

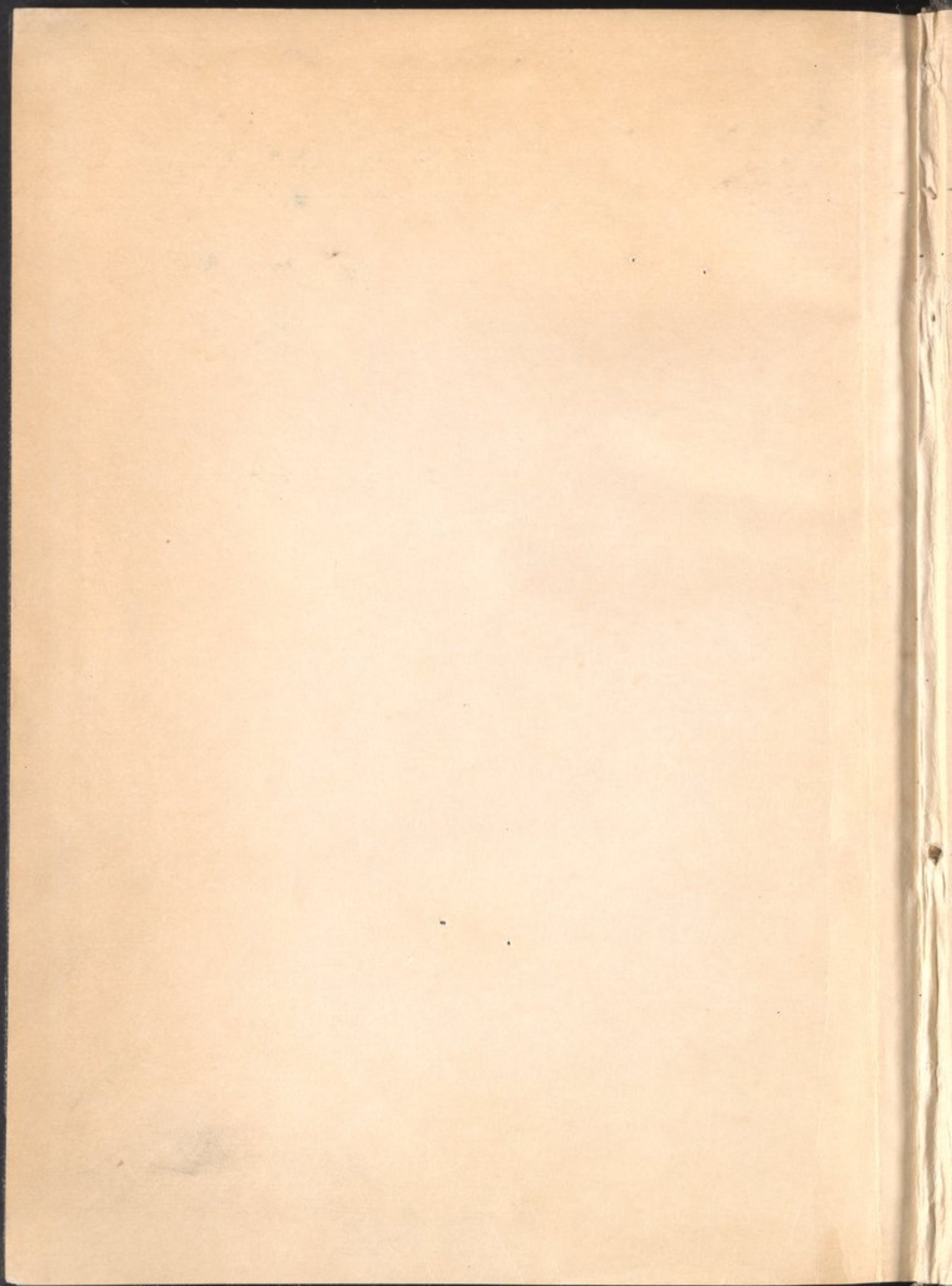
فول 1

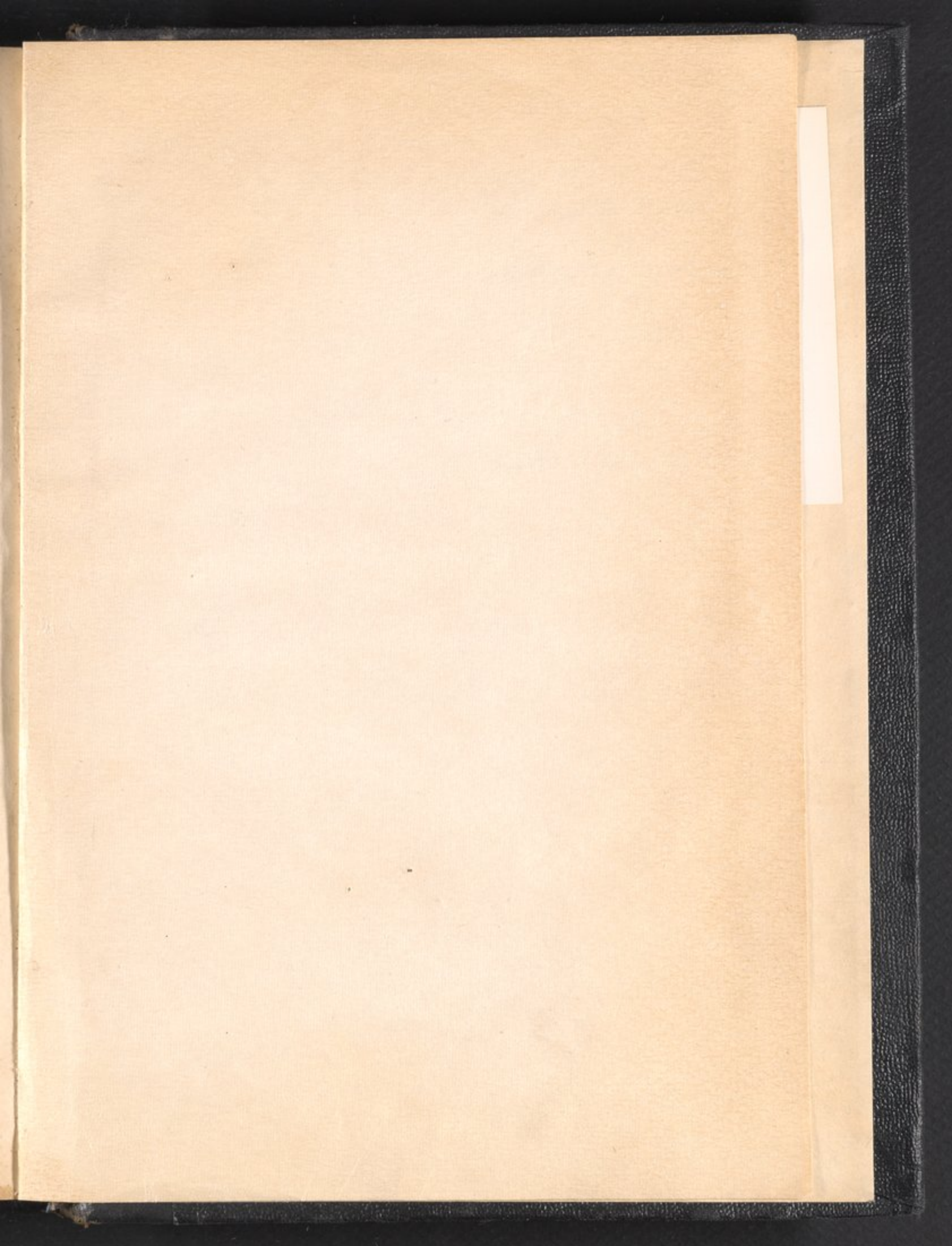


FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة







فِقْهُ اللُّغَةِ

أطراه مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وتقرر تدريسه بجامعة فؤاد الأول

إلى السيد الفاضل
الأستاذ الدكتور عروها
مع خالص التحية
وعميق التقدير
عبد الوهاب

تأليف

الدكتور علي عبد الواحد وافي

دكتور في الآداب من جامعة باريس

أستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

Wafi, Ali Abd el Wahid

Fiqh el lughah

الطبعة الثالثة — مزيدة ومنقحة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

الناشر

لجنة البيان العربي

مطبعة لجنة البيان العربي

PJ

3016

W3

1950

OCLC
60507121

مكتبة
تغلاية

B 13041834
14769517

~~افتح
فوا توب~~

~~٤٠٩
٤٤~~

من ابي عبد الله

٤٠٩
وانى نعه

36575

من مؤلفات الدكتور علي عبد الواحد وافي

- ١ — نظرية اجتماعية في الرق
- ٢ — الفرق بين رق الرجل ورق المرأة
طبعا باللغة الفرنسية ، وحصل بهما المؤلف على شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب بجامعة باريس
- ٣ — علم اللغة (الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة)
- ٤ — فقه اللغة (الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة)
أطراها مجمع فؤاد الأول للغة العربية وتقرر تدريسها بجامعة فؤاد الأول
- ٥ — الأسرة والمجتمع (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة)
- ٦ — المسؤولية والجزاء (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة)
- ٧ — اللغة والمجتمع
صدرت هذه الكتب الثلاثة في مؤلفات « الجمعية الفلسفية المصرية »
وتقرر تدريسها بجامعة فؤاد الأول
- ٨ — الوراثة والبيئة (تقرر تدريسه بجامعة فؤاد الأول)
- ٩ — نشأة اللغة عند الإنسان والطفل (تقرر تدريسه بجامعة فؤاد الأول)
- ١٠ — في التربية (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة)
تقرر تدريسه بدار العلوم العليا
- ١١ — البطالة ووسائل علاجها
نال جائزة المباراة الأدبية لسنة ١٩٣٥
- ١٢ — الاقتصاد السياسي (الطبعة الرابعة ، مزيدة ومنقحة)
- ١٣ — اللعب والعمل
- ١٤ — مواد الدراسة
- ١٥ — رغبات المؤتمر الدولي الخامس للتربية العائلية (ترجمة عن الفرنسية وتعليقات ، بتكليف خاص من وزارة المعارف)

إطراء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

لكتابي « فقه اللغة » و « علم اللغة »

مجمع فؤاد الأول للغة العربية في ١٨ / ٦ / ٤٥

حضرة الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي

عرض على لجنة الأدب في المجمع كتابكم « علم اللغة » وصنوه « فقه اللغة » .
وقد حمدت لكم اللجنة ما بذلتم من جهد في البحث والدرس والاستخلاص .
فقد حوى هذان الكتابان من مختلف مسائل اللغة وعالجها من مشكلاتها ما تمس
إليه حاجة الباحث المتطلع . وقد انتهجتم في التأليف طريقة علمية حقيقية بالتقدير ،
و بسطتم من المعلومات ما يدل على غزارة مادة وحسن إحاطة ، وكان لما أيديتم
أو فننننن من وجهات النظر المتباينة مظهر من استقلال الرأي .
وإننا إذ نشكر لكم هذا المجهود في التأليف ، نرجو لكم المزيد من التوفيق .

وتقبلوا أطيب تحياتي ؟

٤٥ / ٦ / ١٨

رئيس المجمع
(إمضاء) أحمد لطفى السيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

وبعد : فقد عرضنا في كتابنا « علم اللغة » لدراسة النواميس العامة التي تسير عليها اللغات الإنسانية في نشأتها ، وانتقالها من السلف إلى الخلف ، وانشعاب الأصل الواحد منها إلى شعب وفروع ، وتكون مجموعاتها وفصائلها ، وصراعها بعضها مع بعض ، وتطورها من مختلف الوجوه .

وسندرس في هذا الكتاب — على ضوء الحقائق العامة التي كشفنا عنها في كتابنا السابق — فصيلة خاصة من فصائل اللغات الإنسانية ، وهي فصيلة « اللغات السامية » ، مفصلين بعض التفصيل في لغة منها ، وهي اللغة العربية ، ومجملين القول فيما عداها .

فمؤلفنا هذا في منزلة الجزء الثاني من كتابنا « علم اللغة » ؛ غير أننا آثرنا أن نطلق عليه اسماً خاصاً شاع استعماله في الموضوعات التي يعرض لها ، وخاصة ما يتعلق منها باللغة العربية .

والله نسأل أن يوفقنا إلى الخير والهدى ، ويهيئ لنا من أمرنا رشداً .

على عبد الواحد وافي

مقدمة

في الشعوب السامية ولغاتها

١ - الشعوب السامية : كالتعبير الذي تقدمت به

يطلق الآن لقب الساميين على الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية والينية والبابلية - الآشورية وما انحدر من هذه الشعوب .
وأول من استخدم هذا الوصف في إطلاقه على الشعوب السابقة العالم الألماني شلوتزر Schlözer في أواخر القرن الثامن عشر . وقد اقتبسه مما ورد في سفر التكوين بصدد أولاد نوح الثلاثة (سام وحام ويافث) والشعوب التي انحدرت من كل ولد منهم . فقد ذكر هذا السفر أن أولاد سام هم عيلام وآشور وأرفكشاد ولود وآرام ، وأنه قد ولد لأرفكشاد شيلاش ولشيلاش عابر أبو العبريين ... الخ . غير أنه يلاحظ أن سفر التكوين قد اعتمد في تقسيمه هذا على الروابط السياسية والثقافية والجغرافية أكثر من اعتماده على صلات القرابة والروابط الشعبية . ولذلك عد الليديين Lydiens والعيلاميين Elyméens من الساميين ، لشدة امتزاجهم بالآشوريين وخضوعهم لسلطانهم السياسي ، مع أنهما من الناحية الشعبية أجنبيان عن الشعوب السامية وأجنبيان أحدهما عن الآخر . فالعيلاميون يغلب على الظن أنهم من جنس إيراني ؛ والليديون غير معروف في الأصل ، ولكن من المقطوع به أنهم غير ساميين وأنه لا يجمعهم بالعيلاميين أصل قريب . وعلى هذا الأساس أيضاً اعتبر السفر السابق الفينيقيين من الشعوب الحامية لتعدد الصلات السياسية والثقافية التي كانت تربطهم بالشعوب الحامية المصرية والبربرية ، ولما كان بينهم وبين العبريين من عداة وحروب ، ولاختلافهم عنهم في النظم الاجتماعية وشئون السياسة والدين ؛ مع أنهم من أخلص الساميين نسباً وأقربهم رحماً إلى العبريين أنفسهم .

ومع ذلك لم يجد العلماء غضاضة في اقتباس كلمة الساميين عن هذا السفر ، ولكنهم لم يجاروه في استخدامها بل أخرجوا من نطاقها القديم جميع الشعوب التي ظهر لهم أنها أجنبية عن الساميين ، وأضافوا إليه الشعوب السامية التي سكت عنها أو عدها من فصائل أخرى ، حتى استقر مدلولها في عرفهم على الوجه الذي أشرنا إليه في صدر هذه الفقرة .

٢ — اللغات السامية :

ويطلقون اسم اللغات السامية على لغات هذه الأمم وما تفرع منها وعلى بعض لغات أخرى ظهر لهم اتماؤها إلى الفصيلة نفسها التي تنتمي إليها هذه اللغات . فمدلولها يشمل اللغات الأكادية (الأشورية — البابلية) والآرامية والكنعانية (الفينيقية والعبرية) والعربية واليمنية القديمة والحبشية ^(١) .

وأول من استخدم هذا الوصف في إطلاقه على هذه اللغات العالمان الألمانيان شلوتزر Schlözer وايكهورن Eichhorn في أواخر القرن الثامن عشر ^(٢) .

ولوضوح الشبه بين أفراد هذه الفصيلة فطن الباحثون منذ عصور سحيقة إلى صلات القرابة التي تربطها بعضها ببعض . فتشابه اللغتين العبرية والآرامية قد بلغ درجة لا تخفى معها قرابتهما حتى على أقل الناس إلماماً بهذه الشؤون . ولذلك فطن كثير من قدامى الباحثين إلى اتماهما إلى فصيلة واحدة . وتشابه اللغتين العبرية والعربية ، وإن لم يصل إلى الدرجة السابقة ، قد ظهر للباحثين منذ القرن العاشر الميلادي . ففي هذا القرن أدرك كثير من علماء اليهود وجوه القرابة بين هاتين اللغتين . وفي القرن السابع عشر اهتمدى العلماء ، على ضوء دراستهم للغة الكنيسة بالحبشة *Langue liturgique des Abyssins* ، إلى قرابة هذه اللغة باللغة العربية . ولذلك يمكن القول إنه لم ينتصف القرن السابع عشر حتى تكونت لدى

(١) انظر صفحة ١٨٤ وتوابعها من كتابنا « علم اللغة » الطبعة الثالثة .

Renan : Histoire Générale des Langues Sémitiques p. 43 ; (٢)

Brockelmann : Précis de Linguistique Sémitique (Traduction Française par Marçais et Cohen) p. 7.

المستشرقين فكرة واضحة عن صلات القرابة بين معظم أفراد الفصيلة السامية ؛ وذلك سابق كثيراً للعصر الذي اهتدى فيه بوب Bopp إلى صلات القرابة التي تربط اللغات الأوروبية بعضها ببعض والتي تربطها باللغات الهندية - الإيرانية^(١). وقد كملت هذه الفكرة وازدادت وضوحاً في القرن التاسع عشر . ففي هذا القرن كشف العلماء الخط المسامري cunéiforme وحلّوا الآثار الآشورية المدونة به ؛ كما كشفوا كثيراً من الوثائق المدونة باللغتين الفينيقية واليمنية القديمة . وعلى ضوء هذه الآثار ظهرت صلات القرابة الوثيقة بين هذه اللغات^(٢) وبقية اللغات السامية . وبذلك كملت مجموعة اللغات السامية وحل كثير من المشاكل العلمية المتعلقة بنشأتها وتطورها وانشعابها بعضها من بعض ، وتكونت مادة غزيرة للبحث والموازنة . وفي هذا القرن عكف بعض العلماء على دراسة اللهجات العامية المتفرعة عن هذه اللغات ، فكان لدراساتهم هذه أجل أثر في نهضة هذه البحوث .

٣ - دراسة اللغات السامية :

وقد انقسمت دراسة اللغات السامية إلى وجهتين : إحداهما دراسة عامة في تاريخ هذه اللغات ونشأتها وحياتها وتطورها . . . وما إلى ذلك ؛ وثانيتهما دراسة خاصة في أصواتها وقواعدها ومفرداتها . . . وموازنتها من هذه النواحي بعضها ببعض .

وقد كتب في كلتا الوجهتين عدد كبير من أعلام الباحثين . فمن أشهر من كتب في الوجهة الأولى العلامة الفرنسي ريفان Renan ، فقد ألف في منتصف القرن التاسع عشر في «التاريخ العام للغات السامية» كتاباً جليلاً ، لولا ما فيه من

(١) انظر صفحتي ٤٩ ، ٥٠ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

(٢) لم تصلنا هذه اللغات الثلاث إلا عن طريق الوثائق المكتوبة ، لأنها كانت قد انقرضت من المحادثة في الوقت الذي عكف فيه العلماء على دراسة هذا الموضوع .

تحامل على الساميين ومن آراء دلت البحوث والكشوف الحديثة على خطتها^(١)؛
والعلامة الألماني نولدكه Nöldeke الذي تدارك في كتابه^(٢) كثيراً من الأخطاء
التي وقع فيها رينان . — ومن أشهر من كتب في الوجهة الثانية الأساتذة ريت
Wright^(٣) وزيميرن Zimmern^(٤) . ومن أشهر من كتب في الوجهتين
معاً العلامة الألماني بروكلمان Brockelmann^(٥) .

٤ — انحدار الأمم الناطقة باللغات السامية من أصل واحد :

هذا وإن رجوع هذه اللغات جميعها إلى فصيلة واحدة ليحمل على الظن أن
الأمم الناطقة بها ترجع كذلك إلى أصل واحد ، وأنها قبل تفرقها كانت تؤلف
وحدة شعبية . ولكن يحول دون قبول هذا الفرض أن اللغة لا تنتقل من السلف
إلى الخلف فحسب ، بل تنتقل أحياناً إلى شعب أجنبي عن شعبها إذا اشتبكت في
صراع مع لغته وكتب لها النصر ، كما كان شأن اللغة اللاتينية في الشعوب الكلتية
واللغة السلافية في شعوب البلغار^(٦) . فمن المحتمل إذن أن يكون أحد هذه
الشعوب أو بعضها غير سامي الأصل ، وانتقل إليه اللسان السامي عن هذا الطريق .
وقد دلت البحوث الحديثة على صحة هذا الاحتمال فيما يتعلق ببعض هذه الشعوب .
فمن المقطوع به الآن أن معظم الجماعات الحبشية الناطقة بلهجات سامية منحدره

(١) قصد العلامة رينان إلى دراسة الوجهين معاً ولذلك جعل عنوان كتابه : « التاريخ العام
والقواعد المقارنة للغات السامية » Histoire générale et système comparé des Langues
sémitiques ولكن لم يظهر من كتابه هذا إلا الجزء الأول الذي وقفه على التاريخ العام .

(٢) Th. Nöldeke : Die Semitischen Sprachen. (٢)

(٣) Wright : Lectures on the comparative Grammar of the Semitic Languages, 1890,

(٤) Zimmern : Vergleichende Grammatik der semitischen Sprachen, (٤)
1898.

(٥) Brockelmann : Grundriss der vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, 1903 ; Kurzgefasste vergleichende Grammatik, 1908 ;
Semitisch Sprachwissenschaft 1906.

(٦) انظر الفصل الخاص بصراع اللغات في كتاب « علم اللغة » للمؤلف ، الطبعة
الثالثة صفحات ٢٠٨ — ٢٢٥ .

من أصول غير سامية ؛ وأن اللسان السامي قد انتقل إليها مع من نرح إلى بلادها من الساميين على أثر صراع انتصر فيه هذا اللسان على لغاتها القديمة . ومن المرجح أن كثيراً ممن كانوا يتكلمون الأكادية والعبرية والآرامية منحدرين كذلك من أصول غير سامية ، وأن اللسان السامي قد انتقل إليهم على أثر امتزاجهم بالساميين وخضوعهم لنفوذهم السياسي .

٥ - الموطن الأول للشعب السامي :

ولكن مما لا شك فيه أن الأم السامية الأصلية التي انتشرت في هذه المناطق ونشرت بها لغاتها ، كان لها في الأصل موطن واحد . وقد اختلف العلماء اختلافاً كبيراً في تعيين هذا الموطن ، وذهبوا فيه مذاهب شتى ، ولم يصلوا بعد بشأنه إلى رأى يقيني . ويرجع أهم ما قيل بهذا الصدد إلى ستة آراء :

١ - فبعضهم يذهب إلى أن الساميين قد نشئوا ببلاد الحبشة ، ومنها نرحوا إلى القسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب ، ومن هذا القسم انتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية .

وبعضهم يذهب إلى أن الموطن الأول للساميين كان شمال أفريقية ، ومنه نرحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس .

وبعضهم يذهب إلى أن المهدي الأول للساميين كان بلاد أرمينية بالقرب من حدود كردستان . وفريق من هؤلاء يرى أن هذا الموطن كان المهدي الأول للشعبين السامي والآري معاً .

وهذه الآراء الثلاثة هي أضعف ما قيل بهذا الصدد ، إذ لم يكده أحد من أصحابها يقدم بين يدي مذهبه دليلاً يعتد به .

٤ - ويذهب الأستاذ جويدي Guidi ومن تابعه إلى أن المهدي الأصلي

للأم السامية كان جنون العراق^(١). ويستدل على رأيه ببعض كلمات مشتركة في جميع اللغات السامية تتعلق بالعمران والحيوان والنبات . فقد ظهر له من طبيعة هذه الكلمات وأصواتها ومدلولاتها ومن شواهد أخرى كثيرة أنها نشأت بجنوب العراق . ويتخذ من اشتراكها في جميع اللغات السامية دليلاً على أن هذه المنطقة كانت المهد الأول للساميين .

٥ - ويرى بعضهم أن الموطن الأصلي للساميين كان بلاد كنعان ، ويستدل على ذلك بأن الساميين كانوا منتشرين في البلاد السورية القديمة في أزمنة سحيقة في القدم وأن مدنياتهم في هذه البلاد لا يعرف نشأتها ، ولا تعرف قبلها مدنية أخرى . على حين أن بلاد العراق مثلاً التي يرى أصحاب المذهب الرابع أنها المهد الأول للساميين ، كان يسكنها من قبلهم الشعب السومري ، وكانت له فيها مدنية زاهرة قبل مدنياتهم ، وقد نزحوا إليها في عصر كانت فيه بلاد سوريا القديمة أهلة بأم سامية ذات مدنية عريقة .

٦ - ويرجح بعضهم أن المهد الأول للساميين كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز ونجد واليمن وما إلى ذلك) . وقد مال إلى هذا الرأي عدد كبير من قدامى المستشرقين ومحدثيهم ، وعلى رأسهم الأستاذ رينان الفرنسي وبروكمان الألماني . وهذا هو أصح الآراء وأقواها سنداً وأكثرها اتفاقاً مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ . ويرجح الأخذ به أدلة كثيرة : فمن ذلك أن الهجرة في هذه البلاد كانت تتجه دائماً ، في العصور السابقة للتاريخ وفي العصور التاريخية ، من القسم الجنوبي الغربي (بلاد نجد والحجاز واليمن وما إليها) إلى الشمال والشرق (سوريا والعراق وما إليها) . فمن هذا القسم نزح الساميون إلى جنوب العراق وغزوا بلاد السومريين

(١) يتفق هذا الرأي مع ما ذهب إليه التوراة من أن أقدم ناحية عمرها أولاد نوح هي أرض بابل .

وغلّبهم على أمرهم وأنشئوا بهذه المنطقة مملكة عظيمة ومدنية زاهرة (مملكة بابل)^(١).

ومن هذا القسم كذلك نرح الساميون إلى الشمال ، فتكونت من سلالاتهم الشعوب التي عرفت باسم الشعوب الكنعانية^(٢). ويظهر أنه تخلف منهم شمال الحجاز تلك القبائل التي عرفت عند العرب باسم قبائل ثمود ، والتي تركت في هذه المنطقة نقوشاً كان لها شأن كبير في الوقوف على ناحية من تاريخ اللغات السامية عامة واللغة العربية على وجه الخصوص .

ومن هذا القسم كذلك حدثت هجرة ثانية إلى العراق كان من آثارها أن قبض الساميون على زمام الحكم في معظم بلاد العراق وأسسوا بها الدولة الكلدانية الخامسة التي كان من ملوكها حمورابي^(٣).

ومن هذا القسم كذلك نرح بعض قبائل الاسماعيليين (نسل اسماعيل عليه السلام وكان موطنهم الأصلي بلاد الحجاز) إلى الشمال^(٤). ومن أشهر هذه القبائل بنو قيدار و بنو نابت . أما بنو قيدار فقد انتقلوا من الحجاز إلى يثرب ومنها إلى مدائن صالح حيث تركوا بعض نقوش وفق العلماء حديثاً إلى كشفها وحل رموزها . ومن مدائن صالح تابعوا هجرتهم شمالاً إلى خليج العقبة ، ومنه إلى وادي موسى حيث ألقوا عصا الترحال . وأما بنو نابت (المعروفون بالنبط أو النبطيين)^(٥). فقد نرحوا مع بني قيدار من الحجاز إلى الشمال واستقروا في منطقة خليج العقبة حيث كونوا مملكة عظيمة وتركوا آثاراً كبيرة ؛ وفيهم ظهر الخط المعروف بالخط النبطي الذي اشتق منه الخط العربي^(٦).

(١) يظن أن هذه الهجرة كانت حوالي القرن السادس والثلاثين ق م .

(٢) يظن أن هذه الهجرة كانت حوالي القرن السادس والعشرين ق م .

(٣) يظن أن هذه الهجرة كانت حوالي القرن السادس عشر ق م .

(٤) يظن أن هذه الهجرة كانت حوالي القرن السادس ق م .

(٥) وهم غير أنباط العراق .

(٦) انظر صفحات ٢٤٦ — ٢٤٨ من كتاب « علم اللغة » للمؤلف ، الطبعة الثالثة .

ومن هذا القسم كذلك نزح في أوائل التاريخ الميلادى بعض القبائل المعدية (التي كان موطنها الحجاز) إلى الشام ، وبعض القبائل القحطانية (التي كان موطنها اليمن) إلى الشمال والشرق ، فنزلت منها خزاعة بمكة ، والأوس والخزرج يثرب ، وغسان بالشام ، ولخم بالعراق^(١) .

فإذا أضيف إلى ما تقدم أن معظم الباحثين يقررون أن أول هجرة سامية إلى الحبشة كانت من بلاد اليمن ، تبين رجحان الرأي الذي نحن بصده وهو أن المهدي الأول لجميع الشعوب السامية كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة (بلاد نجد والحجاز واليمن وما إليها) .

ويؤيد هذا الرأي كذلك ، ما ذهب إليه الأمير كيتاني دوتيانو Caetani de Teano من أن هذا القسم كان في العصور السابقة للتاريخ كثيف السكان ، خصب الأرض ، موفور الخيرات ، تخترقه ثلاثة أنهر كبيرة على الأقل ، وأنه على أثر بعض الظواهر البحرية وانحسار جبال الثلج الكبيرة إلى الشمال ، فقد خصبه وجفت أنهاره فنزح معظم سكانه إلى جهات أخرى . وقد اعتمد في نظريته هذه على أدلة مستمدة من البحوث الجيولوجية التي أجريت بهذه المنطقة^(٢) .

ويزيد هذا الرأي تأييداً أن العقلية السامية القديمة عقلية أساسها المحس المشاهد لا المعنوي المتخيل . فهي ضحلة التخيل ، قليلة العمق في المعقولات المحضة ، لا تكاد تلمس ما وراء الطبيعة إلا برفق وسذاجة وفي نطاق محدود . ولا أدل على ذلك من أن معظم الكلمات السامية الدالة على الحقائق الكلية والأمور المعنوية والظواهر النفسية ترجع أصولها إلى أمور مادية تتصل بعالم الحس . فجميع الكلمات

(١) انظر في هذه الهجرات جميعها كتاب «اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب» للاستاذ محب الدين الخطيب مدير المكتبة السلفية .

(٢) V. Brockelmann : Précis de Linguistique Sémtique (Trad. Fr.)

p. 10. ، وقد نشر بهذا الصدد المستر توينبي Toynbee بعدد ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٥ من جريدة منشستر جارديان مقالا ضمنه رأياً قريباً من هذا الرأي .

والجمل التي يعبر بها في العبرية عن الغضب مثلا تدل في الأصل على أمور حسية : فأحيانا يعبر عنه بكلمة تدل في الأصل على التنفس السريع القوي الذي يصحب الغضب عادة ؛ وأحيانا بكلمة تدل على الرعشة أو ارتفاع الحرارة أو الغليان . والخوف يعبر عنه في هذه اللغة بكلمة تدل في الأصل على ارتخاء السكتيين ؛ والتكبر بكلمة تدل في الأصل على الشموخ بالرأس أو استطالة القامة واعتدالها ؛ واليأس بكلمة تدل في الأصل على تقطع نياط القلب ؛ والصبر بكلمة تدل في الأصل على طول التنفس ؛ والرغبة بكلمة تدل في الأصل على الظمأ ؛ والعفو بكلمة تدل في الأصل على المحو^(١) ... وهلم جرا . حقا أنه توجد كلمات كثيرة من هذا القبيل في اللغات الهندية — الأوروية . غير أن معظم هذه الكلمات قد فقدت في هذه اللغات معناها الأصلي المحس ، وأصبح لا يفهم منها إلا مدلولها المعنوي . على حين أنه في اللغات السامية لا تزال هذه الكلمات تدل على معانيها الأصلية ويشتم منها راحة المادة^(٢) . ومن الواضح أن عقلية هذا شأنها لا تنشأ إلا في مواطن صحراوية قليلة المظاهر الطبيعية ، غير متنوعة الأجواء . لأن المناطق المتنوعة الأجواء ، الغنية بمظاهر الطبيعة ، تنمي قوة الخيال وتؤدي إلى تنوع التفكير . ففي هذا دليل على أن الجماعة السامية الأولى التي ورثت هذه الأعم عقليتها وخيالها ولغتها قد نشأت في الأصل في مناطق صحراوية ، وتيرية المناخ ، فقيرة في مظاهر الطبيعة . وهذه الأوصاف متوافرة في الحجاز ونجد وما إليهما .

٦ — أقدم لغة سامية :

كما اختلف العلماء في الموطن الأول للأمم السامية ، اختلفوا كذلك في اللغة الأولى التي كان يتكلم بها الشعب السامي أيام أن كان أبناؤه مجتمعين في موطن واحد .

(١) وكذلك اللغة العربية ، فعفا وغفر معناهما الأصلي المحو .

(٢) V. Renan, op. cit. pp. 22-25.

فكان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن العبرية هي أقدم لغة إنسانية؛ وانشر هذا الرأي عند كثير من الباحثين، حتى أن بعض العرب أنفسهم قد ذهب إليه.

وذهب بعضهم إلى أن الآشورية البابلية هي أقدم اللغات السامية. ولم يقدم أصحاب هذه النظرية دليلاً يعتد به. هذا إلى أن ما وصلنا من الآشورية لا يعدو ألفاظاً قليلة يتعذر على ضوءها الحكم على مبلغ أقدمية هذه اللغة. وفضلاً عن هذا كله، فمن المقرر أن هذه الألفاظ القليلة ليست سامية خالصة، بل اختلقت فيها المفردات السامية القديمة ببعض مفردات سومرية اقتبست من لغات السكان الأصليين لهذه البلاد لدرجة لا يمكن معها تمييز هذه عن تلك.

وذهبت طائفة من المحدثين، وعلى رأسها العلامة أولسهوزن Olshausen (في مقدمة كتابه عن العبرية)، إلى أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية الأولى.

وجميع هذه الآراء قائمة على أساس فاسد. وذلك أن جميع اللغات السامية قد اجتازت مراحل كثيرة في التطور قبل أن تصل إلى الحالة التي أتت بها للعلماء معرفتها، فبعدت بذلك كل لغة منها عن النقطة الأولى التي ابتدأ منها تطورها. فمن الخطأ إذن النظر إلى واحدة منها على أنها أول لغة تكلم بها الشعب السامي. هذا إلى أنه من المستحيل أن تحتفظ لغة بوحدها متى تعددت مناطقها وتعددت طوائف المتكلمين بها، بل لا مناص حينئذ من انشعابها إلى لهجات ولغات، على النحو الذي شرحناه بتفصيل في كتاب «علم اللغة»^(١). ولا يعقل أن يكون الشعب السامي الأول قد ظل محتفظاً بوحده الاجتماعي أو ظل حبيساً في منطقة واحدة من الأرض أمداً طويلاً. ولذلك يمكن القطع بأنه لم توجد أبداً أو لم تسكد توجد

(١) انظر الفصل الخامس بفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات من كتاب «علم اللغة» للمؤلف، الطبعة الثالثة، صفحات ١٥٦ — ١٧٨.

لغة سامية واحدة ، بل وجد من مبدأ النشأة عدد كبير من اللغات السامية .
هذا ، وقد عمد بعض العلماء إلى الأمور المشتركة بين اللغات السامية في
المفردات والقواعد ، فاتخذ منها صورة للغة السامية الأولى ، واعتبر أقرب اللغات
السامية إلى هذه الصورة أقدمها نشأة وأولها وجوداً . وهذا المذهب لا يقل فساداً
عن المذاهب السابقة ؛ لأن هذه الأمور المشتركة لا تمثل أكثر من وجوه الشبه
بين اللغات السامية في أقدم حالة أتيح للعلماء معرفتها . وقد تقدم أن هذه اللغات
قد اجتازت مراحل كثيرة في التطور قبل أن تصل إلى هذه الحالة ، فبعدت بذلك
كل لغة منها عن الأصل القديم . فهذه الأمور المشتركة لا تمثل إذن تمثيلاً صادقاً
أقدم لسان تكلم به الساميون .

غير أنه من المسلم به الآن لدى معظم المحدثين من علماء الاستشراق أن اللغة
العربية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها ،
وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك أية لغة سامية أخرى . ويرجع السبب في هذا إلى
نشأتها في أقدم موطن للساميين ، وبقائها في منطقة مستقلة منعزلة ، فقلت بذلك
فرص احتكاكها باللغات الأخرى ، ولم تذلل لها سبل كثيرة للبعد عن أصلها القديم .

٧ — خصائص اللغات السامية وصفاتها المشتركة :

من أهم خصائص اللغات السامية ما يلي :

١ — يتألف الأصل السامي في الغالب من ثلاثة أصوات ساكنة (غير ليننة)
مختلفة (ق ت ل ، ض ر ب ، رج ع .. الخ^(١)) . غير أن لكل وجه من هذه
الوجوه شواذ كثيرة :

(١) يذهب بعضهم إلى أن الأصول السامية ثنائية لا ثلاثية وأن الثلاثي متفرع عن
الثنائي (انظر كتاب : « هل العربية منطوية ، أبحاث ثنائية أجنبية » للأب مرمرجي الدومنيكي
وخاصة صفحات ١٤٥ — ١٥٠ ، وانظر كذلك كتابنا « علم اللغة » الطبعة الثالثة آخر
صفحة ٢٠٦ وتعليقها الثاني وأول صفحة ٢٠٧) .

(١) فبعض الأصول السامية يتألف من صوتين فقط . ويصدق هذا على بعض الحروف (عن ، قد ، بل ...) والضماير (هو ، هم ...) وأسماء الشرط والموصول والإشارة (من ، ذا ...) وبعض أسماء الذوات (يد ، دم ...) . وثمة أفعال لا يبقى منها إلا حرفان في معظم وجوه تصرفها (قلت ، نلت ، عمت ، رمت ...) ؛ وهذا يدل على أن المعنى العام يتوقف في هذه الأفعال على صوتين فقط . على أن الأفعال الأخرى نفسها ليست جميع أصواتها بدرجة واحدة من الأهمية في تأدية المعنى ، بل تزيد فيها غالباً أهمية صوتين على أهمية الصوت الثالث . فالمعنى العام يتعلق فيها بصوتين فقط ، أما الصوت الثالث فيحدد هذا المعنى العام ويوجهه وجهات خاصة . فالمعنى العام للفرقة مثلاً يؤدي في العربية بصوتى فر ، ويضاف إلى هذين الصوتين صوت ثالث يشار به إلى نوع التفرقة والمادة التي حدثت فيها (فرى ، فرم ، فرض^(١) ، فرص^(٢) ، فرث^(٣) ، فرج ، فرق ، فرز ... الخ) . والمعنى العام للقطع يؤدي بصوتى ق ط (أو صوت شبيهه بالطاء كالدال) ، ويضاف إلى هذين الصوتين صوت ثالث يشار به إلى نوع القطع والمادة التي حدثت فيها (قطع ، قطف ، قطم^(٤) ، قط^(٥) ، قد ... الخ) . والصوتان اللذان تزيد أهميتهما في الفعل على أهمية الصوت الثالث يمثلان في الغالب صوت الفعل أى ما يحدثه الفعل نفسه من صوت عند وقوعه ، فهما يمثلان الأصل الأول الذى أخذت منه الكلمة . وفي هذه الناحية يظهر وجه الشبه بين الفصيلتين السامية والهندية الأوروبية^(٦) .

(١) فرضت الحشبة فرضاً من باب ضرب حززتها أه المصباح .

(٢) الفرص القطع والمفراس الذى يقطع به الفضة أه مختار الصحاح .

(٣) أفرث الكرش شقها وألقى ما فيها أه مختار الصحاح .

(٤) قطمه قطماً من باب ضرب عضه وذاقه أو قطعه أه المصباح .

(٥) قطلطت القلم قطعاً من باب قتل قطعت رأسه عرضاً فى بريه أه المصباح .

(٦) V. Renan, op. cit. 96, 97.

(ب) وبعض الأصول السامية يتألف من صوتين ساكنين وصوت لين أو نصف لين (قال ، وعد ...).

(ح) وبعضها يتألف من صوتين ساكنين مضعف ثانيهما (تم ، رد...).

أما الكلمات التي تبدو رباعية الأصول في العربية والعبرية فهي متفرعة في الحقيقة عن أصول ثلاثية (دخرج مثلا متفرعة عن « درج » أو عن « دحر » الدال على الدفع والإبعاد) على الرغم من أن علماء الصرف يعتبرون جميع أصواتها أصيلة. وأصول الكلمات لا توجد مستقلة في اللغات السامية. فالأصل الدال على معنى القتل في اللغة العربية مثلا وهو ق ت ل لا يوجد مستقلا في هذه اللغة ، بل لا يمكن النطق به .

والأصوات التي يتألف منها أصل ما توجد مرتبة ، حسب ترتيبها في الأصل ، في جميع الكلمات المشتمة على معناه العام . فالأصوات الثلاثة ق ت ل التي يتألف منها الأصل الدال على معنى القتل ، توجد مرتبة بالشكل السابق في جميع الكلمات المشتمة على هذا المعنى : قتل ، قاتل ، قتال ، قتيل ... الخ . واشتمال الكلمة على أصوات أصل ما لا يدل على أكثر من تضمينها للمعنى العام لهذا الأصل .

أما ما عدا هذا المعنى العام فيشار إليه بأصوات مد طويلة (ألف ، ياء ، واو ... الخ) أو قصيرة (فتحة ، كسرة ، ضمة) تلحق جميع أصوات الأصل أو بعضها . فنوع الكلمة (كونها اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، اسم فاعل أو اسم مفعول ، متعدية أو لازمة ، مفردة أو مثني أو جمعا .. الخ) وزمنها (حدث معناها في الماضي أو يحدث في الحال أو في المستقبل) ووظيفتها في الجملة (كونها فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه أو حالاً أو تمييزاً ... الخ) كل ذلك وما إليه تدل عليه في اللغات السامية أصوات مد طويلة أو قصيرة تلحق جميع أصوات الأصل أو بعضها . وأصوات المد الطويلة هي التي يرمز إليها في الكتابة العربية بحروف اللين الثلاثة

(الألف والياء والواو) ، والقصيرة هي التي يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة .
فبضم القاف وكسر التاء وفتح اللام في « قُتِلَ المجرم » مثلا ، تدل الكلمة على
فعل قتل حدث في زمن مضى ومسند للمفعول . و بمد القاف بالألف وكسر التاء
وإبقاء اللام ساكنة في « قَاتِلُ الذي يقا تلك » ، تدل الكلمة على أمر المخاطب
بإجراء القتل في صورة متبادلة مع غيره . و بفتح القاف ومد التاء بالياء وكسر
اللام « هذا دم القتيل » ، تدل الكلمة على شخص وقع عليه القتل ومنسوب
إليه (مضاف إليه) شيء آخر . و بفتح القاف وإبقاء التاء ساكنة ومد اللام
بالألف في « هؤلاء قتلى الحرب » تدل الكلمة على عدة أفراد وقع عليهم
القتل ... وهلم جرا .

وقد يصحّب هذا أحيانا أصوات جديدة تسبق أصوات الأصل الثلاثة
أو تتخللها أو تلحقها للدلالة على معان خاصة في الكلمة . فبزيادة ميم محرّكة
بالفتح قبل أصوات الأصل و نون ساكنة في نهاية الكلمة ، مع إبقاء القاف
ساكنة وفتح التاء واللام في « أصاب مقتلا (مَقْتَلُنْ) » تدل الكلمة على عضو
نكرة تؤدي إصابته إلى القتل وقد وقع عليه الفعل المعبر عنه في الجملة . و بزيادة
ياء مفتوحة قبل أصوات الأصل وتاء مفتوحة بعد القاف و نون مفتوحة في آخر
الكلمة ، مع إبقاء القاف ساكنة وكسر التاء ومد اللام بالواو في « القوم يقتتلون »
تدل الكلمة على فعل يحدث في الجال أو في الاستقبال في صورة متبادلة بين
طائفتين من الذكور الآدميين^(١) .

٢ - لا تكاد توجد في اللغات السامية كلمات تشتمل على أكثر من أصل
واحد ؛ على حين أن هذا النوع يكثر في اللغات الهندية - الأوروبية وخاصة

(١) انظر الفرق بين اللغات السامية واللغات الهندية - الأوروبية بصدد هذه الخاصة
في كتابنا علم اللغة ، الطبعة الثالثة صفحات ١٩٧ - ٢٠٢ .

الحديث منها . وكل كلمة من هذا القبيل تدل على معنى مركب من معاني الأصول التي تشتمل عليها^(١) .

٣ - للأصوات الساكنة (ونعني بها ماعدا الأصوات اللينة) في اللغات السامية أهمية تزيد كثيراً على أهمية أصوات اللين ؛ ويبدو هذا في ثلاثة وجوه : في الدلالة ؛ والنطق ؛ والرسم .

(أ) فالعنى الأساسى للكلمة - كما تقدم الكلام على ذلك فى الخاصة الأولى -- يشار إليه غالباً بالأصوات الساكنة . أما الأصوات اللينة فلا تعدو وظيفتها فى الغالب تحديد هذا المعنى العام وتوجيهه ووجهات خاصة (ق ت ل يدل على المعنى العام للقتل ؛ قتل يدل على وقوع القتل فى زمن مضى من واحد غائب ، قتل يدل على قتل حدث فى زمن مضى ومسند للمفعول ... وهلم جرا) .

(ب) والأصوات الساكنة تنال أكبر قسط من عناية المتكلم ، وهى لذلك أوضح فى الجرس من الأصوات اللينة ، وأظهر منها فى السمع .

(ج) وقد سرت أهمية الأصوات الساكنة فى الدلالة والنطق إلى الرسم نفسه . فاهم ما يعنى الرسم السامى بإظهاره هو الأصوات الساكنة ؛ أما الأصوات اللينة فيغفل بعضها إغفالا تاماً ، ويشير إلى بعضها بالشكل ، ويرسم بعضها رسماً مضطرباً غير دقيق . وهذا فى الرسم الحديث ؛ أما الأشكال القديمة للرسم السامى فكانت تغفل جميع أصوات اللين^(٢) .

٤ - ليس للفعل فى معظم اللغات السامية إلا زمانان : فعل انتهى زمنه

(١) توجد هذه الظاهرة فى اللغات السامية فى بعض كلمات قليلة حديثة النشأة . وأظهر ما يكون ذلك فى الكلمات المنحوتة (انظر الفقرة ٢٢ من الفصل السادس من هذا الكتاب) .
(٢) V. Brockelmann, op. cit. p. 19٠ وسيأتى تفصيل ذلك عند الكلام على الرسم السامى فى الفقرة الثانية من الفصل الثانى من هذا الكتاب (انظر الفرق بين اللغات السامية واللغات الهندية - الأوروبية بصدده هذه الخاصة فى صفحة ١٩٩ ، ٢٠٠ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة) .

(ماض) وفعل لم ينته زمنه (مضارع لاجل أو الاستقبال وأمر)^(١) .
٥ — يحدث في الغالب تأنيث الاسم والصفة في اللغات السامية والحامية
بإضافة تاء إلى المذكر^(٢) .
٦ — تتشابه اللغات السامية كذلك في كثير من المفردات ، وخاصة المفردات
الدالة على أعضاء الجسم ، والضمائر ، وصلة ، القرابة ، والعدد ، وبعض الأفعال
ومرافق الحياة الشائعة في الأمم السامية^(٣) .

٨ — وجوه الخلاف بين اللغات السامية :

ومع قوة القرابة بين أفراد هذه الفصيلة ، فإن بينها كثيراً من وجوه الخلاف
في القواعد والأصوات والمفردات .
فمن وجوه الاختلاف في القواعد أداة التعريف . فهي في العربية «أل» في أول
الكلمة ؛ وفي العبرية وفي بعض اللهجات العربية البائدة حرف هـ في أول الكلمة ؛
وكانت في السبئية حرف نون في آخر الكلمة ؛ وفي السريانية حرف «آ» في
نهاية الكلمة . أما الآشورية — البابلية والحبشية فلا أداة للتعريف فيهما مطلقاً .
ومن ذلك أيضاً علامة الجمع : فهي في العبرية حرفا «يم» للمذكر والواو والتاء
المؤنث ؛ وفي الآرامية حرفا «ين» ؛ في حين أنه في العربية يستخدم للدلالة
على جمع المذكر الواو والنون في الرفع والياء والنون في النصب والجر في آخر
الكلمة وللدلالة على جمع المؤنث الألف والتاء في آخر الكلمة ، وللدلالة عليهما
معاً صيغ جمع التكسير .

(١) يستثنى من ذلك اللغات الأكادية فان للفعل فيها ثلاثة أزمنة كما سيأتي بيان ذلك في
الفصل الأول (انظر الفرق بين اللغات السامية واللغات الهندية — الأوروبية بصدده هذه
الخاصة في آخر صفحة ٢٠٢ وأول ٢٠٣ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة) .
(٢) انظر الفرق بين اللغات السامية واللغات الهندية الأوروبية بصدده هذه الخاصة في
صفحة ٢٠٣ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة) .
(٣) ذيل الدكتور إسرائيل ولفنسن كتابه « تاريخ اللغات السامية » بمعجم لبعض
الكلمات المشتركة في اللغات السامية ، ذكر فيه أكثر من مائة كلمة .

ومن وجوه الاختلاف بين الأصوات أن الأصوات العربية: ذغ ظ ض لا وجود لها في العبرية، والصوتين العبريين « پ » P و « ف » V لا وجود لها في العربية، ولا وجود للعين والقاف والسين في البابلية، وأغلب ما يأتي في العبرية بالسين يأتي في العربية والحبشية بالشين والعكس بالعكس.

أما الاختلاف في المفردات فيبدو حتى في بعض الأسماء التي كانت مدلولاتها شائعة عند جميع الشعوب السامية (صبي ، شيخ ، جبل ، خيمة ...) .

٩ - صلة اللغات السامية باللغات الحامية :

تنظم اللغات الحامية ثلاث طوائف : اللغات المصرية (المصرية القديمة والقبطية) ؛ واللغات البربرية (اللغات القديمة لسكان شمالي أفريقيا : طرابلس وتونس والجزائر ومراكش والصحراء والجزر المتاخمة لها) ؛ واللغات الكوشية (لغات السكان الأصليين للقسم الشرقي من أفريقيا المحصور بين درجة العرض الرابعة جنوب خط الاستواء وحدود مصر ، ماعدا المناطق الحبشية الناطقة بلغات سامية وما عدا المناطق السودانية الناطقة بلهجات سامية أو سودانية ، فيدخل تحت اسم الكوشية اللغات الصومالية ولغات الجالا والبدجة ودققة والأجاو والأفار أو الساهو والسيداما ... الخ) . ولا يوجد بين هذه الطوائف الثلاث من وجوه الشبه أكثر مما يوجد بين كل طائفة منها ومجموعة اللغات السامية . فاعتبارها مجموعة متميزة هو مجرد اصطلاح لا يتفق في شيء مع حقائق الأمور .

أما وجوه الشبه بينها وبين اللغات السامية فيظهر في نواح كثيرة من أهمها ما يلي :

١ - تشبه اللغة المصرية القديمة اللغات السامية في الضمائر (التاء للمخاطب المفرد والنون لجمع المتكلمين ... الخ) . وأسماء العدد وكثير من أسماء الذوات وخاصة الأسماء المؤلفة من صوتين (يم ، فم ، ماء ...) وفي كثير من قواعد

الصرف والتنظيم (ومن ذلك تأنيث الإسم والصفة بالتاء ، وتكوين المضارع بوضع الضمير في أول الفعل) ؛ وتشارك معها كذلك في أن أهمية الأصوات الساكنة تزيد كثيراً على أهمية أصوات اللين في دلالة مفرداتها ونطقها . ولذلك ذهب كثير من العلماء إلى اعتبار اللغة المصرية واللغات السامية مجموعتين من فصيلة واحدة .

وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فاعتبر المصرية القديمة لغة سامية . ومن هؤلاء العلامة Erman الذي يعد حجة في الدراسات المصرية القديمة . فقد رأى أن اللغة المصرية القديمة التي وصلت إلينا هي لغة الغزاة من الساميين الذين أخضعوا السكان الأصليين وتغلبت لغتهم على لغاتهم . غير أن تأثير لغتهم بهذه اللغات في أثناء صراعها معها ، والازدهار السريع للحضارة المصرية ، وما أحاط بالمصريين من ظروف خاصة تختلف عن ظروف بقية الساميين في النواحي المادية والجغرافية والاجتماعية ... كل ذلك وما إليه قد عمل على توسيع مسافة الخلف بين المصرية القديمة من جهة وبقية اللغات السامية من جهة أخرى . ومثل هذه العوامل قد أحاطت باللغة الإنجليزية (الاحتلال الروماني واحتلال النورماندين لبلاد الإنجليز) فأبعدها كثيراً عن أخواتها الجرمانية ؛ ولكن هذا لم يحل دون عدها من شعبة اللغات الجرمانية . بل إن مثل هذه العوامل قد أحاطت ببعض اللغات التي أجمع العلماء على ساميتها ، كاللغة الأمهرية بالحشة ، فأبعدها كثيراً عن فصيلتها .

٢ — وقد ظهر للباحثين وجوه شبه كثيرة بين اللغات السامية من جهة وكل من مجموعتي اللغات البربرية والكوشية من جهة أخرى ، وخاصة في النواحي المتعلقة بالصرف والاشتقاق . غير أن وجوه شبههما باللغات السامية أقل كثيراً من وجوه الشبه بين السامية والمصرية القديمة . — وقد اختلف العلماء في تعليل ذلك :

فبعضهم يرى أن اللغات السامية والمصرية والبربرية والكوشية هي أربع مجموعات لفصيلة واحدة ، غير أن انفصال البربرية والكوشية عن السامية قد

حدث قبل انفصال المصرية عن السامية بزمن طويل ، ولذلك كانت مسافة بعدها عن السامية أكبر من مسافة بعد المصرية عنها . وقد سرنا على هذا الرأي في الطبعة الأولى من كتابنا « علم اللغة » .

ويذهب بعضهم إلى أن الكوشية والبربرية لا تربطهما صلة قرابة بالسامية وأن اتفاق هذه اللغات في بعض المفردات والقواعد يرجع إلى تأثيرها بعضها ببعض واقتباس بعضها من بعض .

ويرى الأستاذ بروكمان أنه لا يمكن القطع بقرابة أو عدم قرابة بين السامية من جهة والكوشية والبربرية من جهة أخرى ؛ وذلك لأن اللغتين الأخيرتين لم تصلا إلينا إلا في أشكالها الحديثة المستخدمة الآن بين بعض العشائر في المغرب والسودان والحبشة والصومال ... وما إلى ذلك ، ولم يعثر على آثار مدونة بهما تدلنا على حالتهم القديمة ، ويظهر أنه لم تتكون منهما مطلقاً لغة أدب أو كتابة ؛ هذا إلى أن العلماء لم يصلوا بعد بصدد دراسة قواعدهما وتاريخيهما إلى نتائج يقينية يطمأن إليهما . فالأدنى إلى القصد أن يربط موضوع الموازنة بينهما وبين اللغات السامية إلى أن تتم دراستهما وتتكون فكرة واضحة عن كليهما .

وخلاصة ذلك أنه يغلب على الظن قرابة اللغة المصرية من اللغات السامية ؛ أما صلة الكوشية والبربرية إحداهما بالأخرى وصلة كل منهما بالمصرية وباللغات السامية فلا يمكن الآن القطع في هذا كله برأى (١) .

هذا ، وسنلقى فيما يلي نظرة على كل لغة من اللغات السامية ، مفصلين بعض التفصيل في اللغة العربية ، ومجملين القول فيما عداها .

(١) أنظر كذلك في هذا الموضوع كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة صفحات ١٨٤ — ١٨٨ .

الفصل الأول

اللغات الأكادية أو البابلية — الآشورية

١ — نشأتها وانتشارها :

أخذ الساميون يتدفقون إلى العراق في هجرات متوالية منذ عصور سحيقة في القدم . وأقدم هجرة سامية في هذه المناطق حدثت حوالى القرن السادس والثلاثين ق.م. وقد اتجهت شطر القسم الجنوبي من بلاد العراق ، حيث منطقة ميزو بوتاميا التي تنحدر من الحوض الأوسط لدجلة والفرات حتى خليج فارس .

وكان يسكن هذه المنطقة ، قبل أن يهاجر إليها الساميون ، شعب يسمى الشعب السومري ، وهو شعب مجهول الأصل ، ولكن من المقطوع به أنه غير سامي ولا آري . وقد كان له بهذه البلاد حضارة زاهرة ، ولغة راقية ذات آداب ^(١) ، وأسلوب خاص في الرسم اشتهر عند العرب باسم الخط المسماري ، وعند الفرنج باسم الرسم ذى الزوايا *Ecriture cunéiforme* (du latin « cuneus », coin , et de « forme ») وعند العبريين باسم رسم الأوتاد ^(٢) .

وقد تغلب المهاجرون من الساميين على هذا الشعب ، وأخضعوه لسلطانهم ، وأقاموا على أنقاض مملكته مملكة سامية كان لها شأن كبير في التاريخ . وكانت قواعد مملكتهم هذه في مبدأ نشأتها في القسم الأعلى (الشمالى) من هذه المنطقة ، حيث بلاد « أكاد » *akkad* كما كان يسميها السومريون ، أو إقليم

(١) أنظر كلمة عن هذه اللغة في صفحة ١٩١ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

(٢) سمي بهذا الاسم لأن أجزاءه تشبه المسامير والأوتاد .

« كدة » كما يسميه الساميون . ثم انتقلت إلى القسم الأدنى (الجنوبي) حيث المنطقة التي كان يسميها السومريون بمنطقة سومر Sumer . ثم عادت ثانية إلى القسم (الشمالي) حيث « بابلونيا » التي اتخذت منذ ذلك العهد عاصمة لهذه المملكة السامية ، وكان لها شأن كبير في التاريخ القديم . ولأهمية مدينة بابلونيا نسب إليها هؤلاء الساميون ، فاشتهروا باسم البابليين ، ونسبت إليها مملكتهم ، فاشتهرت باسم مملكة بابل .

وتلت هذه الهجرة هجرات سامية أخرى من أهمها هجرة حدثت حوالي القرن الخامس والعشرين ق . م . واتجهت إلى القسم الشمالي من بلاد العراق ، حيث الحوض الأعلى لنهر دجلة . وكان يسكن هذه المنطقة كذلك قبل هجرة الساميين إليها شعوب غير سامية ، أخضعها الساميون لسلطانهم ، وأنشئوا على أنقاض دولتهم وحضارتهم دولة وحضارة ساميتين كان لها شأن كبير في التاريخ القديم . وقد اتخذ هؤلاء الساميون في المبدأ مدينة آشور assur قاعدة لمملكتهم هذه ، ثم استبدلوا بها فيما بعد مدينة نينوى ، واشتهر هؤلاء الساميون في التاريخ باسم الآشوريين واشتهرت مملكتهم باسم مملكة آشور .

وقد اشتبكت لغات الساميين في الجنوب والشمال مع لغات السكان الأصليين في صراع عنيف انتهى بانتصار اللغات السامية ، وفقاً لقوانين الصراع اللغوي التي تكلمنا عنها بتفصيل في كتاب « علم اللغة »^(١) فأصبح جميع السكان يتكلمون السنة سامية ، سواء في ذلك السكان الأصليون والغزاة الساميون .

وعلى هذه السنة يطلق المحدثون من علماء اللغة اسم « اللغات الأكدية » نسبة إلى منطقة أكاد السابق ذكرها^(٢) ، أو « اللغات البابلية — الآشورية »

(١) أنظر الفصل الخاص بصراع اللغات في كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة صفحات

٢٠٨ — ٢٢٥ وخاصة ٢٠٩ — ٢١٨ .

(٢) أول من استخدم هذه التسمية هو العلامة أوبير Oppert .

نسبة إلى منطقتي بابل وآشور . ويفضل كثير منهم التسمية الأخيرة ، مع أنها مركبة من كلمتين ، لاستيعابها جميع المناطق التي انتشرت فيها هذه اللهجات ، ولأن التسمية الأولى ، مع سهولتها وعدم تركيبها ، توقع في شيء من اللبس . ومنشأ ذلك أن كلمة «الأكدية» كان يطلقها بعض القدماء على لغة «السومريين» وهم السكان الأصليون للقسم الجنوبي . ويجانب بعض العلماء اللبس الذي توحى به كلمة «الأكدية» والصعوبة التي تؤدي إليها كلمتا «البابلية — الآشورية» ويلجأ في تسميته إلى طريقة الاختصار وتغليب بعض المناطق على بعض ؛ فيطلق على هذه المجموعة اسم «البابلية» فقط لأن بابل كانت أقدم منطقة لهذه الألسنة أو اسم «الآشورية» فقط لأن أول ما كشف من الآثار المدونة بهذه اللهجات كان في منطقة آشور . ولكن معظم المحققين من علماء اللغة لا يطلقون كلمة «البابلية» وحدها إلا على الشعبة الجنوبية من هذه اللهجات ، أو على المجموعة كلها في العصر الذي كانت السيادة فيه لمناطق الجنوب ، ولا يطلقون كلمة «الآشورية» وحدها إلا على الشعبة الشمالية من هذه اللهجات ، أو على المجموعة كلها في العصر الذي كانت السيادة فيه لمناطق الشمال .

هذا ولم يقتصر استخدام هذه اللغات على مملكتي بابل وآشور ، بل امتد نفوذها في العصور الذهبية لهاتين المملكتين إلى كثير من الممالك المجاورة لهما . فقد عثر في تل العمارنة (عاصمة مصر في عهد أخناتون) على رسائل مدونة باللغة الأكدية يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الخامس عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر ق . م . (١٤١١ — ١٣٥٨ ق . م) . وتشتمل هذه الرسائل على محادثات دارت بين ملوك مصر في ذلك العهد (امنوفيس الثالث وامنوفيس الرابع وأخناتون) وبعض الأمراء الشرقيين وبخاصة الأمراء الكنعانيون^(١) . وعثر

(١) عدد هذه الوثائق أربعائة وثيقة يوجد من أصولها المنقوشة بالخط المسباري على لوحات من الصلصال ١٩٤ وثيقة في متحف برلين و٨٢ في المتحف البريطاني و٥٠ في متحف

كذلك في آسيا الصغرى على آثار مدونة باللغة الأكادية ، وهذا يدل على أنها كانت مستخدمة في صورة ما في هذه المناطق .

٢ . خصائصها ومدى تأثيرها بلغات السكان الأصليين :

قضت هذه الألسنة السامية في صراعها مع لغات السكان الأصليين أمداً طويلاً ؛ وقد تم تغلبها عليها في صورة تدريجية بطيئة . وغنى عن البيان أن انتصاراً لا يتم إلا بعد أمد طويل وجهاد عنيف لا يخرج المنتصر من معاركه على الحالة نفسها التي كان عليها من قبل . فاللغة التي يتم لها الغلب لا تخرج سليمة من هذا الصراع ؛ بل إن طول احتكاكها باللغات المغلوبة يترك بها آثاراً كثيرة من هذه اللغات (١) . وهذا هو ما حدث لهذه الألسنة السامية . فقد تأثرت تأثراً كبيراً بلغات السكان

القاهرة ، وبقية الوثائق مبعثرة في متاحف خاصة وعامة في حواضر مختلفة ، ومن بينها وثيقتان في نيويورك .

وأول العهد بكشف هذه الوثائق كان سنة ١٨٨٧ ، إذ كانت فلاحه مصرية من سكان قرية قرب هذا التل تجمع سماداً فعثرت على قطع منها .

ولهذه الوثائق فضلاً عن أهميتها اللغوية أهمية تاريخية ذات بال . وذلك أنها تلقى بعض الضوء على أخبار بني إسرائيل ورحلتهم لأرض كنعان ، وتحدد التواريخ لبعض الأخبار التي تضمنها العهد القديم ، وتقفنا على طرف من المنازعات التي كانت بين بابل وآشور ، ومبلغ نفوذ هاتين المملكتين ، وتدخل مصر أحياناً فيما كان ينشب بينهما من نزاع ، وما كان لمصر في ذلك العهد من نفوذ وسيادة في كثير من الممالك وخاصة في آسيا الغربية .

ولهذه الوثائق كذلك أهمية اجتماعية . فهي تتضمن أوصافاً دقيقة لبعض المراسيم الدينية وتقاليد الزواج وعادات الملوك في تبادل الهدايا ... وهلم جرا .

وبعض هذه الرسائل متبادل بين ملوك مصر وأمراء بابل وآشور ؛ وكثير منها متبادل بينهم وبين أمراء الكنعانيين بسوريا وفلسطين . وأكثر هذه الرسائل مبعوث به إلى ملوك مصر ، وأقلها مبعوث به من مصر .

انظر ترجمة الدكتور مرسيه لهذه الوثائق تحت عنوان « بريد الفراعنة » (في مجلدين) وانظر كذلك ما كتبه عنها مستر ألبرت فيلد جليمور في عدد ٤٠/١١/٢١ من جريدة الاجبشان جازيت ، وانظر تلخيصاً لهذا المقال في كلمة للأستاذ عبد اللطيف النشار في عدد ١٩٤٠/١٢/٢٣ من مجلة الرسالة .

(١) انظر تفصيل هذا القانون وآثاره وأمثله في صفحات ٢٠٩ — ٢١٥ من كتابنا « علم اللغة » الطبعة الثالثة .

الأصليين ، وعلى الأخص باللغة السومرية . وظهر هذا التأثير بصورة واضحة في المفردات . فقد اقتبس الساميون عن السومريين طائفة كبيرة من مفردات لغتهم وخاصة الألفاظ الدالة على أمور تمتاز بها الحضارة السومرية وكان يجهلها الساميون في بيئاتهم الأولى . هذا إلى أن الألفاظ الأصلية للسان السامي قد نالها كثير من التحريف في السنة المحدثين من الناطقين بها ، وهم السكان الأصليون لهذه البلاد ، فاحرفت أصواتها عن مواضعها وتشكلت بالصورة التي تتفق مع التكوين الطبيعي لأعضاء صوتهم وعاداتهم اللفظية وأساليبهم في النطق . ومن أجل ذلك استبدلت ببعض الأصوات السامية القديمة أصوات أخرى ، وتغيرت مخارج بعضها وانحرف النطق بها ، وسقط بعضها في مواطن خاصة أو في جميع المواطن . فمن ذلك منلا الياء والواو الواقعتان في أول الكلمة ، فقد سقطتا في اللغات الأكادية في جميع المفردات^(١)

وقد كان لانعزال اللغات الأكادية عن أخواتها السامية وتطرفها في الشرق ، وما أحاط بها من شؤون اجتماعية خاصة ، وطبيعة المنطقة التي انتشرت فيها ، وما أتت لها من احتكاك بلغات السكان الأصليين ، وما ورثته عنهم من حضارة وثقافة ، كان لهذا كله وما إليه أثر كبير في تمييزها عن بقية اللغات السامية بكثير من المميزات . وتبدو هذه المميزات في جميع مظاهرها حتى في مظهر القواعد نفسها . فمن ذلك مثلا أن للفعل فيها ثلاثة أزمنة أصيلة : زمانان يشار إليهما بأصوات تلحق أول الفعل وهما الزمن الماضي التام (« يغزودو » *iksudu* مثلا بمعنى انتهوا من الغزو) ، والزمن المضارع للاستقبال (« يغازادو » *ikasadu* بمعنى يغزون أو سيغزون) ؛ وزمن ثالث يشار إليه بملحق في آخر الفعل وهو الزمن المعبر عن الاستمرار (« غازادو » *Kasadu* مثلا بمعنى كانوا يغزون أو هم

. V. Brockelmann, op. cit. p. 16 (١)

في حالة الغزو أو سيأخذون في الغزو في صورة ممتدة (١). على حين أن اللغات السامية الأخرى ليس للفعل فيها إلا زمنان أصيلان : فعل انتهى زمنه وفعل لم ينته بعد (٢)

٣ - رسم اللغات الأكدية :

أخذ الساميون عن السومريين الخط المسماري واستخدموه في تدوين لغاتهم الأكدية. وكان هذا الرسم في أقدم مراحل رسمها معنوياً بحتاً *Idéographique* (٣) أي تشير رموزه إلى معان لا إلى أصوات . فكان يرمز فيه مثلاً بصورة النجم إلى الكلمة الدالة على السماء (وهي « أنا » *ana* في السومرية) أو الكلمة الدالة على الإله (وهي « دينجير » *Dinjir* في السومرية) . ثم دخلت فيه طريقة الرسم الصوتي المقطعي *Syllabique* ؛ فأصبحت بعض علاماته ترمز أحياناً لمقاطع صوتية مجردة من الدلالة يتألف كل مقطع منها من صوتين أو أكثر . فصورة النجم مثلاً كانت ترمز أحياناً في هذه المرحلة إلى مقطع « أن » *an* .

وقد استخدم الساميون رموزه المعنوية نفسها ، وأطلقوها على المعاني نفسها التي كانت ترمز إليها في السومرية ؛ ولكنهم كانوا يقرءونها بمفردات لغتهم . فصورة النجم مثلاً كانت ترمز عندهم إلى المعنيين نفسيهما اللذين كانت ترمز إليهما في السومرية ، وهما السماء والإله ؛ ولكنهم كانوا يقرءونها « سمو » *Samu* (ومعناها سماء في لغتهم) أو « إلو » *ilu* (ومعناها إله في لغتهم) .

واستخدم الساميون كذلك الرموز المقطعية لهذا الرسم ؛ ولكنهم لم يبقوها جميعاً على ما كانت عليه ؛ بل أدخلوا على دلالة بعضها تعديلات مستمدة من مفردات

(١) V. Langues du Monde p. 62

(٢) يوجد في بعضها زمن ثالث غير أصيل ، لأنه يتألف بإضافة فعل مساعد إلى الفعل الذي يراد التعبير عنه كما هو الحال في الفينيقية والعربية (كان يضرب . . .) .

(٣) انظر تفصيل الكلام في الرسم وأنواعه وتاريخه في صفحات ٢٤٤ - ٢٥٤ من كتابنا « علم اللغة » الطبعة الثالثة .

لعتهم . فصورة النجم مثلا كانت ترمز أحيانا إلى المقطع نفسه الذي كانت ترمز إليه في السومرية وهو مقطع « أن » ، على حين أن صورة اليد مثلا ، التي كانت ترمز في السومرية إلى مقطع « سو » وهو أول مقطع من الكلمة التي تدل على يد في السومرية ، استخدمها الساميون للرمز إلى مقطع « كت » qat وهو أول مقطع من كلمة « كتو » qatu التي تدل على معنى يد بالأكدية^(١) .

والخط المسماري الأكدى كان متفرق الحروف ، وكان يقرأ غالباً مستعرضاً من الشمال إلى اليمين ، وقد يقرأ عمودياً من أعلى إلى أسفل^(٢) .

٤ - اللهجات الأكدية :

هذا ، والآثار التي وصلت إلينا مدونة بهذا الرسم لا تظهر فيها وجوه خلاف ذات بال بين اللهجات الأكدية . فالآثار البابلية مثلا (المنطقة الجنوبية) لاتكاد لقتها تختلف في شيء عن الآثار الآشورية (المنطقة الشمالية) . غير أن الذي وصلنا عن طريق هذه الآثار هو اللغة الأدبية أو لغة الكتابة . وليس غريباً أن تتحد لغة الكتابة في مناطق تضمها مملكة واحدة ، وترجع لهجاتها إلى أصل واحد قريب ؛ وإنما الغريب أن تختلف فيها . بل قد تتحد لغة الكتابة في ممالك متعددة إذا كانت لهجاتها منشعبة عن لغة واحدة ؛ كما هو شأن لغة الكتابة بمصر والمغرب والعراق والشام واليمن والحجاز .

أما لهجات المحادثة في هذه المناطق فلم تصل إلينا عنها إلا آثار ضئيلة وردت في ثنايا بعض النقوش . وهذه الآثار لا تدلنا بصدق اختلاف اللهجات في هذه البلاد على شيء يعتقد به . ولكن تدلنا القوانين التي تخضع لها اللغات في حياتها وتطورها أنه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة وتكلم بها جماعات متعددة

(١) وأحيانا يستخدمونها رمزاً معنوياً فكانت تقرأ كتو qatu أى يد .

(٢) انظر في موضوع الرسم المسماري ، الأكدى ، ما كتبه عنه الأستاذ مرسل

وطوائف مختلفة من الناس ، فإنه يستحيل عليها الاحتفاظ بوحدها الأولى أمداً طويلاً؛ بل لا تلبث — تحت تأثير ما يوجد بين مناطقها من خلاف في الخواص الطبيعية والجغرافية ، وما يوجد بين الجماعات الناطقة بها من خلاف في شؤونهم السياسية والاجتماعية ، وفي خواصهم الجسمية والنفسية وفي درجة ثقافتهم وما يحيط بهم من ظروف — لا تلبث تحت تأثير هذا كله وما إليه أن تنسحب إلى لهجات مختلفة تسلك كل منها في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها (١).

ولما كانت اللغة الأكادية قد انتشرت في مساحة واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف متعددة من الناس وعاشت أمداً طويلاً ، فلا بد إذن أن تكون قد خضعت لهذا القانون ، وأن يكون قد أصابها ما أصاب غيرها في مثل هذه الظروف ، أي لا بد أن تكون قد انشعبت إلى لهجات محادثة يختلف بعضها عن بعض وتختلف في مجموعها عن لغة الكتابة التي وصلت إلينا . ولما كان وجوه الخلاف الجغرافية والاجتماعية السابق ذكرها أوضح ما يكون بين المناطق الشمالية (آشور) والمناطق الجنوبية (بابل) وبين سكان هذه وسكان تلك ، فلا بد إذن أن لهجات الشمال كانت تختلف في مجموعها اختلافاً غير يسير عن لهجات الجنوب .

٥ — مراحل اللغات الأكادية :

ولا بد كذلك ، وفقاً للقانون السابق ذكره أن تكون اللغة الأكادية ، قد اختلفت باختلاف العصور متأثرة في اختلافها هذا بعوامل كثيرة من أهمها الشؤون السياسية وتنازع السلطان بين بابل وآشور . ويمكن تقسيمها من هذه الناحية إلى المراحل الآتية :

١ — العصر السابق للقرن العشرين ق . م . وفي هذا العصر كانت السيطرة

(١) انظر تفصيل هذا القانون وآثاره وأمثله في صفحات : ١٥٦ — ١٦٥ من كتابنا علم اللغة ، الطبعة الثالثة .

السياسية لمملكة بابل . وقد وصلت إلينا اللغة في هذا الدور عن طريق نقوش على التماثيل وبعض كتب ورسائل محفورة على الخزف .

٢ — العصر الممتد من القرن العشرين إلى أواخر السابع أو أوائل السادس ق . م . وفي هذا العصر انتاب بابل عوامل الضعف والهرم ، فطمع فيها كثير من الأمم ، وسقطت أكثر من مرة في أيدي المغيرين من الأجانب ، ثم انتهى بها الأمر إلى الخضوع لمملكة آشور التي كانت قد بلغت في هذا الدور أقصى ما أتيح لها أن تبلغه من قوة ومنعة . وعاشت هذه الإمبراطورية الآشورية حتى سنة ٦٠٦ ق . م ، ثم دالت دولتها ، وكان هذا نهاية العهد بها في التاريخ القديم . وقد وصلت إلينا اللغة في هذا الدور عن طريق آثار كثيرة عثر عليها في المناطق الآشورية .

٣ — العصر الممتد من أواخر القرن السابع إلى أواخر القرن السادس ق . م . وفي هذا الدور بعثت الإمبراطورية البابلية مرة أخرى ، وكان ذلك سنة ٦٢٦ ق . م ، ولكنها لم تعمر طويلا في هذه المرة ، فقد سقطت في قبضة الفرس سنة ٥٣٩ ق . م . وتسمى هذه الدولة بالدولة البابلية الجديدة . وقد وصلت إلينا اللغة في هذه المرحلة عن طريق آثار كثيرة تبدو فيها دلائل التطور اللغوي . ولذلك جرت عادة الباحثين بتسمية اللغة في هذا الدور البابلية الحديثة Néo-babylonien .

٤ — العصر الممتد من أواخر السادس حتى أوائل الرابع ق . م أو أواخره . وفي هذه المرحلة أخذت غارات القبائل الآرامية على العراق تشتد وطأتها وتستفحل آثارها وأخذت اللغة الآرامية تقتحم على الأكادية معاقبها وتنزعها منها معقلا معقلا ، فلم ينتصف القرن الرابع ق . م حتى كانت الآرامية قد طغت على جميع الألسنة في هذه المناطق ، وكانت الأكادية من عداد اللغات الميتة في المحادثة . ولكنها بقيت بعد ذلك عدة قرون مستخدمة في بعض الأوساط لغة كتابة وأدب ودين . وتدلنا بعض الآثار على أنها قد ظلت مستخدمة في هذه الشؤون حتى قبيل الميلاد المسيحي .

الفصل الثاني

اللغات الكنعانية

١ - الشعوب الكنعانية

نزحت الشعوب الكنعانية على الراجح من القسم الجنوبي الغربي من بلاد العرب ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك^(١) . وقد استقرت ببلاد فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط ، وأنشأت بهذه المناطق ، قبل أن ينزح إليها الآراميون بأكثر من ألف سنة ، حضارات زاهرة وممالك قوية كان لها شأن كبير في التاريخ القديم . وامتد نفوذ هذه الممالك في عصورها الذهبية إلى كثير من الأمم المجاورة ، وامتد استعمارها إلى سواحل أوروبا الجنوبية وشمال أفريقيا . وكان لها بشمال أفريقيا مستعمرة قوية نازعت روما سلطانها حيناً من الدهر ، ونشبت بينهما حروب استغرقت نحو مائة وعشرين عاماً (٢٦٤ - ١٤٦ ق م) : تلك هي مدينة قرطاجنة .

وأشهر الشعوب الكنعانية شعبان : الشعب الفينيقي ؛ والشعب العبري .

٢ - اختراع الكنعانيين الرسم السامي

الراجح عند الباحثين أن الرسم السامي قد ظهر لأول مرة في بلاد الكنعانيين . ويمتاز هذا الرسم عن جميع أنواع الرسم المتداولة قبل ذلك بأنه رسم هجائي بحت Alphabétique أي يرمز كل حرف فيه إلى صوت مفرد .

حقاً أن الهيروغليفي عند قدماء المصريين والمسماي عند الأكاديين كانا

(١) انظر صفحة ١٢ .

يرمز ان أحياناً إلى الأصوات ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك^(١) ، وكما تكلمنا عنه بتفصيل في كتاب « علم اللغة »^(٢) . ولكن هذا الأسلوب كان ممزوجاً في هذين الخطين بأسلوب الرسم المعنوي Idéographique ؛ فكان كثير من رموزهما ، بل معظم رموزهما ، يشير إلى معان لا إلى أصوات . على أن رموزها الصوتية نفسها لم تكن رموزاً هجائية ترمز إلى أصوات مفردة كما هو شأن الرسم السامي ، بل كانت رموزاً مقطعية يرمز كل منها إلى صوتين فأكثر . ولا يستثنى من ذلك إلا بعض علامات في الهيروغليفى كانت ترمز إلى أصوات مفردة (صورة الشفتين مثلا فقد كانت ترمز أحياناً في هذا الخط إلى صوت الراء المجردة ، كما يرمز لذلك حرف الراء في العربية^(٣)) .

ومن الراجح أن الفينيقيين هم أول من اخترع الرسم السامى واستخدمه ، وقد اضطرهم إلى ذلك نشاطهم التجارى وكثرة تنقلهم وتعدد علاقاتهم بمختلف الشعوب ؛ فقد كانت هذه الشؤون تقتضيهم فى جميع أعمالهم السرعة فى الحركة والاقتصاد فى الجهود وتحرى وجوه الدقة . والأسلوب الهجائى هو أسرع الأساليب وأدناها إلى الكمال . وليس من شك فى أنهم قد حاكوا فى أسلوبهم هذا بعض ما كان يشتمل عليه الخط الهيروغليفى من صور هجائية . بل أنه قد ثبت أنهم أخذوا أخذاً عن هذا الخط ثلاثة عشر حرفاً من حروفهم البالغة اثنين وعشرين حرفاً . وقد انتشرت حروف الهجاء الفينيقية فى معظم أنحاء العالم القديم ، واستخدمها كثير من شعوبه . ومنها تفرعت بشكل مباشر أو غير مباشر جميع حروف الهجاء التى استخدمت فيما بعد فى مختلف اللغات الإنسانية .

(١) انظر صفحة ٣٠ .

(٢) انظر صفحات ٢٤٥ - ٢٤٨ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

(٣) يشتمل الرسم الهيروغليفى على ٢٤ رمزاً من هذا النوع ، ترمز إلى جميع ما تشتمل عليه لغتهم من أصوات ساكنة (غير لينة) . فقد كان فى استطاعتهم إذن أن يتركوا أسلوب الرسم المعنوي وينشئوا رسماً هجائياً بحتاً يعتمد على هذه الرموز الاربع والعشرين ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

فمن الحروف الفينيقية اشتقت الحروف العبرية القديمة ، ومن هذه الحروف اشتق الرسم العبرى الحديث الذى اشتهرت تسميته بالعبرى المربع *hébreu carré* وهو الذى استخدم بعد رجوع بنى إسرائيل من نفى بابل ، وظل مستخدما إلى الآن بدون أن يناله تغيير ذو بال .

ومن الفينيقية اشتق كذلك نوعان من الرسم قريبا الشبه بالرسم العبرى الحديث (العبرى المربع) : أحدهما الرسم التدمرى^(١) أو البالميرينى *Palmyrenien*^(٢) ، والآخر الخط النبطى *Nabatéen* . ومن التدمرى اشتقت الحروف السريانية التى أخذت منها الخطوط المغولية والمنشورية . ومن الخطين النبطى والسريانى اشتقت حروف الهجاء العربية .

ومن الرسم الفينيقى اشتق كذلك الرسم الآرامى . بل إن الآرامى فى أقدم أشكاله لا يكاد يختلف عن الرسم الفينيقى . وعن الآرامى أخذت الحروف الهندية — الباكترانية *Indo-bacteriens*^(٣) التى كانت مستخدمة فى شمال الهند ، ومن هذه الحروف اشتقت جميع الحروف المستخدمة الآن فى مختلف لغات الهند وسيام وكامبوجو وماليزيا .

ومن الرسم الفينيقى اشتق كذلك الرسم السبئى أو اليمنى أو خط المسند ، ومن هذا الخط اشتقت جميع الخطوط الحبشية السامية .

ومن الحروف الفينيقية اشتق كذلك الرسم الإغريقى^(٤) ، ومن الرسم

(١) نسبة إلى تدمر ، وهى مملكة قديمة كانت تشمل جزءا كبيرا من سوريا الحالية . ومعنى تدمر فى العبرية بلاد النخيل .

(٢) نسبة إلى بالميرين *Palmyrène* وهو اسم أفرنجى لبلاد تدمر ومعناه هو معنى تدمر فى العبرية أى بلاد النخيل .

(٣) نسبة إلى باكتران *Bactriane* وهى منطقة قديمة يسكنها الإيرانيون وتشمل بعض مناطق تركستان وفارس .

(٤) أدخل الإغريق على الرسم السامى القديم إصلاحات كثيرة ، من أهمها زيادة حروف ترمز إلى جميع أصوات المد (لأن الرسم السامى القديم كان مجردا من هذه الحروف . كما سيأتى بيان ذلك) .

الإغريقي أخذت الحروف اللاتينية ، ومن الرسمين الإغريقي واللاتيني تفرعت جميع أنواع الرسم المستخدمة في مختلف اللغات الأوروبية في العصر الحاضر (١) .

هذا ولا نعلم على وجه اليقين متى نشأ الخط السامي . وقد ظل العلماء حتى نهاية القرن التاسع عشر يعتقدون أن هذا الخط لم ينتشر قبل القرن العاشر ق . م . وذلك لأن أقدم ماعثر عليه حتى نهاية القرن التاسع عشر من النقوش المدونة بالخط السامي هو نقش الملك ميشع Mésa ملك المؤابيين (٢) الذي سجل فيه حروبه وانتصاراته على ملك إسرائيل . وتاريخ هذا النقش لا يكاد يتجاوز سنة ٩٠٠ ق . م (٣) . وزادهم تمسكا بهذا الرأي أن رسائل العمارة السابق ذكرها (٤) والتي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر ق . م مدونة بالرسم السامري الأكادي لا بالرسم السامي مع أن بعضها كان صادراً من بلاد كنعان التي هي مهد الخط السامي : فكان هذا في نظرهم أقطع دليل على أن الرسم السامي لم يكن قد ظهر في هذا العهد ، أو على الأقل لم يكن قد انتشر استعماله بعد .

ولكن في بداية القرن العشرين عثر المنقبون في شبه جزيرة سينا على آثار مدونة برسم هجائي بحت قريب من الرسم الفينيقي يرجع تاريخها إلى المرحلة المحصورة بين أوائل القرن العشرين وأواخر القرن الخامس عشر ق . م (٥) . وفي سنة ١٩٢٣ كشف العالم الأثري بيير مونتيه P. Montet عن لوحة منقوشة برسم هجائي سامي بحت يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر ق . م . وتتعلق بقبر أحيرام Ahiram ملك جبيل (من أشهر مدن الفينيقيين وهي ما يسميها القرنجة

(١) انظر تفصيل الكلام على الرسم وتاريخه وما يتصل به في صفحات ٢٤٤ — ٢٥٤ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

(٢) تقع بلاد مؤاب في الجنوب الشرقي من البحر الميت .

(٣) عثر على هذا النقش سنة ١٨٦٨ وهو الآن بمتحف اللوفر بباريس .

(٤) انظر صفحة ٢٧ ، وتعليقها .

(٥) انظر صفحة ٢٧ .

(٥) V. Langues du Monde 96, 97 .

بيبلوس^(١) . ومنذ هذه الكشوف عدل العلماء عن رأيهم القديم بهذا الصدد ،
وأصبح من المقرر أن الرسم السامي كان منتشر الاستعمال قبل القرن العاشر ق . م .
ببضعة قرون .

ولا يرمز الرسم السامي القديم إلا للأصوات الساكنة (المقابلة لأصوات
المد) . وهذا هو أظهر وجه من وجوه تقصه . ولكنه ليس تقصاً ذا بال في كثير
من اللغات السامية . وذلك أن أهمية الأصوات الساكنة في الدلالة تزيد كثيراً في
هذه اللغات على أهمية أصوات المد ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك^(٢) . فرسم
الأصوات الساكنة في الكلمة يكفي إذن مع مساعدة السياق لإرشاد القارىء إلى
النطق الصحيح .

ومع ذلك فقد شعر الساميون أنفسهم بهذا النقص ، وسبب لهم بعض
الاضطراب ، وخاصة في قراءة بعضهم للغات بعض أو في قراءة نصوص للغة سامية
ميتة ، أو لأساليب قديمة من لغة حية . ومن أجل ذلك لجأ بعضهم إلى استخدام
بعض الحروف الساكنة للإشارة إلى أصوات المد الطويلة (التي يرمز إليها في
العربية بالألف والياء والواو) واخترع بعضهم علامات جديدة للدلالة على ذلك .
ثم استخدم في بعض الخطوط السامية أسلوب الشكل للرمز إلى أصوات المد
القصيرة (التي يرمز إليها في العربية بالفتحة والكسرة والضمة) . وسار الرسم
الجبشي بعيداً في هذا السبيل فحرص على الرمز إلى جميع أصوات المد بتغييرات
تلتحق صورة ما يسبقها من الحروف الساكنة ، كما سيأتى بيان ذلك في الفصل
الخامس .

والاتجاه الغالب للرسم السامي هو الاتجاه الأفقي من اليمين إلى الشمال .

(١) لم يستخدم في هذا النقش إلا عشرون حرفاً من مجموعة الحروف الفينيقية البالغ
عددها ٢٢ حرفاً V Larousse du 20ème siècle, mots : alphabet, écriture .

(٢) انظر صفحة ٢٠ .

٣ - اللغة الكنعانية الأولى وما تفرع منها

لم نقف على الكنعانية في عهودها القديمة ، أى قبل أن تنشعب إلى الفينيقية والعبرية وما إليهما ، إلا عن طريق أثرين : أحدهما ناقص كل النقص ؛ وثانيهما مشكوك في مبلغ تمثيله لهذا الدور . أما أولهما فمجموعة كلمات وعبارات كنعانية وردت مدونة بالخط المسماري في ثنانيا رسائل تل العمارنة التي سبقت الإشارة إليها (القرن الرابع عشر ق . م^(١)) . ولقطة هذه الكلمات والعبارات وتشتتها في ثنانيا الرسائل السابقة لم نقف منها على شيء يعتد به بصدد اللغة الكنعانية الأولى . ومع هذا فقد كشف العلماء عن وجوه شبه كثيرة بينها وبين اللغة العبرية . وأما ثانيهما فنقش ميشع Mesa ملك مؤاب الذي سبقت الإشارة إليه كذلك^(٢) . وقد ألفت عبارات هذا النقش بلسان كنعاني خالص ودون برسم سامي بحت . وكشف العلماء كذلك عن وجوه شبه كبيرة بين اللهجة التي دون بها واللغتين الفينيقية والعبرية . ولا يظهر هذا الشبه في أصول المفردات فحسب ، بل يظهر كذلك في الأساليب وقواعد الاشتقاق والتنظيم . غير أن هذا النقش مشكوك في مبلغ تمثيله للغة الكنعانية الأولى . وذلك أن تاريخه يرجع إلى القرن التاسع ق . م . أى إلى عهد حديث كان فيه اللغتان الفينيقية والعبرية تامتى التكوين . ولذلك يرى كثير من العلماء أنه لا يمثل الأصل الأول الذي انشعبت عنه هاتان اللغتان ، بل يمثل أختا لها أى لهجة متفرعة من الأصل نفسه الذي تفرعتا عنه ، وهى اللهجة المؤابية أو لهجة المؤابيين أو أهل مؤاب^(٣) .
ومهما يكن من شيء في أمر اللغة الكنعانية الأولى ، فإن من المقطوع به أن

(١) انظر صفحة ٢٧ وتعليقها .

(٢) انظر صفحة ٣٧ وتعليقها الثانى والثالث .

(٣) ورد في العهد القديم أن المؤابيين من نسل لوط ابن أخى إبراهيم الخليل ، فهم يرجعون

إذن إلى الأصل الذى يرجع إليه بنو إسرائيل .

اللهجات التي انشعبت عنها ومن أهمها الفينيقية والعبرية اللتين سنقف على دراستهما القسم الباقي من هذا الفصل ، تربطها صلة قرابة وثيقة ببقية اللغات السامية . غير أنها إلى اللغات الأكادية والآرامية أقرب رحماً منها إلى المجموعة الجنوبية (العربية واليمينية والحبشية) . ومن أجل ذلك يقسم كثير من المحدثين اللغات السامية إلى شعبتين يجمع بين أفراد كل شعبة منهما من أواصر القرابة اللغوية ووجوه الشبه أكثر مما يجمع بينها وبين أفراد الشعبة الأخرى : إحداهما يسميها الشعبة الشمالية وتشمل الأكادية والسكنعانية والآرامية ؛ والأخرى تسمى الشعبة الجنوبية وتشمل العربية واليمينية القديمة والحبشية .

٤ — اللغة الفينيقية واللهجة البونية

١ — اللغة الفينيقية الأصلية :

وصلت إلينا اللغة الفينيقية الأصلية عن طريق نقوش قديمة عثر على بعضها في المواطن الأولى للفينيقيين (صور ، صيدا ، جبيل Byblos ... الخ) ، وعلى بعضها في مستعمراتهم ومواطن نفوذهم وخاصة في جزر البحر الأبيض المتوسط (قبرص Chypre وغيرها) . وأقدم هذه النقوش يرجع تاريخه إلى القرنين التاسع والعاشر ق م ؛ ولكن معظمها يرجع تاريخه إلى القرن الخامس ق م والقرون التالية له . ووجوه الشبه بين اللغة التي دونت بها هذه النقوش واللغة العبرية قوية جداً فيما يتعلق بأصول الكلمات ، أي الأصوات الساكنة التي تتألف منها أصول المفردات ؛ وهذه الأصوات وحدها هي التي وقفنا عليها عن طريق هذه النقوش ؛ لأن الرسم الفينيقي ما كان يرمز في عهوده الأولى إلا للأصوات الساكنة كما تقدمت الإشارة إلى ذلك^(١) .

أما أصواتها اللينة (أصوات المد) فلم نقف عليها إلا عن طريق الرسم اليوناني

(١) انظر صفحة ٣٨ .

لبعض الأعلام والكلمات الفينيقية . ومع ضآلة المعلومات التي يقدمها إلينا الرسم اليوناني بهذا الصدد ، فقد استنبط العلماء على ضوءه أن مسافة الخلف بين الفينيقية والعبرية في أصوات المد كانت أوسع كثيراً من مسافة الخلف بينهما في الأصوات الساكنة .

وكذلك الشأن فيما يتعلق بالقواعد ، وخاصة قواعد التنظيم (السنكس Syntaxe أى قواعد تركيب الجمل ووظائف المفردات . . . وما إلى ذلك^(١)) . فمع الإيجاز المستخدم في عبارات النقوش التي وصلت إلينا عن هذه اللغة ، فإنه يظهر منها أن الفينيقية تختلف عن العبرية في هذه الناحية اختلافاً غير يسير . فمن ذلك مثلاً أنها تستخدم فعلاً مساعداً قبل الفعل المتحدث عنه لتحديد زمنه وبيان استمراره ، كما هو الشأن في اللغة العربية (كان يضرب ، كنا نضرب . . . الخ) ، وهذا الأسلوب لا نظير له في اللغة العبرية .

٢ - اللهجة البونية :

و بفضل مستعمرات الفينيقيين انتشرت لغتهم في كثير من البلاد الواقعة على سواحل البحر الأبيض وفي كثير من جزره . غير أنه لم تتوطد لها أسباب القوة والبقاء إلا في مستعمرتهم الإفريقية الشهيرة ، ونعني بها مدينة قرطاجنة والبلاد المتاخمة لها . ولتمييز اللهجة القرطاجنية عن اللغة الفينيقية الأصلية اصطاح العلماء على

تسميتها « باللهجة البونية » Punique^(٢) . وقد وصلت إلينا اللهجة البونية عن طريق نقوش عشر عليها في منطقة قرطاجنة يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الرابع ق . م . ومع كثرة عددها فإن معظمها موجز كل الإيجاز ، وكثير منها مضطرب الحقائق مبهم الدلالة . وطريقة

(١) انظر في شرح السنكس الفقرة الأولى من مقدمة كتابنا « علم اللغة » .

(٢) هذه الكلمة مأخوذة من كلمة لاتينية معناها « فينيقي » . وهكذا كان يسمى الرومان

أهل قرطاجنة وجميع ما ينسب إليهم .

77 .

رسمها تختلف بعض الاختلاف عن طريقة الرسم الفينيقى الأسمى . ولكنها تتفق معها فى الشكل العام للحروف وفى أنها تقتصر على الرمز إلى الأصوات الساكنة . ولذلك لم تقف عن طريقها إلا على أصول المفردات .
أما أصواتها اللينة (أصوات المد) فلم تقف عليها إلا عن طريق قطعة تمثيلية هزلية ألفها الشاعر الرومانى بلوت Plaute فى أواخر القرن الثالث ق . م ، تحت عنوان « القرطاجينيين » Poemulus . فقد ورد فى هذه القطعة على لسان أحد أبطالها بعض أبيات باللغة القرطاجنية . وتلدوين هذه الأبيات فى القصة بحروف لاتينية ، روعى فيها طريقة الرسم اللاتينى التى لا تقتصر على الرمز إلى الأصوات الساكنة فى الكلمة بل ترمز كذلك إلى أصواتها اللينة (أصوات المد الطويلة والقصيرة) . وغنى عن البيان أن أبياتاً هذا شأنها وشأن مؤلفها والقطعة التى وردت فيها ومناسبة تأليفها ... لا تمثل النطق القرطاجنى إلا فى صورة محرفة ناقصة . ولكن يستخلص منها على كل حال أن اللهجة البونية كانت تختلف فى بعض مظاهر الصوت عن اللغة الفينيقية الأصلية .

٣ — نهاية اللغة الفينيقية واللهجة البونية :

ويظهر أن الفينيقية بآسيا كانت أطول عمراً من أختها العبرية . ولكن من المقطوع به أنها أخذت تتأثر بالآرامية منذ عهد بعيد قبل الميلاد المسيحى ، كما تدل على ذلك آثارها المتأخرة ، وأنه لم يأت القرن الأول قبل الميلاد حتى كانت الآرامية قد قضت عليها كما قضت على أختها العبرية من قبل (أواخر القرن الرابع ق . م ^(١)) وكما قضت من قبلهما على الأكادية (أوائل القرن الرابع ق . م ^(٢)) .

أما اللهجة البونية ، فقد عمرت أمداً طويلاً على الرغم من انعزالها عن مناطق

(١) انظر الفقرة التالية صفحات ٤٨ ، وتوابعها .

(٢) انظر ص ٣٣ .

اللغات السامية وشدة الكفاح بينها وبين اللغات السائدة إذ ذاك في شمال أفريقيا ،
وهي اللهجات البربرية (لهجات السكان الأصليين) واللغة اللاتينية (التي كان
لأهلها نفوذ استعماري واسع وجاليات كبيرة في هذه الجهات) . ولعل اختلاف
فصيلتها عن الفصائل التي تنتمي إليها هذه اللغات ^(١) هو الذي أتاح لها طول البقاء
وجعل سبل التغلب عليها وعرة عسيرة كما تنص على ذلك قوانين الصراع اللغوي ^(٢) .
ويظهر أنها ظلت حية بهذه المناطق أمداً طويلاً بعد سقوط قرطاجنة في
أيدي الرومان (١٤٦ ق . م) . فلدينا من الأدلة ما يحمل على الظن أنها بقيت
لغة حديث بين السكان حتى القرن الخامس الميلادي . أي بعد الاحتلال الروماني
بأكثر من ستة قرون ؛ بل لدينا من الأدلة ما يحمل على الظن أنها بقيت في بعض
هذه المناطق حتى الفتح العربي لشمال أفريقيا (القرن السابع الميلادي) ثم
صرعتها اللغة العربية مع ماصرعتها من اللهجات في هذه البلاد . غير أن ما وصل
إينا من آثارها في مرحلتها الأخيرة التي تبدأ من سقوط قرطاجنة بأيدي الرومان
في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد ، يدلنا على أنها قد اجتازت في أصواتها
ومفرداتها ودلالاتها مراحل كثيرة في سبيل التطور ، فبعدت بذلك عن أصلها
القديم . ولذلك جرت العادة بتسميتها في هذه المرحلة بالبونية الحديثة
. Néo-puniqué

٥ — اللغة العبرية

١ — أهميتها والمتكلمون بها وصلتها باللغات الكنعانية الأخرى :

تعد اللغة العبرية أهم اللهجات الكنعانية على الإطلاق ، وأوسعها انتشاراً ،
وأكثرها إنتاجاً في مختلف فنون القول : في الدين والآداب والتاريخ والفلسفة
والعلوم ... وهلم جرا . بل أنها لتعد من أغنى لغات العالم قاطبة في هذه الشؤون .

(١) البربرية من الفصيحة الحامية ، واللاتينية من الفصيحة الهندية — الأوروبية .

(٢) انظر الفصل الخامس صراع اللغات في كتاب « علم اللغة » للمؤلف . ١٧٧ .

وحسبها ثروة وشرفاً أنه قد دون بها جميع أسفار العهد القديم^(١) وكتب المشناه . وقد اكتسبت بفضل ذلك أهمية دينية كبيرة في البلاد المسيحية ، فأصبحت مكاتبها في هذه البلاد تشبه من بعض الوجوه مكانة لغة القرآن في البلاد الإسلامية الناطقة بغير اللسان العربي .

وعلى الرغم من تسميتها اللغة العبرية ، فهي ليست لغة جميع العبريين ، بل لغة فرع واحد من فروعهم وهو فرع بني إسرائيل^(٢) . وقد نزع بنو إسرائيل من شبه جزيرة سيناء^(٣) وأغاروا على بلاد كنعان ، ففتحوها قسماً كبيراً منها ودانت لسلطانهم واستقروا بفلسطين حوالي القرن الثالث عشر ق . م . ومع أنهم دخلوا على هذه البلاد ، فإن لغتهم تتفق مع لغاتها في معظم مظاهر الصوت والقواعد وأصول المفردات ، وتتولف معها شعبة واحدة . وقد اختلف العلماء في تعليل هذه الظاهرة :

فبعضهم يرى أن سبب هذه المشابهة يرجع إلى أن لغتهم قد انتقل إليها من لغات السكان الأصليين كثير من المفردات ومظاهر الصوت والدلالة وقواعد الصرف والاشتقاق ... وما إلى ذلك . وهذا هو أضعف الآراء بهذا الصدد ؛ لأن المشابهة بين العبرية وبقية اللغات الكنعانية ليست من النوع السطحي الذي يمكن أن يرجع سببه إلى الاقتباس . على أن الاقتباس لا يكاد يجري إلا في المفردات ، أما القواعد فليست من الأمور التي تنتقل من لغة إلى أخرى^(٤) .

(١) ما عدا بعض أجزاء من سفرى عزرا ودانيال وآية من سفر أرمياء دونت باللغة الآرامية مباشرة كما سيأتى بيان ذلك .

(٢) تتألف الأمم العبرية من بني إسرائيل وجملة شعوب أخرى كآل أدوم وأهل مؤاب وعمون ... الخ ولكن لا يطلق اسم اللغة العبرية إلا على لغة بني إسرائيل وحدهم .

(٣) تذكر الكتب المقدسة أنهم قد نزحوا إلى شبه جزيرة سيناء من مصر .

(٤) إذا انتقلت القواعد من لغة إلى أخرى كانت انتقالها إيداناً بزوال اللغة التي انتقلت إليها واندماجها في اللغة التي انتقلت منها . انظر شرح هذا الموضوع في صفحات ٢٠٣ — ٢٠٥ ،

٢١٤ ، ٢١٥ . من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

و بعضهم يرى أن سبب اتفاق لغتهم مع بقية اللغات الكنعانية يرجع إلى أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من هذه البلاد ، ثم هاجروا منها ، ثم عادوا إليها ثانية عن طريق سينا ، وظلوا في أثناء المدة الطويلة التي قضاوها في مهجرهم محتفظين بلسانهم القديم ، ولم يتأثروا إلا قليلاً بألسنة الأمم التي أقاموا بين أهلها . ويجد هذا الرأي بعض التأييد فيما ورد في الكتب المقدسة بصدده تاريخ بني إسرائيل .

و بعضهم يرى أن السبب في هذا يرجع إلى أن اللغة الأصلية لبني إسرائيل قد اشتبكت مع اللسان الكنعاني في صراع انتهى بتغلبه عليها وفقاً لنواميس الصراع اللغوي^(١) ، فانقرضت لغتهم الأولى شيئاً فشيئاً وانتقلت إليهم لغة السكان الأصليين . غير أنه قد نال هذه اللغة في ألسنتهم كثير من التحريف في أصواتها ومفرداتها وبعض مظاهر قواعدها ، فنشأ من جراء ذلك لهجة متميزة عن اللهجات الكنعانية الأخرى .

ولا تسمح لنا معلوماتنا التاريخية في الوقت الحاضر أن نقطع برأى من هذين الرأيين الأخيرين أو أن نرجح صحة ؛ وإن كان المتداول المشهور بين معظم المحدثين من الباحثين اعتبار بني إسرائيل من الشعوب الكنعانية كما تقدم بيان ذلك^(٢) .

٢ — المراجع التي وصلت إلينا اللغة العبرية عن طريقها :

وصلت إلينا اللغة العبرية عن طريق ثلاثة مراجع : أحدها الكتب التي دونت بها ، وهي أسفار العهد القديم ، والمشناة وملحقاتهما وعدد كبير من المؤلفات القانونية والفلسفية والعلمية والأدبية التي دونها بهذه اللغة علماء اليهود في مختلف العصور . وثانيها بعض نقوش أثرية على لوحات من الصخر والمعدن . وثالثها

(١) تقرر هذه النواميس أنه في مثل الحالة التي نحن بصدد الكلام عنها تغلب لغة الشعب الذي يزيد عدد أفراده عن عدد أفراد الشعب الآخر زيادة كبيرة . ولا شك أن عدد الكنعانيين كان يزيد كثيراً عن عدد الغزاة من بني إسرائيل . انظر تفصيل ذلك وأمثله في صفحتي ٢٠٩ ، ٢١٠ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

(٢) انظر ص ٣٤ .

استخدام اليهود لها في تلاوة بعض الأوراد الدينية وآيات التوراة .. وما إلى ذلك .
ومن الواضح أنه لم يصل إلينا عن هذه الطرق إلا لغة الكتابة كما هو شأن
الأكدية والفينيقية . أما اللهجات التي كانت مستخدمة في التخاطب طوال المدة
التي كانت العبرية في أثنائها لسان محادثة بين بنى إسرائيل فلم يصل إلينا عنها شيء
يعتد به . ولكن يفهم مما ورد في الإصحاح الثاني عشر من سفر القضاة أن النطق
ببعض الكلمات كان يختلف باختلاف المناطق ، وأن بعض المناطق كان يصعب
على أهلها النطق بكلمات منتشرة في مناطق أخرى^(١) .
ويضاف إلى هذا النقص في معلوماتنا عن اللغة العبرية نقص آخر ، وهو أننا
لم نقف بشكل يقيني على كيفية النطق بأصواتها ومفرداتها . وذلك أنه ليس من
بين المراجع الثلاثة السابقة التي وصلت إلينا هذه اللغة عن طريقها ما يقفنا بشكل
يقيني على كيفية النطق .

أما المراجع المدونة في الكتب أو المنقوشة على اللوحات الصخرية أو النقود
فلا تمثل النطق العبري إلا في صورة ناقصة مبتورة . وذلك لأن الرسم العبري
— كسائر أنواع الرسم السامي — كان يقتصر في مراحله الأولى على الرمز إلى
الأصوات الساكنة في الكلمة . هذا إلى أن الأصوات الساكنة نفسها ليست
ممثلة فيه تمثيلاً كاملاً . فهو لا يضع لكل صوت عام أكثر من حرف هجائي
واحد ، مع أن الصوت العام كثيراً ما يندرج تحته أصوات مختلفة في مخرجها ونبرتها
وقوتها ومدته النطق بها وما إلى ذلك^(٢) .

وأما المرجع الثالث الذي وصلت إلينا هذه اللغة عن طريقه وهو تلاوة اليهود

(١) انظر الإصحاح الثاني عشر من سفر القضاة ، وخاصة الآية السادسة منه ، فقد ورد
فيها أن بعض الفارين من الجيش في حرب أهلية قبض عليه خصومه فأذكروا أنه من الفريق الآخر ،
فطلب إليه أن ينطق بكلمة عبرية فلم يستطع النطق بها صحيحة لأن لهجته لم تواته ، فافتضح بذلك أمره .
(٢) ليس هذا مقصوداً على الرسم العبري ، بل هو نقص يشترك فيه جميع أنواع الرسم
الحديث ؛ انظر « علم اللغة » للمؤلف صفحتي ٢٤٩ ، ٢٥٠ الطبعة الثالثة . (٢)

لبعض الأوراد وآيات التوراة . . . فلا يقفنا كذلك بشكل يقينى على النطق العبرى الصحيح . وذلك أن العلماء لم يعنوا بملاحظة هذه التلاوة إلا منذ القرن السابع الميلادى ، أى بعد أن انقرضت اللغة العبرية بأكثر من عشرة قرون^(١) ، وغنى عن البيان أن عبارات يتناقلها الخلف عن السلف فى أثناء مدة طويلة كهذه لا بد أن ينال أصواتها الأولى كثير من التحريف تحت تأثير التطور الطبيعى لأعضاء النطق^(٢) ، وتفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض ، وتأثرها بالأصوات الحديثة ، والأخطاء السمعية التى تحدث فى أثناء تناقلها . . . وما إلى ذلك من عوامل التطور الصوتى التى تكلمنا عنها بتفصيل فى كتاب « علم اللغة »^(٣) . ويؤيد ذلك أنه قد ورد فى أقدم ترجمة للعهد القديم (الترجمة السبعينية Version de Septante) وهى التى تمت فى أوائل القرن الثالث ق . م (سنة ٢٨٢ أو ٢٨٣ ق . م) فى عهد بطليموس فيلادلفيا على يد اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر ، بعض كلمات وجمل عبرية مدونة برسم يونانى ، وأنه بالموازنة بين نطق هذه الكلمات والجمل حسب رسمها اليونانى والنطق الذى وصل إلينا عن طريق تلاوة اليهود للأوراد الدينية وآيات التوراة يظهر فرق كبير بين النطقين .

٣ — مراحل اللغة العبرية :

هذا وقد اجتازت اللغة العبرية مراحل كثيرة تأثرت فى كل مرحلة منها بعدة

(١) انقرضت اللغة العبرية من التخاطب فى أواخر القرن الرابع ق . م كما سيأتى بيان ذلك .
(٢) من المقرر أن أعضاء النطق فى الإنسان فى تطور طبيعى مطرد فى بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها . فحاجرتنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلقوتنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين ، بل إنها لتختلف فى ذلك عما هى عليه عند آبائنا الأقربين . وغنى عن البيان أن كل تطور يحدث فى أعضاء النطق أو فى استعدادها يتبعه تطور فى أصوات الكلمة ، فتتحرف هذه الأصوات عن الصورة التى كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر منها ملاءمة مع الحالة التى انتهت إليها أعضاء النطق (انظر صفحات ٢٦٤ — ٢٦٧ من كتاب « علم اللغة » للمؤلف ، الطبعة الثالثة) .

(٣) انظر صفحات ٢٦٤ — ٢٨٥ من كتاب « علم اللغة » الطبعة الثالثة .

مؤثرات من أهمها الشؤون السياسية وما طرأ على وحدة بني إسرائيل واستقلالهم وعلاقتهم بالشعوب الأخرى . وترجع هذه المراحل إلى عصرين رئيسيين : العصر الأول من نشأة هذه اللغة (حوالى القرن الثالث عشر ق . م) إلى أواخر القرن الرابع ق . م ، أى طوال المدة التى كانت العبرية فى أثنائها لغة حية يتكلم بها بنو إسرائيل ، ويسمىها علماء اللغة فى هذا العصر بالعبرية القديمة *hébreu ancien* أو « عبرية العهد القديم » ، وذلك لأن أهم ما وصل إلينا من آثارها فى هذا العصر هى أسفار العهد القديم ؛ والعصر الثانى يبدأ من العهد الذى انقضت فيه العبرية من التخاطب واقتصر استخدامها على الكتابة وتلاوة بعض الأوراد والآيات ، أى من أواخر القرن الرابع ق . م إلى العصر الحاضر . ويسمونها فى هذا العصر بالعبرية اللاحقة للعهد القديم ، أو عبرية ما بعد « العهد القديم » *hébreu post-biblique* . وستكلم على كل عصر من هذين العصرين على حدة : (العصر الأول) يبدأ هذا العصر كما قلنا من نشأة اللغة العبرية (حوالى القرن الثالث عشر ق . م) إلى أواخر القرن الرابع ق . م ، فيستغرق المدة التى كانت العبرية فى أثنائها لغة حية فى التخاطب . وينقسم هذا العصر نفسه إلى مرحلتين : المرحلة الأولى تنتهى بنفى بابل سنة ٥٨٧ ق . م ^(١) ؛ وتستغرق المدة التى تمتع فى أثنائها بنو إسرائيل باستقلالهم السياسى الكامل ، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الذهبية للغة العبرية *âge d'or* ، وذلك أنه فى هذه المرحلة بلغت اللغة العبرية عنفوان مجدها ووصلت إلى أقصى ما أتيح لها أن تصل إليه من الرقى والتهديب واتساع النفوذ وقوة السلطان ؛ وكانت فى أثنائها فصيحة خالصة من الشوائب . والقرون الثلاثة الأخيرة من هذه المرحلة (من النصف الأخير من القرن التاسع

(١) فى سنة ٥٨٧ ق . م أغار بختنصر ملك بابل على فلسطين فأزال ملك بني إسرائيل وأسر منهم عدداً كبيراً أجلاهم إلى بابل (ولذلك اشتهر ذلك فى التاريخ باسم نفي بابل) حيث ظلوا فى الأسر حتى تغلب كوروش ملك الفرس على البابليين عام ٥٣٩ ق . م فأطلق سراح اليهود ، ورجع كثير منهم إلى فلسطين .

حتى أوائل القرن السادس ق . م) هي التي دون فيها أسفار العهد القديم (أسفار التكوين والخروج والتثنية ويوشع والقضاة و صموئيل والملوك والأمثال ونشيد الأناشيد وقسم كبير من الأنبياء ... الخ) . وأقدم ما وصل إلينا من آثار هذه المرحلة قصيدة حماسية دينية وردت في الإصحاح الخامس من سفر القضاة منسوبة إلى حكيمة من حكيما ت بنى إسرائيل تدعى « دبورا » chant de Debora . يظن أنها عاشت حوالي القرن الثاني عشر ق . م . فتاريخ هذه القصيدة يرجع إذن إلى مبدأ العهد الذي استقر فيه بنو إسرائيل ببلاد فلسطين . وقد وصل إلينا كذلك من آثار هذه المرحلة غير الكتب المدونة ، نقش تاريخي هام ، وهو اللوحة التذكارية لنبع عين السلوان Siloé التي عثر عليها سنة ١٨٨٠ في النفق نفسه الذي انبجست منه هذه العين في قرية السلوان بالقرب من مدينة بيت المقدس . ويرجع تاريخ هذا النقش إلى السنين الأخيرة من القرن الثامن ق . م .

وأما المرحلة الثانية من هذا العصر فتبدأ من نفي بابل سنة ٥٨٧ ق . م ، وتنتهي بانقراض اللغة العبرية من التخاطب في أواخر القرن الرابع ق . م وحلول الآرامية محلها ، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الفضية للغة العبرية *âge d'argent* . وقد أخذت عوامل الفناء ، منذ بداية هذه المرحلة ، تدب شيئاً فشيئاً إلى اللغة العبرية ، وأخذت الآرامية تقتحم عليها معانها وتنتقص من مناطقها قليلاً قليلاً حتى قضت عليها كما قضت على الأكادية من قبل . حقاً أن اليهود الذين أجلاهم بختنصر إلى بابل قد حرصوا على لغتهم كل الحرص طوال مدة نفيهم وبعد عودتهم إلى بلادهم ، وأن اليهود الذين لم يشملهم هذا النفي بقوا بفلسطين لم يقلوا عن إخوانهم رغبة في الإبقاء على لسانهم ، وأن أحبار اليهود ورؤساءهم لم يألوا جهداً في محاربة الآرامية وبث كرهاها في نفوس بني إسرائيل . ولكن هذا كله لم يستطع سبيلاً إلى وقف تيار الآرامية ، ولم يقو على تعويق قوانين الصراع اللغوي . فلم يكد ينتهي القرن الرابع ق . م حتى كانت العبرية في عداد اللغات الميتة في التخاطب . وقد ذلل للآرامية سبل التغلب

على العبرية اتجاؤها إلى شعبة لغوية واحدة ، وقوة أواصر القرابة التي تربط كليهما بالأخرى^(١) وتفكك بني إسرائيل في هذا العصر وانحلال سلطنتهم السياسي . وأهم ما وصل إلينا من آثار هذه المرحلة بعض أسفار العهد القديم (يونس ، زكريا ، قسم من دانيال ... الخ) وبعض آثار أدبية تعد من أرقى ما وصل إلينا من هذه اللغة . ويبدو في مخلفات هذه المرحلة بواهر التأثير باللغة الآرامية . (العصر الثاني) يبدأ من العهد الذي انقرضت فيه اللغة العبرية من التخاطب واقتصر استخدامها على الكتابة وبعض الشئون الدينية ، أي من أواخر القرن الرابع ق . م إلى العصر الحاضر ، وتسمى اللغة العبرية في هذا العصر بعبرية ما بعد العهد القديم *hébreu post - biblique* . وينقسم هذا العصر كذلك إلى مرحلتين تمتاز كل منهما بمميزات لغوية خاصة :

المرحلة الأولى تنتهي بفاتحة العصور الوسطى . وتسمى اللغة العبرية في هذه المرحلة بالعبرية الرّبانية أو التلمودية ، وذلك لأن أهم ما وصل إلينا من آثارها في هذه المرحلة هو بحوث الربانيين في التلمود . فقد تألف من محوّمهم في شئون الدين والقانون والتاريخ المقدس ... وما إلى ذلك ثلاثة وستون كتاباً باللغة العبرية أطلق عليها اسم المشناة ، ثم شرحت هذه المشناة فيما بعد باللغة الآرامية وأطلق على هذا الشرح اسم الجمارا ؛ وتآلف من المشناة والجمارا ما أطلق عليه اسم التلمود . ووصل إلينا كذلك من آثار هذه المرحلة غير كتب المشناة ، مؤلفات كثيرة في مختلف فروع الآداب والعلوم والفلسفة والدين .

وتختلف آثار هذه المرحلة في فصاحة لغتها وصحتها تبعاً لاختلاف المؤلفين في مبلغ تمكّنهم من هذه اللغة وإلمامهم بأدائها القديمة . وليكنها تمتاز على العموم

(١) من المقرر أنه كلما قربت اللغتان المتصارعتان إحداهما من الأخرى سهل على أقوامها التغلب ، انظر الفصل الخامس بصراع اللغات من كتاب « علم اللغة » للمؤلف .

بشدة تأثرها باللغة الآرامية . ويظهر فيها كذلك شيء غير يسير من مظاهر التأثر ببعض اللغات الهندية — الأوربية التي احتك اليهود بأهلها احتكاكاً سياسياً أو ثقافياً ، وخاصة اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية . وإليك مثلاً المنشأة نفسها : فمع أنها قد دونت باللغة العبرية ، فإن كثيراً من المفردات التي استخدمت فيها مقتبس من اللغة الآرامية ؛ وتشتمل كذلك على عدد غير يسير من الكلمات الإغريقية واللاتينية والفارسية . ولكن هذا لا ينقص شيئاً من قيمتها اللغوية والتاريخية ؛ وذلك أن ما بها من كلمات أجنبية لا يعد شيئاً مذكوراً بجانب ما استخدمته من المفردات العبرية والكنعانية التي لا يوجد بعضها في « العهد القديم » نفسه .

وأما المرحلة الثانية من هذا العصر ، فتبدأ من فاتحة العصور الوسطى حتى العصر الحاضر . وتسمى اللغة العبرية في هذه المرحلة بالعبرية الحديثة Néo-hébreu . وقد كتب بها في هذه المرحلة عدد كبير من علماء اليهود المنتمين إلى مختلف الشعوب والناطقين بشتى اللغات : فمنهم الألمان ومنهم الإنجليز ومنهم الفرنسيون ومنهم العرب ... وهلم جرا . وتمتاز العبرية في هذه المرحلة بشدة تأثرها باللغة العربية وباللغات الأوروبية الحديثة . ويرجع الفضل في تأثرها باللغة العربية إلى شدة احتكاكها من الناحية الثقافية في هذه المرحلة وإلى المؤلفات العربية التي نقلها علماء اليهود إلى العبرية فزادوا بذلك ثروة لغتهم في الطب والعلوم والفلسفة والآداب . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تجاوزوه إلى ميدان الشعر نفسه ؛ فقد اقتبس اليهود في هذه المرحلة بحور الشعر العربي وأساليبه ونظموا على غرارها باللغة العبرية كثيراً من القصائد والمقطوعات .

وتختلف آثار هذه المرحلة في فصاحة لغتها وصحتها تبعاً لاختلاف المؤلفين في مبلغ تمسكهم من العبرية وإلمامهم بأدبها القديمة : فشأن كل منهم كشأن أحدنا إذ يؤلف مثلاً باللغة الفرنسية أو الإنجليزية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر قوى اتجاه اليهود في مختلف أنحاء العالم إلى إحياء اللغة العبرية ، فوسعوا نطاق استعمالها في الشؤون الدينية والأدبية وفي ميادين الترجمة والتأليف . وقد قوى هذا الاتجاه بوجه خاص في أوربا الشرقية وفلسطين ؛ فقد حرص اليهود المهاجرون إلى هذه البلاد التي يعدونها « وطنهم القومي » على إحياء قوميتهم ولغتهم ، فبعثت العبرية بفضل هذه العناية خلقاً جديداً في ميادين الكتابة والآداب ، بل أخذ بعضهم يستخدمها في التخاطب العادي . غير أن استخدامها في هذا الميدان لا يزال ضعيفاً محدوداً .

٤ - رسم اللغة العبرية :

اشتق الرسم العبري ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، من الفينيقي . وتتألف حروف هجائه من اثنين وعشرين حرفاً ترمز إلى اثنين وعشرين صوتاً ساكناً ؛ ويكتب من اليمين إلى الشمال متفرق الحروف ما عدا الألف واللام فترسمان متصلتين . وقد اجتاز في سبيل تطوره أربع مراحل :

١ - ففي المرحلة الأولى كانت أشكال حروفه لا تختلف كثيراً عن الحروف الفينيقية القديمة . ويعرف في هذه المرحلة باسم العبري القديم .

٢ - وفي المرحلة الثانية ظهر تأثيره بالرسم الآرامي ، تبعاً لتأثر اللغة العبرية باللغة الآرامية . ومن ثم نشأ نوع جديد من الرسم اشتهرت تسميته بالرسم العبري الحديث أو العبري المربع hébreu carré . وقد اقتصر في المبدأ استخدام هذا الرسم الجديد على الشؤون الدينية ، أما فيما عداها فقد ظل اليهود يستخدمون الرسم القديم أمداً طويلاً .

٣ - وحوالي القرن السادس الميلادي أدخل على هذا الرسم إصلاح جديد ؛ إذ استخدمت الألف والهاء والواو والياء للرمز إلى أصوات المد الطويلة ، فساعد ذلك على ضبط النطق وحفظ الكلمات من التحريف .

٤ — وفي العبرية الحديثة أدخل إصلاح آخر إذ اخترع نظام الحركات للإشارة إلى أصوات المد القصيرة . وقد اتخذت ثلاث طرق لرسم هذه الحركات : إحداها تعرف بالطريقة الطبرية système tiberien نسبة إلى مدرسة من العلماء تسمى مدرسة طبرية لنشأتها بمدينة طبرية بفلسطين . وهذه الطريقة ترمز إلى أصوات المد القصيرة بعلامات تحت الحروف . وهي أشهر الطرق الثلاث ، ولا يكاد يستخدم غيرها في العصر الحاضر . وقد اشتهر في النطق بالكلمات المدونة بهذه الطريقة أسلوبان يختلف كل منهما عن الآخر اختلافاً يسيراً : أحدهما يسمى أسلوب اليهود الغربيين أو الأسلوب الألماني rite allemand ؛ والآخر يسمى أسلوب اليهود الشرقيين أو الأسلوب البرتغالي rite portugais .

وثانيتهما تعرف بالطريقة العراقية أو البابلية système babylonien ، لأن الفضل في اختراعها يرجع إلى مدارس أحبار اليهود بالعراق . وهذه الطريقة ترمز إلى أصوات المد القصيرة بعلامات توضع فوق الحروف . وقد انقرضت هذه الطريقة بانقراض المدارس البابلية التي أنشأتها (حوالى القرن التاسع الميلادى) . والطريقة الثالثة تعرف بالطريقة الفلسطينية ، وهي تشير إلى هذه الأصوات بعلامات فوق الحروف كما تفعل الطريقة العراقية ، ولكنها تختلف عنها في صورة هذه العلامات ودلالاتها .

هذا ، وقد استخدم أحياناً في تدوين العبرية بعض رسوم أجنبية وبخاصة الرسمان العربي واليوناني .



الفصل الثالث

اللغات الآرامية

١ - نشأة الآرامية وانتشارها :

يؤخذ من بعض الآثار الآشورية - البابلية أن القبائل الآرامية كانت تنتقل ، منذ القرن الخامس عشر ق . م ، في الصحراء المتاخمة لمنطقة ميزوبوتاميا ، وأنها كانت مصدر قلق وإزعاج لسكان هذه المنطقة وما إليها من البابليين والآشوريين ، فكانت لا تفتأ تشن عليهم الغارات ، وتقطع الطرق ، وتنشر الرعب على حدود هذه البلاد .

وقد نزحت بعض قبائلهم من هذه الصحراء إلى بلاد سوريا وفلسطين وما إليها حوالي القرن الخامس عشر ق . م ، واستقروا في منطقة مجاورة لمناطق الكنعانيين الذين سبقوهم في الهجرة إلى هذا القسم بنحو عشرة قرون^(١) . وكان يسكن المنطقة التي استقر بها الآراميون ؛ شعوب غير سامية كانت في درجة راقية من الحضارة .

وبذلك انقسمت مواطن الآراميين قسمين : قسم في الشمال الغربي على تخوم البلاد الكنعانية ؛ وقسم في الشرق في صحراء ميزوبوتاميا على حدود بابل وآشور . أما في الشمال الغربي فقد أخضعوا لسلطانهم السكان الأصليين للمنطقة التي استقروا فيها ، وأنشئوا بها بضع دويلات آرامية مستقل بعضها عن بعض . واشتبكت لغتهم في صراع مع لغات السكان الأصليين وكتب لها النصر عليها

(١) كانت هجرة الكنعانيين إلى هذه البلاد في نحو القرن الخامس والعشرين أو السادس والعشرين ق . م كما تقدم ذلك بصفحة ١٢ تعليق رقم ٢ .

وفقاً لقوانين الصراع اللغوي^(١) . ولكنهم مع ذلك انتفعوا أيما انتفاع بحضارة هؤلاء السكان وثقافتهم وآدابهم وصناعاتهم وما كان لهم من نشاط في مختلف مظاهر الحياة . وانتفعوا كذلك انتفاعاً كبيراً بحضارة جيرانهم الكنعانيين ، وعندهم أخذوا حروف الهجاء الآرامية وكثيراً من أساليب الرسم .

وأما في الشرق فلم يستقر سلطانهم في بلاد العراق إلا بعد استقراره في الشمال الغربي بأمد طويل . ومع ذلك ، فقد أخذ نفوذهم يتغلغل في هذه البلاد منذ عصر سحيق في القدم ، وأخذت لغتهم تقتحم على الأكادية معاقليها وتنتزعها معقلا معقلا ؛ فلم ينتصف القرن الرابع ق . م حتى كانت الآرامية قد طغت على جميع الألسنة في هذه المناطق ، وكانت الأكادية من عداد اللغات الميتة في الحداثة كما سبقت الإشارة إلى ذلك^(٢) .

ثم اشتبكت الآرامية في صراع مع لغات الكنعانيين جيران الآراميين في الشمال الغربي ، وكتب لها النصر كذلك في هذا الصراع ، فقصت على العبرية في أواخر القرن الرابع ق . م ، وعلى الفينيقية في القرن الأول ق . م ، كما سبق القول في الفصل الثاني من هذا الكتاب^(٣) .

وبذلك ورثت الآرامية أخواتها الشرقية والشمالية جميعا ، وأصبحت اللغة السائدة في التخاطب في جميع بلاد العراق من جهة وفي سوريا وفلسطين وما إليهما من جهة أخرى . وقد بلغت عنفوان مجدها ووصلت منطقتها إلى أقصى درجات اتساعها في المرحلة المحصورة بين سنتي ٣٠٠ ق . م و ٦٥٠ بعد الميلاد . فقد باغت في هذه المرحلة مساحة البلاد الناطقة بالآرامية نحو ٦٠٠ ألف كيلومتر مربع . وكان لها فوق ذلك منزلة اللغة الدولية في كثير من المناطق المجاورة لبلادها ،

(١) انظر تفصيل هذه القوانين بالفصل الخاص بصراع اللغات في كتابنا « علم اللغة » .

(٢) انظر آخر ص ٣٣ .

(٣) انظر القسم الأخير من ص ٤٢ و صفحتي ٤٣ و ٤٩ وأول ص ٥٠ .

وخاصة في عهد الحكم الفارسي لهذه المناطق . وامتد نفوذها إلى آسيا الصغرى نفسها ، على الرغم من أنه لم يهاجر إليها إلا عدد قليل من الآراميين . فقد عثر بآسيا الصغرى على نقود صدرت في عهد بعض ولاة الفرس تحمل رموزا وكلمات آرامية . وهذا يدل على أن الآرامية كانت اللغة الرسمية لهذه البلاد . بل يظهر أنها كانت تستخدم فيها أحيانا لتدوين بعض المنتجات العلمية والأدبية ، كما يدل على ذلك نقش عثر عليه حديثا في كاپادوس cappadoce (من أعمال آسيا الصغرى) (١) . وامتد نفوذ الآرامية إلى بلاد تدمر والنبط وشبه جزيرة سينا كما يظهر ذلك من الآثار التي عثر عليها في هذه المناطق والتي سنتكلم عنها في الفقرة الثالثة من هذا الفصل . وكان للآرامية في مصر نفسها في العهد الفارسي منزلة لا تقل عن منزلتها في البلاد السابق ذكرها ، بل امتد نفوذها في مصر إلى ما بعد العهد الفارسي بزمن طويل ، كما تدل على ذلك الوثائق التي عثر عليها بجزيرة فيلة (أنس الوجود) والتي سنتكلم عنها في الفقرة الثالثة من هذا الفصل (٢) . ولم يقف نفوذها عند هذا الحد ، بل جاوزه إلى مناطق اللغة العربية نفسها . فكانت الآرامية تستخدم لغة كتابة في بعض المناطق العربية اللغة ، وخاصة في بلاط النبط كما سيأتي الكلام على ذلك في الفقرة الثالثة من هذا الفصل ، وتركت ، فضلا عن هذا ، آثارا ظاهرة في اللهجات العربية البائدة ، وهي لهجات عربية كانت مستخدمة في بعض مناطق واقعة شمال الحجاز في داخل الحدود الآرامية وعلى تخومها ، وخاصة في واحات تيماء والحجر (مدائن صالح) والاعلا ، كما سيأتي الكلام على ذلك في الفصل السادس .

(١) هذا النقش مؤلف باللغة الآرامية ومدون بالرسم الآرامي .
(٢) يرجع تاريخ هذه الوثائق إلى القرنين السادس والخامس ق . م أي إلى عصر لاحق للعصر الفارسي .

٢ - اللهجات الآرامية :

نجم عن اتساع مناطق اللغة الآرامية وتعدد طوائف الناطقين بها إلى الحد الذي وصفناه أن انشعبت إلى عدة لهجات . وترجع لهجاتها هذه إلى مجموعتين رئيسيتين يفصلهما الفرات وصحراء الشام : إحداهما مجموعة اللهجات الآرامية الشرقية وتشمل اللهجات الآرامية ببلاد العراق في منطقتيها الجنوبية والشمالية ؛ وثانيتها مجموعة اللهجات الآرامية الغربية وتشمل اللهجات الآرامية بسوريا وفلسطين وشبه جزيرة سيناء . . . وما إلى ذلك^(١) . وتختلف هاتان المجموعتان إحداهما عن الأخرى في كثير من مظاهر الصوت والدلالة ، بل وصل الاختلاف بينهما إلى نطاق القواعد نفسها . فمن ذلك مثلاً أن اللهجات الغربية تستخدم الياء في أول المضارع علامة على إسناده للمفرد الغائب ، كما هو الشأن في معظم اللغات السامية ، على حين أن اللهجات الشرقية تستبدل النون بهذه الياء . ومن ذلك أيضاً أن علامة التعريف الآرامية الملحقة بآخر الاسم (آ) ، قد فقدت في اللهجات الشرقية وظيفتها وأصبحت جزءاً من الكلمة لا تدل على التعريف .

١ - - وتنقسم المجموعة الشرقية إلى لهجات كثيرة أهمها أربع لهجات :

إحداها اللهجة الجنوبية التي شرح بها يهود مدرسة بابل كتاب المشناه (ويسمى هذا الشرح الجمارا ، ويتألف منه مع المشناه ما يعرف بتلمود بابل) .

وثانيتها اللهجة المندائية أو المندعية Mendéen التي كان يتكلم بها طائفة المندائيين أو المندعيين ، وهي طائفة تقطن كذلك جنوب العراق .

وثالثها اللهجة الحرائية التي تنسب إلى مدينة حران في شمال العراق . وقد كانت هذه المدينة مركزاً هاماً من مراكز الثقافة الآرامية ؛ وقد زاد من شأنها شدة

(٢) كان القدامى من علماء اللغة يقسمونها إلى السكلدانية والسريانية ، ويسمون الأولى الآرامية الشرقية والثانية الآرامية الغربية . وهذا في الحقيقة تقسيم لآرامية العراق وحدها التي نسميها نحن الآن بالآرامية الشرقية .

احتكاكها بالفلسفة اليونانية . وقد انتفع العرب أيما انتفاع بالثقافة الحرائية ،
واستخدم الخلفاء العباسيون كثيراً من النابهين من علماء حران لترجمة بعض
الكتب الفلسفية من الآرامية واليونانية إلى اللغة العربية .

وراعتها اللهجة السريانية ، وهي لهجة مدينة إدسا ، Edessa كما كان يسميها
اليونان ، أو أرهي Orhai كما كان يسميها السريان أنفسهم ، أو الرها كما كان
يسميها العرب^(١) (وهي واقعة في شمال حران) . والسريانية هي أهم اللهجات
الآرامية على الإطلاق وأغناها في الإنتاج الأدبي والعلمي والفلسفي . فقد كانت
الرها ، منذ اعتنق أهلها المسيحية في القرن الثاني الميلادي ، أهم مركز للثقافة في
الشرق المسيحي ، وكانت لغتها أهم لغة للآداب المسيحية بوجه خاص ، بل يغلب
على الظن أن لهجتها كانت مستخدمة لغة أدب وكتابة في منطقة كبيرة من شمال
العراق من قبل العصر المسيحي . وقد أتاحت لها فرص كثيرة للاحتكاك باليونانية ،
فاقتبست كثيراً من مفرداتها ، وتأثرت بأساليبها ، وانتفعت بمنهج التفكير
اليوناني ، فغزرت بذلك مادتها ، واتسع نطاقها ، وقويت على التعبير عن مختلف
حقائق الدين والفلسفة والعلوم . وظلت هذه اللهجة محتفظة بوحدها طوال المدة
التي كانت الكنيسة السريانية محتفظة بوحدها في أثنائها ، أي من نشأة هذه
الكنيسة إلى القرن الخامس الميلادي . ثم حدث الخلاف المشهور بين علماء
السريان بصدده ازدواج طبيعة المسيح ووحدها ، فاقسمت الكنيسة السريانية
إلى فريقين : السريان الغربيون الخاضعون للإمبراطورية اليونانية الذين اعتنقوا
مذهب يعقوب بارادوس Jacob Barados القائل بوحدة طبيعة المسيح ، وقد
اشتهروا باليعاقبة ؛ والسريان الشرقيون الخاضعون للإمبراطورية الفارسية الذين
اعتنقوا مذهب نستوريوس Nostorius القائل بازدواج طبيعة المسيح أي بأنه
جامع بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية ، واشتهروا باسم النساطرة . وأدى هذا

(١) حرف اسمها في القرن الخامس عشر إلى أورفا وبه تعرف الآن .

الانقسام الديني إلى انقسام أدبي ولغوي . فقد اتجهت اللغة وآدابها عند كل فريق من هذين الفريقين وجهة تختلف عن وجهتها عند الفريق الآخر .
ولذلك انقسمت اللغة السريانية إلى لهجتين : اللهجة اليعقوبية ؛ واللهجة النسطورية . وأخذت مسافة الخلف تتسع بينهما شيئاً فشيئاً حتى تميزت كل منهما عن الأخرى في كثير من ظواهر الصوت والدلالة والقواعد ونطق الكلمات ورسمها ... وهلم جرا . وقد طبع هذا الخلاف بطابع رسمي ثابت بعد الفتح العربي لهذه البلاد . فقد خشى السريان على لغتهم أن تمتد إليها يد التحريف فتحرف معها عبارات الكتاب المقدس المترجمة إليها ، فعمل كلا الفريقين على ضبط قواعدها ، وتحديد أصواتها ، والطريقة التي تقرأ بها آيات العهدين القديم والجديد . فنجم عن ذلك طريقتان في قراءة الكتاب المقدس : إحداهما الطريقة الشرقية أو النسطورية ؛ والأخرى الطريقة الغربية أو اليعقوبية . والطريقة الأولى هي أقربهما إلى اللغة القديمة .

هذا ، وقد كان للغة السريانية ومنتجاتها أثر كبير في الآداب والعلوم العربية وخاصة في العصر العباسي كما سيأتي بيان ذلك في الفصل السادس من هذا الكتاب .

٢ — وتنقسم الآرامية الغربية بحسب عصورها إلى لهجات كثيرة أشهرها ثلاث لهجات تمثل كل لهجة منها مرحلة خاصة من مراحل التطور :
(إحداهما) الآرامية الغربية في أقدم عهودها (حوالى القرن الثامن ق . م) ولم يصل إلينا عن هذه اللهجة إلا بعض نقوش سنتكلم عنها في الفقرة التالية .
(وثانيتها) اللهجة التي دون بها بطريق مباشر بعض أجزاء من سفرى عزرا Esdras ودانيال وآية من سفر أرمياء .
(وثالثتها) الآرامية الفلسطينية الحديثة ، وهي التي استخدمها اليهود في الغرب في ترجمة العهد القديم عن العبرية وفي شرح كتاب المشناة (يسمى هذا

الشرح «الجمارا» ويتألف منه مع المشناة ما يعرف بتلمود بيت المقدس) ، واستخدمها المسيحيون بسوريا وفلسطين في ترجمة العهدين القديم والجديد عن اليونانية ، بعد أن تحرروا من النفوذ السرياني في ناحيتي الثقافة والدين . وذلك أن المسيحيين في هذه البلاد ظلوا تابعين للنفوذ السرياني في ناحيتي الثقافة والدين منذ القرن الثالث الميلادي ، ولذلك كان اعتمادهم على الترجمة السريانية للكتاب المقدس . ولكن انقسام الكنيسة السريانية إلى فرق متحاربة قد أضعف من نفوذها في الغرب وأتاح لنصارى سوريا وفلسطين فرصة للاستقلال عن السريان في آدابهم ومذاهبهم الدينية . فانفصلوا عن يعاقبة الشرق ونساطرته وأنشؤا لأنفسهم مذهبا دينيا خاصا بهم ، وترجموا إلى لهجتهم أسفار العهد القديم والجديد ، وانفصلوا عنهم كذلك في ثقافتهم وآدابهم . وقد بدأت نهضتهم هذه منذ القرن الخامس الميلادي .

٣ - الآثار التي وصلت إلينا عن الآرامية :

تقدم أن اللهجات الآرامية ترجع إلى مجموعتين رئيسيتين يفصلهما الفرات وصحراء الشام : إحداهما مجموعة اللغات الآرامية الشرقية ؛ والأخرى مجموعة اللغات الآرامية الغربية . وقد وصل إلينا عن كل مجموعة من هاتين المجموعتين آثار كثيرة .

(أولا) فأما آثار المجموعة الغربية فيرجع أهمها إلى الطوائف الست الآتية :

١ - النقوش الممثلة للآرامية الغربية في أقدم عهودها . وأهم هذه النقوش نقش منسوب لملك حماه (بين دمشق وحلب) يرجع تاريخه إلى حوالي القرن الثامن ق . م ونقوش تنسب لمملوك شمال Sam'al يرجع تاريخها إلى عصر متأخر قليلا عن العصر السابق^(١) ، ومن أهم هذه النقوش الأخيرة نقش الملك « بركب » الذي عثر عليه في تل زنجيرلي Singerlei سنة ١٨٩١ في قرية بين انطاكية ومرعش في شمال حلب .

(١) بعض هذه النقوش غير آرامي .

وقد كتبت هذه النقوش برسم قريب كل القرب من الرسم الكنعاني القديم، ولكنه متميز عنه ببعض الخواص. وهذا يؤيد ما قلناه من أن الرسم الآرامي مشتق مباشرة من الرسم الفينيقي^(١).

٢ — بعض أجزاء من العهد القديم دونت مباشرة باللغة الآرامية، وهي قسم من سفر عزرا Esdras يرجع تاريخ تدوينه إلى حوالي سنة ٣٠٠ ق. م. وقسم من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ١٦٧ أو ١٦٦ ق. م.، وآية من سفر أرمياء Jérémie^(٢).

٣ — الآثار المصرية، وتطلق على بعض وثائق تشتمل على رسائل وعقود مدونة بالآرامية على البردي والخزف، وعثر عليها في جزيرة فيلة (أنس الوجود) بمصر. ويرجع تاريخها إلى القرنين السادس والخامس ق. م. وقد اختلف الباحثون في تعليل تدوينها باللغة الآرامية. فذهب بعضهم إلى أن كتبة العقود بمصر في ذلك العهد كان معظمهم من اليهود؛ وكانت لغة اليهود حينئذ هي الآرامية. ويرجح كثير من المحدثين، ومن بينهم الأستاذ مرسل كوهين، أن جزيرة أنس الوجود كان يقطنها في ذلك العصر جالية يهودية تتكلم الآرامية^(٣). ولغة هذه الآثار لا تختلف في شيء عن اللغة التي دون بها بعض أجزاء من سفرى عزرا ودانيال. والحروف التي رسمت بها تشبه الحروف العبرية المربعة. وتعد هذه هذه الوثائق أقدم ما وصل إلينا من الآثار السامية المدونة بالمداد.

٤ — الآثار التدمرية: عثر في مدينة تدمر^(٤) على آثار كثيرة مدونة بالآرامية وأهمها النقش الخاص بالضريبة المفروضة على البضائع التي تدخل المدينة.

(١) انظر ص ٣٦.

(٢) يضاف إلى ذلك كلمتان في سفر التكوين وردتا بالآرامية عن قصد.

(٣) Langnes du Monde 107.

(٤) تقع على مسافة ١٦٠ كيلومتراً في الجنوب الشرقي من دمشق، وهي قاعدة مملكة تدمر.

الشهيرة التي كانت الزباء ملكة عليها في بعض عصورها.

وقد ألحق بكثير من هذه الوثائق ترجمته باليونانية . وبعض هذه الوثائق يرجع تاريخه إلى القرون الثلاثة الأولى ق . م ، ولكن معظمها يرجع تاريخه إلى القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد (١٢٨ — ٢٧١) . ولغة الآثار القديمة منها ، وهي التي يرجع تاريخها إلى القرون الثلاثة الأولى قبل الميلاد ، تشبه اللغة التي دون بها بعض أجزاء من سفرى عنزرا ودانيال ؛ على حين أن لغة الطائفة الحديثة منها ، وهي التي يرجع تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد تشبه الفلسطينية الحديثة التي تقدم الكلام عنها^(١) . والرسم الذي دونت به هذه الوثائق قريب من رسم الوثائق المصرية السابق ذكرها .

أما أهل تدمر الذين تنسب إليهم هذه الوثائق فالراجح أنهم آراميون ، وإن كانوا خاضعين فى السلطان السياسى لبعض أسرات عربية .

٥ — الآثار النبطية : عثر فى كثير من بلاد النبط وخاصة فى بترى Petra أو الصخرة^(٢) (والعرب يسمونها « سَلْع »)^(٣) بطورسينا وبصرى Bostra بالشام ومنطقة العلا بالحجاز فى واحى تيماء والحجر Tayma, el Higr على آثار كثيرة مدونة باللغة الآرامية يتمثل معظمها فى نقوش على القبور . ويتردد تاريخ هذه الوثائق بين أوائل القرن الأول ق . م وأوائل الرابع بعد الميلاد . واللغة التي دونت بها لا تختلف كثيراً عن الفلسطينية الحديثة . وقد دونت برسم نبطى تتصل

(١) انظر آخر صفحة ٥٩ وأول ٦٠ .

(٢) الأول اسمها اليونانى والثانى معنى اسمها بالعربية .

(٣) بهذا الاسم ذكرها ياقوت فى معجم البلدان والفيروزابادى فى القاموس ، ومعنى سلع فى العربية الشق فى القدم والشق فى الجبل . ويظهر أن اليهرد قد حرفوا كلمة سلع إلى أقرب لفظ اليها فى لغتهم وهو « سالع » ومعناه الصخرخاء اليونان من بعدهم وترجموا الكلمة العربية إلى لغتهم . أنظر فى هذا الموضوع كلمة نفيسة للدكتور رمسيس جرجس فى عدد يولية سنة ١٩٤٥ من مجلة « الشرق الجديد » تحت عنوان « الاسم العربى لبطرا اليونانية » ، وقد انتهى فى هذا البحث إلى أن الاسم العربى لهذه البلدة هو « الرقيم » المشار إليه فى القرآن والحديث .

هذا ، وقد ذكر البكرى فى « معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع » أن « سلعا » بفتح فسكون جبل متصل بالمدينة ومكان بالمعافر من اليمن . ولم يذكر من مدلولاته البلد الذى نحن بصدده .

بعض حروفه بما قبلها . وهي أقدم ما وصل إلينا من الآثار السامية المنقوشة على الحجر برسم متصل الحروف .

وقد اختلف الباحثون في الأصل الذي انحدر منه النبطيون . فبعضهم يذهب إلى أن معظمهم ينحدر من أصول آرامية ؛ فلا غرابة في نظر أصحاب هذا المذهب في أن النبط كانوا يستخدمون الآرامية . وبعضهم يذهب إلى أنهم ينتمون إلى أصول عربية ، ولكنهم كانوا يستخدمون الآرامية لغة كتابة . وإلى هذا الرأي الأخير يميل كثير من الباحثين ^(١) .

٦ — الآثار الممثلة للآرامية الفلسطينية في أدوارها الحديثة (من ميلاد المسيح) . وتنقسم هذه المجموعة من الآثار أقساماً كثيرة أهمها قسمان : الآثار اليهودية ؛ والآثار المسيحية .

(١) أما الآثار اليهودية فهي أهم ما وصل إلينا من الآثار الآرامية الغربية على الإطلاق وأغزرها مادة . وهي تمثل الجهود الجبارة التي قام بها الرابانيون والأخبار لنشر تعاليم الدين اليهودي بين أفراد شعبهم عن طريق نقل الكتب المقدسة والمؤلفات الدينية والتشريعية من العبرية التي كانت قد انقرضت من التخاطب في ذلك العصر إلى الآرامية التي كان يتكلم بها حينئذ سكان فلسطين . وكانوا في أول الأمر يعتمدون على الشرح الشفوي . فكانوا في العبادات والطقوس الدينية والدروس والعضات . . . وما إلى ذلك ، يتبعون الآية أو العبارة العبرية بترجمتها الآرامية . ثم آثروا تدوين هذه التراجم . فتألف من ذلك كتب كثيرة أهمها ترجمة أسفار العهد القديم وشرح أسفار المشناة . أما فيما يتعلق بالعهد القديم فقد كانوا يدونون الآية بنصها العبري ثم يتبعونها بترجمتها بالآرامية . وتسمى كتبهم هذه «الترجوم» . ومن أشهرها ترجموم أنقلوس Onkelos وهي ترجمة لأسفار التوراة وحدها ، وترجوم يوناثان وهو ترجمة بقية أسفار العهد القديم . وأما فيما يتعلق

V. Brockelmann, op. cit. 28, 29.
V. aussi Langues du monde 109.

(١) من هؤلاء العلامة بروكلمان

بالمشناة ، فكانوا يدونون الأصل العبري ويشرحونه شرحاً بالآرامية . ويطلق على هذه الشروح اسم الجمارا Guemara . ومن نصوص المشناة وشروح الجمارا التي قامت بها هذه المدارس الغربية يتألف ما يسمى بتلمود بيت المقدس . وقد ألفت هذه التراجم والشروح في عدة عصور . فأقدمها يرجع تاريخه إلى القرن الثاني بعد الميلاد ؛ ولكن معظمها يرجع إلى القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد .

(ب) وأما الآثار المسيحية فلم يصل إلينا شيء يعتد به مما دون منها في القرون المسيحية الأولى . فمع أن الآرامية كانت لغة المحادثة في العصر الذي ظهر فيه المسيح ، ومع أنها هي التي كان يتكلم بها المسيح نفسه والتي قيلت بها عبارات الأنجيل ، فإنه لم يصل إلينا الأصل الآرامي لهذه الأسفار ، أو لعلمها لم تدون مطلقاً بالآرامية . وأقدم ما وصل إلينا عنها هي ترجمتها اليونانية . ولا تظهر في هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التي كان يتكلم بها أهل فلسطين في ذلك العهد . وتمثل هذه الآثار في نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية . وأهم ما وصل إلينا من هذه الآثار هو ما دونه مسيحيو فلسطين بالآرامية بعد أن استقلوا في ثقافتهم وشؤونهم الدينية عن السريان . وقد تم لهم هذا الاستقلال في أواخر القرن الخامس الميلادي كما تقدمت الإشارة إلى ذلك . ومن أهم ما دونوه بعد ذلك العصر ترجمة العهد القديم والجديد من اليونانية إلى الآرامية . أما ترجمة العهد الجديد فقد استغرق تدوينها وتحريرها مدة طويلة ، من القرن الثامن إلى الحادي عشر بعد الميلاد . ومع ذلك فقد جاءت ترجمة حرفية كالترجمة السريانية ، بل تزيد في حرفيتها عن هذه الترجمة الأخيرة ، وتقل عنها في مبلغ تمثيلها لروح اللغة الآرامية وأساليبها ، وذلك على الرغم من أنها تمت في الموطن الأول الذي نبعت منه الأنجيل . وأما العهد القديم فلم يترجموه عن أصله العبري كما فعل اليهود في « ترجماتهم » السابق ذكرها ^(١) ، بل ترجموه عن

الترجمة اليونانية الشهيرة باسم الترجمة السبعينية Version de Septante.

وقد وصل إلينا كذلك من الآثار المسيحية ترجمة عدد كبير من المؤلفات الإغريقية في الآداب والديانات والأساطير والعلوم.

(ثانيا) وأما الآثار التي وصلت إلينا عن الآرامية الشرقية فيرجع أهمها إلى الطوائف الأربع الآتية :

١ - النقوش الممثلة للآرامية الشرقية في أقدم عهودها . ولم يصل إلينا من هذه الطائفة إلا آثار ضئيلة عثر على أهمها في مدينة آشور ، ويرجع تاريخ أقدمها إلى القرن التاسع ق . م ، ولكن معظمها يرجع تاريخه إلى القرون السابع والسادس والخامس ق . م ، وهي مدونة بالرسم الآرامي القديم ذى الحروف المتفرقة .
٢ - الآثار السريانية . لم يصل إلينا من الآثار السريانية الممثلة للعهد الوثني إلا أثر واحد ، وهو خطاب مارا بن سريون Mara bar Sarapion . ومع قدم العهد الذي كتب فيه هذا الخطاب ، فإن لغته لا تكاد تختلف عن اللهجة السريانية في عصورها الحديثة .

أما في عهدنا المسيحي ، فقد وصل إلينا منها آثار كثيرة أهمها ترجمة العهد القديم والجديد من اليونانية (من القرن الثاني إلى الرابع بعد الميلاد) ومؤلفات دينية أخرى يشتمل بعضها على تراجم وتفسير لطائفة من القسس ، وبعضها على مناقشات دينية وقانونية لطائفة النساطرة واليعاقبة ، وبعضها على شرائع وقوانين مستمدة من التوراة والإنجيل ، وبعضها على قصائد دينية ترتل في الكنائس ، وبعضها على تاريخ الكنيسة السريانية وتاريخ رؤسائها وهلم جرا . هذا إلى طائفة كبيرة من المؤلفات العلمية والفنية في الفلسفة والطب والطبيعة والرياضة والفلك وتقويم البلدان وما إلى ذلك . وكثير من هذه المؤلفات مترجم عن اليونانية^(١) ؛ وبعضها مترجم عن اللاتينية والفارسية .

(١) ترجم بعض هذه المؤلفات من السريانية إلى العربية في صدر العصر العباسي .
(م - ٥)

ويمتاز الخط السرياني القديم المسمى السطرنجيلي (الاسترانجيلي) عن بقية الخطوط الآرامية بكثير من الخواص . ولكن يتفق معها في الشكل العام للحروف وفي السير الأفقي من اليمين إلى الشمال . غير أنه يستفاد من بعض النقوش أنه كان يكتب في بعض العصور من أعلى إلى أسفل .

وبعد أن انقسم السريان إلى نساطرة ويعاقبة أخذ الرسم عند كل فريق منهما يتجه وجهة تختلف عن وجهته عند الفريق الآخر . فاشتق من السطرنجيلي القديم خطان : أطلق على أحدهما اسم الخط النسطوري (ويعرف في الهند باسم الكلداني) ؛ وعلى ثانيهما اسم السرتو (ويعرف كذلك باسم الماروني أو اليعقوبي) . ويختلف هذان الرسمان في أمور كثيرة من أظهرها منهج كل منهما في العلامات المشيرة إلى أصوات المد . فالرسم النسطوري يشير إلى هذه الأصوات بنقط فوق الحرف أو تحته (ويسمى هذا الأسلوب بالطريقة الشرقية) ، والرسم اليعقوبي يشير إليها بحروف يونانية (ويسمى هذا الأسلوب بالطريقة الغربية) .

٣ — تلمود بابل Talmude de Babylone . سلكت مدارس اليهود في بابلونيا حيل المشناة الطريق نفسه الذي سلكته المدارس الغربية بفلسطين^(١) ؛ فشرحه بلهجتها الآرامية في أسفار اشتهرت تسميتها بتلمود بابل^(٢) . وقد شرعوا في شروحه هذه من القرن الرابع بعد الميلاد ولم يفرغوا منها إلا في القرن السادس . ويظهر في اللغة التي دونت بها هذه الشروح كثير من وجوه التأثير باللغة العبرية .

٤ — آثار الطائفة المندائية Mandaïte . ولا تختلف اللهجة التي دونت بها هذه الآثار اختلافاً كبيراً عن اللهجة التي دون بها تلمود بابل . غير

(١) أنظر آخر س ٦٣ وأول ٦٤ .

(٢) يسمى الشرح وحده « الجمارا » والتمن « المشناه » ويتألف من المتن والشرح كما يسمى

« التلمود » .

أنها أقل منها تأثراً باللغة العبرية ، ويرجع تاريخ أقدمها إلى المرحلة المحصورة بين القرنين السابع والتاسع بعد الميلاد ، ويمتاز رسمها عن سائر أنواع الرسم الآرامي ، بل عن سائر أنواع الرسم السامي ، بشدة عنايته بأصوات المد ، حتى أنه لا يكاد يعاثر صوتاً منها بدون أن يرمز إليه .

هذا وقد وصلت إلينا الآرامية كذلك عن طريق السماع ، فهي لا تزال مستخدمة لغة تخاطب حتى العصر الحاضر في بعض المناطق كما سيأتي بيان ذلك .

٤ - نهاية الآرامية :

أخذت اللغة العربية تقتحم على الآرامية معاقلها وتنتزعها منها معقلاً معقلاً حتى قضت عليها في الميدانين الغربي والشرقي .

أما في الغرب فقد اقترضت الآرامية بعد الفتح العربي من لغة التخاطب في معظم مناطق سوريا وفلسطين ، وإن كانت قد بقيت بعد ذلك أمداً غير قصير لغة كتابة وأدب ودين . وقد لقيت العربية مقاومة عنيفة في المناطق الجبلية من هذا القسم ببلاد لبنان وما إليها ، حيث استغرق الصراع بينها وبين الآرامية عدة قرون . فقد ظلت الآرامية لغة حديث في كثير من قرى لبنان حتى أواخر القرن السابع عشر بعد الميلاد . ولعنّف الصراع بين هاتين اللغتين وطول أمده في هذه المناطق أصاب اللغة العربية في السنة أهلها كثير من التحريف ، وبقى في لهجاتهم العربية إلى العصر الحاضر ، كثير من آثار لهجاتهم الآرامية القديمة .

بل إن اللغة الآرامية لا تزال إلى العصر الحاضر لغة حديث في ثلاث قرى

من هذا القسم يبلغ عدد سكانها نحو ألفي نسمة : منها قرية مسيحية تسمى « معلولة » (على بعد خمس وثلاثين كيلواً متراً تقريباً من شمال دمشق) .

وقريتان إسلاميتان مجاورتان لها هما جبعدين ونحفا^(١). ويطلق العلماء على لهجات هذه القرى الثلاث اسم الآرامية الحديثة الغربية Néo Aramien Occidental ، وبعضهم يسميها بالسريانية الغربية Syriaque Occidental . وغنى عن البيان أن هذه اللهجات قد بعدت بعداً كبيراً عن أصولها الأولى ، تحت تأثير ما انتابها من عوامل التطور الطبيعي ، وكثرة المراحل التي اجتازتها في هذا السبيل ، وطول عمرها ، وتأثرها باللغات التي احتكت بها وخاصة اللغة العربية .

وأما في الشرق فقد لقيت العربية مقاومة من مختلف اللهجات الآرامية ، وخاصة السريانية ، ولكن انتهى الأمر بتغلب العربية عليها كما تغلبت على أخواتها في الغرب ، فلم ينصرم القرن السابع حتى انقرضت الآرامية الشرقية من لغات التخاطب في هذه المناطق ، وإن كانت السريانية قد بقيت مستخدمة لغة كتابة وأدب ودين في كثير من الأوساط حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي . وقد أفلت من هذا المصير بعض مناطق جبلية لا تزال إلى العصر الحاضر محتفظة بلهجاتها الآرامية . وتشتمل هذه المناطق على بعض قرى في طور عابدين Tur Abdin بميزوبوتاميا وبعض بلاد في شرق الموصل وشماله وجبال الكرد والشاطئ الشرقي لبحيرة أورميا Ourmia . ويبلغ مجموع السكان في هذه المناطق نحو ربع مليون نسمة^(٢) . ويطلق المستشرقون على هذه اللهجات اسم الآرامية الشرقية الحديثة Néo Aramien Oriental ؛ وبعضهم يسميها بالسريانية الحديثة Néo Syriaque . ولا يختلف حال هذه اللهجات عن حال أخواتها في الغرب .

(١) استعنت في تحرير هذه النقطة بصدقي الأستاذ محب الدين الخطيب مدير المطبعة السلفية . غير أنه يرى أنه لا يبعد أن يكون المستشرقون الذين أخذنا عنهم (بروكلان ، كوهين ، مرهسية ... الخ) قد بالغوا كثيراً لغرض ما في اعتبار هذه اللهجات آرامية . وهو يرجح أنها لهجات عربية كثرت فيها مظاهر التأثر بالآرامية .

(٢) (٢) 114 Langues du monde 36; Rrockelmann . وقد أتيح لي قضاء بضعة أشهر في العراق وملاحظة هذه اللهجات عن كثب ، فتبين لي صدق ما ذهب إليه المستشرقون بصدد انصافها عن الآرامية .

ولهذا نرى لهبها له بياض شديد ...
والله اعلم بالصواب

الفصل الرابع

في بيان قديم لغات قديم ...
اللغات اليمنية القديمة

تعد بلاد اليمن من أقدم مواطن الساميين ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في مقدمة هذا الكتاب^(١) . وقد أنشؤا فيها حضارة من أرق الحضارات القديمة ، وممالك قوية كان لها شأن كبير في التاريخ ، كما يشهد بذلك ما خلفته من آثار ، وما تحدثنا به الكتب المقدسة ويرويه قدامى المؤرخين عن سلطانها العظيم ، ومجدها المؤثر ، وما كان لها ولملوكتها من نفوذ ومكانة عند كثير من الأمم المعاصرة^(٢) .

وقد وصلت إلينا اللغات القديمة لهذه الشعوب السامية عن طريق نقوش كثيرة مدونة على الصخور والأعمدة والقبور والتماثيل والنقود وجدران الهياكل والمذابح ... وما إلى ذلك . ومعظم هذه النقوش عثر عليه في بلاد اليمن نفسها وفي الواحات الواقعة شمال بلاد الحجاز في منطقة العلا ، وبعضها عثر عليه في المناطق الشمالية المتاخمة لبلاد كنعان .

ويطلق العلماء على هذه اللغات إسم « اليمنية القديمة » أو « العربية الجنوبية القديمة » Sud arabiques anciennes أو « التحطانية » ؛ وأحياناً يسمونها

(١) انظر صفحة ١١ وتوابعها .
(٢) عرض القرآن الكريم لكثير من أخبار اليمن وما كان للملكة سبأ مع سليمان ابن داود ملك فلسطين في سورة سبأ والنمل والأنبياء وص والفجر والفيل . وعرض لها كذلك كثير من أسفار العهد القديم (التكوين ، أشعيا ، حزقيال ، الملوك... الخ) ، وعرض التلمود لكثير من أخبار سليمان مع ملكة سبأ . وتكلم عنها كثير من قدامى المؤرخين اليونان والرومان كهيرودوت وسترابون ، وتكلم عنها جميع مؤرخي العرب .

باسم بعض لهجاتها الشهيرة فيطلقون عليها إسم « الحميرية » أو « السبئية » .
وتختلف هذه اللغات عن اللغة العربية اختلافاً جوهرياً في كثير من مظاهر
الضوت والدلالة والقواعد والأساليب ، ويشهد هذا الخلاف في المفردات نفسها .
ويكفي للاقتناع بذلك إلقاء نظرة على النقش السبئي التالي ، وهو أحد النقوش التي
وصلت إلينا عن هذه اللغات ، والموازنة بين عبارته وترجمتها إلى اللغة العربية :

(عبارة النقش مدونة بحروف عربية^(١))

- (١) ب ... وهق ... حنا وصوابت ومحفدت وهجرهمو .
- (٢) مبرام حسسم وا ... م ... م ... م ووسفوور يموكل جنا هو وصوبت .
- (٣) ... جناهو وصووبتبهو ومحفدتبهو بن مريمهو عدى ثرتبهو وهديهو
هو وهعقين .
- (٤) خدعو وهعقبو خلفهو مصرعتم مبرا ومقيح كل صدقم بن موثرم عدى ت .
- (٥) ... ن بمقم مراهيمو عشر شرقا أشمبهو والال تهمو وبانخيل
نومقيمت خميس .
- (٦) حن يورخن ذقيصن ذبخرف ذلشتت وتسعى وثلت ماتم بن خرف
مبحض بن أبحض .

(ترجمته إلى اللغة العربية)

- (١) ... (واعلوا مرة أخرى) السور و ... أبراج مدينتهم .
- (٢) بأدوات البناء ووسعوا كل سورها و ...
- (٣) (سورها و ... وأبراجها من أعلى إلى أسفل مكان وزينوها ب ...
وأبراجها للحراسة .

(١) الأصل مدون بخط المسند كما لا يخفى .

(٤) « وعمرُوا الخلف (؟) على هيئة باب حصن بأحسن أدوات البناء وفن

التعمير من أسفل إلى أعلى... الخلفا قيس والفقلا نحت لعلامته بقلع

(٥) بمجد سيدهم عثرت المشرق وآلهتهم الشموس وسائر الآلهة وبحول وقوة

الخمس (الجيش) . الخلفا قيس والفقلا نحت لعلامته بقلع

(٦) في شهر ذي قيصن من سنة ثلثمائة وست وتسعين بعد سنة مبحوضن

ابن أبحض^(١) . الخلفا قيس والفقلا نحت لعلامته بقلع

فاللغات اليمنية القديمة مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة العربية ، ولكنها
تؤلف معها ومع اللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة يطلق عليها اسم
« الشعبة السامية الجنوبية »^(٢) . وذلك أن صلات القرابة التي تربطها بهذين
الفرعين أقوى كثيراً من صلات القرابة التي تربطها بشعبة اللغات السامية الشمالية
كما يبدو ذلك من الموازنة بينها في أصول الكلمات والأصوات والقواعد^(٣) .
وتختلف هذه الفروع الثلاثة نفسها في مبلغ قربها بعضها من بعض . فصلة القرابة
بين اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية أقوى كثيراً من صلة القرابة بين
كل منهما واللغة العربية . ويرجع السبب في ذلك إلى أن اللغات الحبشية السامية
قد انشعبت عن اللغات اليمنية ، وأن الفصل في نشر اللسان السامي ببلاد الحبشة

(١) اعتمدنا في هذا النقش على كتاب الدكتور اسرائيل ولفسن « تاريخ اللغات

السامية » صفحات ٢٤٨ — ٢٥٠ ، وإملاحات المستشرق الألماني أنوليمان بصفحة ٢٨٠
من هذا الكتاب . والنقش تشير إلى قطع مضموسة أو مكسورة من النقش . ويظهر أن المراد
« بعثت المشرق » الإلهة عشروت الشهيرة التي كان يظن قلا أن عبادتها مقصورة على
الفينيقين ، ثم أثبتت الآثار اليمنية أنها كانت معبودة في اليمن أيضاً . فكان ينبغي إذن أن يقال
في ترجمة النقش : « بمجد سيدهم عشروت المشرقة » .

(٢) وهي مقابل الشعبة الشمالية التي تتألف — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — من
الأكدية والسكعانية (الفينيقية والعبرية) والآرامية .

(٣) من أهم ما يمتاز به هذه الشعبة الجنوبية (العربية واليمنية والحبشية) عن الشعبة
الشمالية فيما يتعلق بالقواعد اشتغالها على طريقة جمع التكسير ، على حين أنه لا يوجد في الشعبة
الشمالية إلا طريقة الجمع السالم Renan op. cit. 315 .

(١) الخلفا قيس والفقلا نحت لعلامته بقلع

يرجع إلى المهاجرين الأولين من بلاد اليمن كما سيأتي بيان ذلك في الفصل الخامس. وتختلف هذه الفروع الثلاثة كذلك في مبلغ بعدها عن الشعبة الشمالية. فمساافة الخلف بين الشعبة الشمالية من جهة واللغات اليمنية والحبشية من جهة أخرى أضيق من مسافة الخلف بين هذه الشعبة واللغة العربية^(١).

ولا نعلم على وجه اليقين متى نشأت اللغة اليمنية القديمة. ولكن يؤخذ من شواهد كثيرة أنها نشأت في عصور سحيقة في القدم قبل الميلاد المسيحي، وأنها عاشت قرونًا عديدة كانت في أثناءها لغات حديث وكتابة وآداب. غير أنه لم يصل إلينا منها إلا النقوش التي سبقت الإشارة إليها. ومع كثرة هذه النقوش ووفرة مادتها اللغوية فإن كثيراً من عباراتها لا يزال غير واضح الدلالة، وذلك لما تشتمل عليه من عبارات دينية مبهمه، واصطلاحات غامضة تتعلق بفن المعاري، وكلمات غريبة لا نظير لها في اللغات السامية الأخرى. ولذلك كثيراً ما يقنع الباحثون في مثل هذه العبارات باستخلاص معناها العام في صورة تقريبية ظنية على ضوء سياق الحديث.

٢ — أدوارها وأقسامها:

تنقسم اللغات اليمنية القديمة أقساماً كثيرة من أهمها اللهجات الآتية:

١ — اللهجات المعينية (Ma'in) (Minéen). وهي تنسب إلى المعينيين الذين أنشئوا بجنوب اليمن أقدم مملكة في بلاد العرب. وكانت عاصمة مملكتهم هذه مدينة قرنا أو قرنانا. ولا نعلم على وجه اليقين متى نشأت هذه المملكة. ولكن يظهر من شواهد كثيرة أنها تكونت حوالي القرن الثامن ق. م. (٥٧٧)

وكان بيد المعينيين زمام التجارة بين الهند من جهة وبلاد العرب وما إليها من جهة أخرى. فكانت قوافلهم التجارية تتجه من سواحل المحيط الهندي إلى

(١) V. Renan op. cit. 315

القسم الشمالى فى البلاد الكنعانية مارة بسواحل البحر الأحمر . ومن ذلك امتد نفوذهم إلى المناطق الشمالية ، وكان لهم بها بعض مستعمرات متاخمة للبلاد الكنعانية — الآرامية تسكنها جاليات منهم . وقد وصلت إلينا اللهجة المعينية عن طريق نقوش عشر على بعضها فى هذه

المستعمرات الشمالية وعلى بعضها فى بلاد اليمن نفسها .
٢ — اللهجة السبئية Sabéen . وهى تنسب إلى السبئيين الذين قوضوا ملك المعينيين ، وأقاموا على أتقاضه مملكة كان لها شأن كبير فى التاريخ القديم ، وهى مملكة سبأ التى كانت عاصمتها مدينة مأرب الشهيرة . وقد وصلت إلينا اللهجة السبئية عن طريق نقوش كثيرة عثر عليها حديثاً فى مختلف بلاد اليمن ، وخاصة فى منطقة مأرب . ويظهر أن السبئيين لم تكن لهم جاليات فى الشمال كما كان للمعنيين . ولذلك لا نجد بين النقوش اليمنية التى عثر عليها فى الشمال ما هو مدون باللهجة السبئية .

وقد اشتبك السبئيون مع كثير من الدويلات اليمنية الأخرى فى صراع وحروب كتب لهم فيها النصر ، فاتسعت بذلك رقعة مملكتهم اتساعاً كبيراً ؛ وظلوا قابضين على زمام الحكم حتى انتزعه منهم الأحباش الذين غزوا اليمن لأول مرة فى أواخر القرن الرابع الميلادى (سنة ٣٧٥) .

واشتبكت لغتهم كذلك مع كثير من اللهجات اليمنية الأخرى فى صراع كتب لها فيه النصر ، فظلت لها السيادة فى بلاد اليمن فى أثناء المدة الطويلة التى استعرقها ملكهم ، بل بقيت سيادتها فى أثناء الحكم الحبشى الأول لهذه البلاد (٣٧٥ — ٤٠٠ بعد الميلاد) .

٣ — اللهجة الحميرية القديمة^(١) . وهى تنسب إلى جماعات حمير التى ظلت

(١) وصفناها بالقديمة تمييزاً لها عن لهجة حمير بعد أن تغلبت العربية على ألسنتهم . وهذه اللهجة الأخيرة هى التى يعنىها معظم مؤرخى العرب حينما يتكلمون عن لهجة حمير . ويستثنى من هؤلاء أبو عمرو بن العلاء فإنه كان يعنى الحميرية القديمة إذ يقول « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » .

تفاز مع السبئيين السلطان مدة طويلة بدون أن تقوى على ابتزاعه من أيديهم .
وقد اشتبكت لهجتهم في صراع مع اللهجة السبئية ، ولكنها لم تقو كذلك على
التغلب عليها أو انتقاص شيء من مناطقها ، وظل الحال كذلك حتى طرد الأحباش
لأول مرة من بلاد اليمن سنة ٤٠٠ وتولى الحكم فيها أسرة حميرية^(١) . ومن ذلك
الحين أخذ نجم اللغة الحميرية في البزوغ ، فاستأثرت بكثير من مظاهر السيادة
والنفوذ الأدبي في بلاد اليمن ، كما تدل على ذلك النقوش التي وصلت إلينا عن
هذا العصر .

٤ - اللهجة القتبانية : وهي تنسب إلى قبائل قتبان Quataban التي أنشأت
مملكة كبيرة في المناطق المسماة بهذا الاسم ، وهي المنطقة الساحلية الواقعة شمال
عدن ، وقد نشبت بين مملكتهم ومملكة سبأ حروب كثيرة كان من نتائجها
انقراض مملكتهم ، واندماج قبائلهم في السبئية . وتم هذا في أواخر القرن
الثاني ق . م .

وقد وصلت إلينا اللهجة القتبانية عن طريق بعض نقوش عثر عليها في
بلاد اليمن .
٥ - اللهجة الحضرمية : وهي تنسب إلى قبائل حضرموت التي أنشأت في
المنطقة الجنوبية المسماة بهذا الاسم حضارة زاهرة ومملكة قوية . وظلت مملكتهم
هذه تتنازع سبأ السلطان مدة غير قصيرة . ولكن كتب النصر في النهاية لسبأ ،
فأزالت مملكة حضرموت كما أزال مملكة قتيان ،
وقد وصلت إلينا اللهجة الحضرمية عن طريق نقوش عثر عليها في مواطنها القديمة .

(١) امتد حكم هذه الأسرة حتى سنة ٥٢٥ ، وكان ملوكها يلقبون بالتيابعة جمع تبع
بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة ، وكان آخر ملوكها ذا نواس . ثم تغلب الأحباش مرة ثانية
على بلاد اليمن وأسقطوا ملكها ذا نواس ، وظلوا قابضين على زمام الحكم حتى سنة ٥٧٠ ،
ثم ابتزعه منهم الفرس الذين حكموا هذه البلاد إلى عهد الفتح الإسلامي .

وغنى عن البيان أن الذى وصل إلينا عن هذه اللهجات لا يمثل إلا لغة الكتابة أو لغة الآداب . ولذلك لا يظهر من النقوش المتعلقة بأية لهجة منها أى أثر لتطور جوهري : فلا يكاد يوجد فرق يعتد به بين اللغة المدون بها أقدم نقوشها واللغة المدون بها أحدثها ، مع أن الفاصل بين هذين النوعين قد يصل أحياناً إلى تسعة قرون^(١) . ولا غرابة في ذلك ؛ فلغات الكتابة تميل دائماً إلى المحافظة والجمود . أما لغات المحادثة في هذه البلاد ، فلا بد أن يكون قد نالها كثير من التطور ، لأن هذا النوع من اللغات لا يستقر على حال ولا يمكن لأية قوة أن تجمد به أو تعوق تطوره ، كما يمكن ذلك أحياناً حيال لغات الكتابة . غير أنه لم يصل إلينا لسوء الحظ شيء ما عن لغات التخاطب في هذه البلاد .

٣ — الرسم اليميني :

يعرف الخط اليميني عند العرب بالخط المسند^(٢) . وهو مشتق من الرسم الكنعاني^(٣) ويشبهه من عدة وجوه . ولكنه يمتاز عنه بحال التنسيق والأشكال الهندسية المنتظمة التي يتكون منها كثير من حروفه . ويكتب في الغالب مستعرضاً من اليمين إلى الشمال . وأحياناً يكتب بالطريقة الثعبانية : فيرسم السطر الأول من اليمين إلى الشمال والثاني من الشمال إلى اليمين والثالث من اليمين إلى الشمال وهكذا . وعدد حروفه تسعة وعشرون صوتاً ساكناً . أما أصوات المدطويلها وقصيرها فلا يرمز هذا الرسم إلى شيء منها . وهكذا شأن جميع الأنواع القديمة للرسم السامي ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك^(٤) . ولذلك لم تقف على كيفية النطق

(١) يرجع أقدم نقش في بعض هذه اللهجات إلى القرن الثالث ق . م . على حين أن أحدثها يرجع تاريخه إلى القرن السادس بعد الميلاد .

(٢) سمي بذلك لأن معظم حروفه تستند إلى أعمدة ، وتمثل بذلك طرازهم المعماري الذي كان يتركز على الأعمدة في تشييد القصور والمعابد والسدود وأبواب المدن والأسوار . . . وهلم جرا .

(٣) يذهب بعض العلماء إلى عكس ذلك ، فيدعي أن الكنعاني هو الذي اشتق من خط المسند ، ولم يبق على صحة هذا الرأي دليل يعتد به ، بل قام على بطلانه أدلة كثيرة .

(٤) انظر صفحة ٣٨ .

بكلمات اللغات اليمينية القديمة على وجه يقيني . فهي لم تصل إلينا إلا عن طريق النقوش المدونة بهذا الرسم ؛ وتجرد هذا الرسم من حروف المد يجعل قراءة كل كلمة محتملة لعدة وجوه .

٤ — نهاية اللغات اليمينية :

أناحت مجاورة اللغة العربية للغات اليمينية القديمة فرصاً كثيرة للاحتكاك اللغوي ، فاشتبكت معها في صراع استغرق أمداً طويلاً ، وانتهى في المراحل الأخيرة من العصر الجاهلي بانتصار العربية على هذه اللغات في كثير من المناطق ، وفقاً لقانون الصراع بالمجاورة الذي تكلمنا عنه طويلاً في كتابنا « علم اللغة »^(١) .

فقد كانت اللغة العربية في هذا العصر أرق كثيراً من اللغة اليمينية القديمة ثقافة وآداباً ، وأغزر مفردات ، وأدق قواعد ، وأقدر منها في مجال التعبير عن مختلف فنون القول . وكان النفوذ العربي في نواحي التجارة والسياسة والثقافة والأدب والدين قد أخذ حينئذ يتغلغل في بلاد اليمن ، التي كانت في ذلك العصر في دور انحلال كبير تمزقها الفتن والمنازعات الداخلية ، ويتناوب حكمها الأحباش تارة والفرس تارة أخرى . فجميع الظروف التي تقتضيها قوانين التغلب اللغوي والتي فصلناها في كتاب « علم اللغة » كانت مبيأة لتغلب اللغة العربية على اللغات اليمينية القديمة . فحالة اللغة العربية في صراعها مع هذه اللغات كانت شبيهة بحالة اللغة الألمانية في صراعها مع لهجات المناطق السويسرية المجاورة لألمانيا ، وحالة اللغة الفرنسية في صراعها مع لهجات المناطق البلجيكية والسويسرية المجاورة لفرنسا .

فقد كتب النصر في هذين المثالين للألمانية والفرنسية لتوافر الظروف نفسها التي توافرت للغة العربية في الحالة التي نحن بصدددها . بل أن قوة القرابة بين العربية واللغات اليمينية قد زودت العربية في صراعها هذا بسلاح لم يتوافر مثله للألمانية

(١) انظر صفحات ٢١٨ — ٢٢٤ من كتاب « علم اللغة » للعوّاف ، الطبعة الثالثة .

والفرنسية في الحالات السابقة . فمن المقرر أن قوة القرابة بين اللسانين المتصارعين
تدلل لأرقاها سبل الانتصار^(١) .

غير أن اللغة العربية قد نالها في السنة أهل اليمن بعض التحريف في أصواتها
ومفرداتها وقواعدها وفقاً لقوانين التغلب المشار إليها^(٢) . وقد أصابها هذا التحريف
في ألسنتهم تحت تأثير لهجاتهم القديمة ، ومفرداتها ، وخواصها الصوتية ،
والتكوين الطبيعي لأعضاء نطقهم ، وما درجوا عليه من عادات في اللفظ ،
وما كان يكتنفهم من ظروف طبيعية وجغرافية واجتماعية تختلف في جوهرها عما
كان يكتنف عرب نجد والحجاز ، وما كانوا يمتازون به في ثقافتهم وتفكيرهم
واتجاهاتهم الوجدانية ... وهلم جرا . فنشأ من جراء هذا كله في بلاد اليمن لهجة
عربية أو لهجات عربية تختلف بعض الاختلاف عن لهجات الشمال في بعض
مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات^(٣) .

ولكن هذا الاختلاف لم يكن ليزيد على اختلاف بين لهجات اللغة الواحدة .
ففي المرحلة الأخيرة للعصر الجاهلي كان أهل الحجاز ونجد يتفاهمون مع أهل اليمن
كما يتفاهم في العصر الحاضر سكان الصعيد مع سكان الوجه البحري ، أو كما يتفاهم
أهل باريس مع أهل بروكسل . وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود
من مختلف قبائل اليمن فتفاهم معهم في مختلف شئون الدين بدون حاجة إلى مترجم ؛
وذهب علي بن أبي طالب ومعاذ إلى اليمن موفدين من قبل الرسول عليه السلام
فلم يحتاجا إلى ترجمان .

(١) انظر الفصل الخاص بصراع اللغات من كتاب « علم اللغة » للمؤلف .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) فن مظاهر الاختلاف في المفردات أن اليمانيين كانوا يسمون الذئب « القلوب »
بكسر القاف وسكون اللام ، والأصابع « الشنائر » ، والصديق « الخلم » . (انظر
الصاحبي ١٢٦) . ومن مظاهر الاختلاف في القواعد أداة التعريف ، فقد كانت « أم » عند أهل اليمن ،
ويلغتهم جاء الحديث : « ليس من أميرامصيام في امسفر » .

ويدل على ذلك أيضاً أن بعض الأسواق التي كان يعقدها العرب في الجاهلية للشعر والأدب كانت تقام في اليمن ، كسوق الشعر التي كانت تقام في النصف من شعبان ، وسوق صنعاء التي كانوا ينفضون منها في آخر رمضان . فهذا من أقوى الأدلة على أن بلاد اليمن كانت قبل الإسلام بعهد طويل عربية اللسان ، إذ لا يعقل أن تقام سوق للأدب العربية في بلد يتكلم أهله بلسان غير عربي .

وكما تغلبت العربية على اللغات اليمنية القديمة في ميادين التخاطب ، تغلبت عليها في ميادين الآداب والكتابة ؛ فاستأثرت بالشعر والنثر الأدبي والخطابة والرسائل والتدوين وهلم جرا . غير أنه لم ينسل اللغة العربية بهذه البلاد في ميادين الآداب والكتابة ما نالها من تحريف في ميادين المحادثة ؛ بل ظلت خالصة فصيحة لا تكاد تختلف في شيء عن عربية أهل الشمال . وهذا شأن اللغات المنتصرة في مختلف الأمم والعصور . فهي ، وإن نالها بعض التحريف في أسنة المحدثين من الناطقين بها ، تنتقل إليهم سليمة في ميادين الأدب والكتابة .

هذا إلى أن من طبيعة لغات الكتابة أنها متسدة الحركة بطيئة التغير ، تميل إلى الجمود ، ولا تسير لهجات المحادثة في تطورها المطرد السريع . وإليك مثالا اللغة اللاتينية ، فقد ظلت في البلاد التي تغلبت على ألسنتها (فرنسا ، إيطاليا ، أسبانيا ، البرتغال . . .) لغة آداب وكتابة حتى فاتحة العصور الحديثة ، ولم ينلها في أثناء هذه المدة الطويلة تغيير يستحق الذكر في هذا الميدان ، بل ظلت جامدة على حالتها القديمة أو ما يقرب منها ؛ على حين أنها تطورت تطوراً كبيراً في ميادين المحادثة ، حتى نشأت منها لهجات مختلفة اختلافاً كبيراً عن أصلها (الفرنسية ، الإيطالية ، الإسبانية ، البرتغالية ، لغة رومانيا . . . الخ) . وإليك مثالا آخر اللغة العربية في عصرنا الحاضر ، فقد نالها كثير من التطور في لهجات المحادثة حتى بعدت بعداً كبيراً عن أصلها القديم في أصواتها ومفرداتها وقواعدها ؛ على حين أنها في ميادين الأدب والكتابة ظلت جامدة على حالتها القديمة أو ما يقرب منها . فلغة كتابتنا في العصر الحاضر لا تزال تمثل العربية في العصر الذي نزل فيه القرآن .

فلا غرابة إذن أن جاءتنا الآثار الأدبية لشعراء اليمن وأدبائهم في المراحل الأخيرة للعصر الجاهلي مؤلفة باللسان العربي المبين . فما كان يمكن هؤلاء الشعراء والأدباء أن يؤلفوا بلغات آبائهم الأقدمين ؛ لأن هذه اللغات كانت قد انقرضت في عصرهم وأصبحت غريبة عن ألسنتهم وأقلامهم بمقدار غرابة اللغة القبطية عن ألسنتنا وأقلامنا في العصر الحاضر . وما كان يمكنهم أن يؤلفوا بلهجات محادثاتهم التي كانت تختلف بعض الاختلاف عن العربية الفصحى التي ألفوا بها هذه الآثار ؛ لأن لهجات المحادثة لا تصطنع في ميادين الآداب ، ولأن لغة الأدب في جميع العصور والأمم تميل إلى الجمود ولا تسير لغات التخاطب في تطورها المطرد السريع . ومن هذا يظهر أن بعض المحدثين من الباحثين لم يصب شاكلة الصواب إذ اعتمد في إنكاره للأدب الجاهلي على أن قسما من شعره ونثره ينسب لليمانيين مع أنه مؤلف بلغة عربية ، واتخذ من ذلك دليلا على أن هذا القسم على الأقل لا يمكن التسليم بصحته^(١) . فقد فاتهم أن أقدم ما وصل إلينا عن العصر الجاهلي لا يتجاوز تاريخه أواخر القرن الخامس أو أوائل السادس بعد الميلاد ، وأنه في ذلك العصر ، بل من قبله بأمدة غير قصيرة ، كان قد تم للغة العربية التغلب على اللغات اليمنية القديمة ، فاستأثرت العربية في بلاد اليمن بالمحادثة والأدب والكتابة وأصبحت اللغات القديمة لهذه البلاد في عداد اللغات الميتة .

وقد حاول بعض الباحثين الذين نحن بصددهم أن يجعل هذه الحقيقة موضع شك ، فتساءل : « كيف استطاعت اللغة العدنانية أن تكون لغة أدبية للقحطانيين (قبل الإسلام) ونحن نعلم أن السيادة السياسية والاقتصادية التي من شأنها أن تفرض اللغة على الشعوب قد كانت (في ذلك العصر) للقحطانيين دون العدنانيين^(٢) » . وقد فات هؤلاء بهذا الصدد أمران هامان :

(١) من هؤلاء العلامة الفاضل الأستاذ الدكتور طه حسين بك (انظر كتاب الأدب

الجاهلي صفحات ٨٢ - ٩٥) .

(٢) الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين بك صفحة ٩٢ .

١ — أحدهما أن سيادة اليمن التي يتحدثون عنها قد زالت زوالاً تاماً منذ أواخر القرن الرابع الميلادي ، أي قبل ظهور الإسلام بأمد طويل . فقد كانت بلاد اليمن منذ ذلك العصر في دور انحلال كبير تمزقها الفتن والمنازعات الداخلية والحروب الأهلية . بل كانت قد فقدت استقلالها ، وأصبح حكمها بيد الأجانب ، يتناوبه الأحباش تارة والفرس تارة أخرى ، كما سبق بيان ذلك . على حين أن نجم البلاد العربية الشمالية كان في ذلك العصر قد أخذ في البروغ . فقد أخذ نفوذ البلاد العربية الشمالية في نواحي الاقتصاد والسياسة والثقافة والدين يتغلغل قبل الإسلام بأمد طويل في كثير من البلاد المجاورة لها وخاصة في بلاد اليمن . هذا إلى أن اللغة العربية كانت حينئذ أرقى كثيراً من اللغات اليمنية القديمة ثقافة وآداباً ، وأغزر مفردات ، وأدق قواعد ، وأقدر منها في مجال التعبير عن مختلف فنون القول . فجميع الظروف التي تقتضيها قوانين التغلب اللغوي الناشئ عن صراع لغتين متجاورتين ، والتي فصلناها في كتاب « علم اللغة »^(١) ، كانت مهيأة لتغلب اللغة العربية على اللغات اليمنية القديمة ، وما كان يمكن معها أن تغلت اللغات اليمنية من هذا المصير .

٢ — على أن أسباب تغلب لغة على لغة ليست مقصورة — كما تبادر إلى أذهان الباحثين الذين نحن بصددهم — على السيادة السياسية والاقتصادية ؛ بل ترجع كذلك إلى عوامل أخرى كثيرة ذكرناها بتفصيل في كتاب « علم اللغة »^(٢) ، بعضها يتعلق بعدد الناطقين بكلتا اللغتين ، وبعضها يتعلق بمبلغ كشافهم وضغطهم على الحدود المجاورة لهم ، وبعضها يتعلق بمبلغ رقي اللغة وثروتها في الآداب والعلوم ، وغزارة مفرداتها ، ودقة قواعدها ، واتساعها للتعبير عن مختلف فنون القول . بل إن السيادة السياسية لا تكفي وحدها لتغلب لغة على لغة . فاللغة

(١) انظر صفحات ٢١٨ — ٢٢٤ من كتاب « علم اللغة » للمؤلف ، الطبعة الثالثة .

(٢) انظر الفصل الخامس بصراع اللغات في كتاب « علم اللغة » للمؤلف .

اللاتينية مثلاً لم تقو على التغلب على اللغة اليونانية ، مع أن اليونان كانوا خاضعين للرومان ؛ واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغة الفارسية ، على الرغم من فتح العرب لبلاد فارس وبقائها تحت سلطانهم أمداً طويلاً ؛ واللغة التركية لم تقو على التغلب على أية لغة من لغات الأمم التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية بأوروبا وآسيا وأفريقيا . بل كثيراً ما حدث في التاريخ أن تغلبت لغة الأمة المقهورة سياسياً على لغة أسيادها القاهرين ، إذا توافرت لها شروط التغلب اللغوي ؛ كما حدث للغة الغزاة من النورمانديين مع لغة الشعب الإنجليزي الذي قهره . فقد قضت قوانين الصراع اللغوي أن تتغلب لغة هذا الشعب على لغتهم ، فأخذت لغتهم تنقرض شيئاً فشيئاً حتى زالت ، وأصبحت سلالات النورمانديين يأنجلترا يتكلمون الإنجليزية .

* * *

هذا وقد زادت اللغة العربية رسوخاً في بلاد اليمن بعد ظهور الإسلام . فقد كان لاعتناق اليمنيين الدين الإسلامي المرتبطة أصوله باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً ، وخضوعهم للنموذ العربي السياسي ، أثر كبير في تثبيت قدم اللغة العربية في هذه البلاد . فساعد ذلك على سعة انتشارها ، وزادها قوة على قوة في صراعها مع اللغات اليمنية القديمة ، فقضت على البقية الباقية منها ، وعربت بعض السنة كانت لاتزال إلى ذلك العصر باقية على يمتيتها .

غير أنه قد أفلت من هذا المصير في اليمن بعض مناطق متظرفة نائية ، ساعد انعزالها وانزواؤها على حمايتها من اللغة العربية ، فظلت محتفظة بلهجاتها القديمة حتى العصر الحاضر . وأشهر هذه اللهجات اليمنية الباقية ثلاث لهجات : إحداهم اللهجة المهرية. Mahri, mehri التي يتكلم بها الآن في منطقة مهرة Mahra ، الواقعة شرق حضرموت ؛ وثانيتها لهجة الشحر ، أو اللهجة

الأخكيلية^(١) Shawri, hakili, ehkili, guarawi, grawi وهي منتشرة في منطقة جبلية واقعة في الشرق من منطقة اللهجة المهرية؛ وثالثها اللهجة السقطرية وهي لهجة جزيرة سقطرة والجزر المجاورة لها. وقد بعدت هذه اللهجات بعداً كبيراً عن أصولها الأولى، بل بعدت عن اللغات السامية جميعها، تحت تأثير ما انتابها من عوامل التطور الطبيعي، وكثرة المراحل التي اجتازتها في هذا السبيل، وطول عمرها، وتأثرها باللغات التي احتسكت بها وخاصة اللغة العربية^(٢).

* * *

وقد كان المشهور المتداول عند الباحثين من العرب أن اللغة اليمنية واللغة العربية تمثلان لهجتين للغة واحدة، وأن الخلاف بينهما لا يعدو أموراً يسيرة يبدو بعضها في الأصوات والمفردات وبعضها في القواعد^(٣). ولذلك كانوا يقسمون العربية قسمين: العربية العدنانية أو المعدية أو المضرية وهي لغة الشمال (الحجاز ونجد وما إليهما)؛ والحميرية أو القحطانية وهي لغة أهل اليمن.

(١) أطلق عليها هذا الاسم الأستاذ فورجنس فرانل Furgence Frasnél وهو أول من كشفها إذ كان قنصلاً لفرنسا بجدة. وقد سماها بإسم القبائل التي تتكلم بها V. Renan op. cit. 309, 310. والمشهور تسميتها بلغة حكلى (بحاء مهلمة مكسورة فكاف ساكنة فلام مكسورة) وتتكلم بها قبيلة القرى الضاربة في بلد مرياط من ناحية ظفار الجبوظي. أنظر كلمة عنها وعن لغة مهرة وبعض أمثلة من مفرداتها في المجلد الرابع ص ٤١٩ من مجلة الزهراء. وقد ألف بعض المستشرقين كتباً في هذه اللغات من أشهرها كتاب «اللغة المهرية في جنوب جزيرة العرب Die Mehri Sprache in Südarabien» تأليف A. Jahn طبع في فينا سنة ١٩٠٢؛ وكتاب «اللغة المهرية والسقطرية Die Mehri und Soqotri Sprache» طبع في فينا سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٧ في ثلاثة مجلدات؛ ورسائل متعددة من تأليف N Rhodokanakis; M Bittner وهي مطبوعة في منشورات المعهد العلمي بفينا سنة ١٩٠٩ وبعدها. — (أنظر ما كتبه الأستاذ نلينو بهذا الصدد في ص ٤٩٣ بالمجلد الرابع من مجلة الزهراء لمنشأها الأستاذ محب الدين الخطيب).

(٢) يقرر الباحثون أن اللغات الآرامية الباقية في العصر الحاضر والتي تكلمنا عنها بصفحات ٦٧ — ٦٩ لم تبعد عن اللغات السامية بمقدار ما بعدت عنها هذه اللهجات اليمنية الثلاث.

(٣) انظر التعليق الثالث بصفحة ٧٨. انظر التعليق الثالث بصفحة ٧٨.

وهذا الرأي صحيح فيما يتعلق بلهجات أهل اليمن بعد أن تغلبت العربية على ألسنتهم كما تقدم بيان ذلك^(١). ولكنه غير صحيح فيما يتعلق باللغات اليمنية القديمة التي هي موضوع هذا الفصل. فقد تبين مما سبق أنها ليست من اللغة العربية في شيء، وإن كانت تؤلف معها شعبة لغوية واحدة. وقد فطن إلى ذلك بعض باحثي العرب أنفسهم، كأبي عمرو بن العلاء، فقد روى أنه كان يقول: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»^(٢).
 * * * * *
 فغالباً فينبغي أن نأخذ بالاعتبار أن أصل اللغة العربية هو اللغة التي تحدث في جزيرة العرب، وأن اللهجات العربية هي اللهجات التي تحدث في بقاع الجزيرة العربية، وأن اللهجات العربية هي اللهجات التي تحدث في بقاع الجزيرة العربية، وأن اللهجات العربية هي اللهجات التي تحدث في بقاع الجزيرة العربية.

فغالباً فينبغي أن نأخذ بالاعتبار أن أصل اللغة العربية هو اللغة التي تحدث في جزيرة العرب، وأن اللهجات العربية هي اللهجات التي تحدث في بقاع الجزيرة العربية، وأن اللهجات العربية هي اللهجات التي تحدث في بقاع الجزيرة العربية، وأن اللهجات العربية هي اللهجات التي تحدث في بقاع الجزيرة العربية.

أولاً: *Forgence Farsel* (٧) في اللغة العربية، فينبغي أن نأخذ بالاعتبار أن أصل اللغة العربية هو اللغة التي تحدث في جزيرة العرب، وأن اللهجات العربية هي اللهجات التي تحدث في بقاع الجزيرة العربية، وأن اللهجات العربية هي اللهجات التي تحدث في بقاع الجزيرة العربية، وأن اللهجات العربية هي اللهجات التي تحدث في بقاع الجزيرة العربية.

(١) انظر صفحة ٧٨ وتوابعها.
 (٢) روى ذلك عنه أبو عبد الله محمد بن سلام في كتاب «طبقات الشعراء» (٧).

الفصل الخامس

اللغات الحبشية السامية

١ - نشأتها وخواصها:

يرجع الباحثون أن الفضل في نشر اللسان السامي في بلاد الحبشة يرجع إلى عشائر سامية هاجرت إليها من جنوب بلاد العرب (اليمن) ، وامتزجت بسكان الحبشة الأصليين الذين كان معظمهم يتألف من أجناس حامية . ولا نعلم على وجه اليقين تاريخ هذه الهجرة ، ولكن من المقطوع به أنها حدثت قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون . ويؤخذ من شواهد كثيرة أنها لم تحدث مرة واحدة ، بل حدثت على دفعات متتالية .

وقد اشتبك لسان هؤلاء الساميين مع لغات السكان الأصليين في صراع انتهى بانتصاره عليها في بعض مناطق قليلة في مبدأ الأمر ؛ ثم أخذ نطاقه يتسع شيئاً فشيئاً حتى بلغت الآن مساحة المناطق السامية اللسان نحو ربع مساحة الحبشة وإريتريا^(١) . ولكن هذه المناطق ، على ضيق مساحتها ، من أكثر المناطق الحبشية كثافة وازدحاماً بالسكان ؛ إذ يبلغ عدد سكانها نحو نصف مجموع السكان في هاتين المملكتين^(٢) . أما بقية سكانها فلا يزال معظمهم يتكلم لهجات حامية كوشية^(٣) . وقليل منهم يتكلم لهجات سودانية^(٤) .

(١) تبلغ مساحة الحبشة نحو مليون كيلو متر مربع وتبلغ مساحة إريتريا نحو ٧٥ ألف كيلو متر مربع .

(٢) يبلغ عدد الناطقين باللسان السامي في بلاد الحبشة نحو سبعة ملايين نسمة .

(٣) انظر صفحة ٢٢ .

(٤) انظر تفصيل اللهجات السودانية في آخر صفحة ١٩٤ وأول صفحة ١٦٥ من الطبعة

الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

وتعد اللهجات الحبشية السامية من الشعبة السامية الجنوبية ، أى أنها تؤلف مع اللغات اليمنية والعربية شعبة على حدة . فوجوه الشبه بينها وبين هذين الفرعين فى أصول المفردات والقواعد والأصوات أقوى كثيراً من وجوه الشبه بينها وبين بقية اللغات السامية ؛ وهى إلى اليمنية القديمة أدنى منها إلى اللغة العربية . غير أن طول احتكاكها باللهجات الحامية التى كان يتكلم بها معظم السكان الأصليين والتى لا يزال يتكلم بها قسم كبير منهم ، قد ترك فيها آثاراً كثيرة من هذه اللهجات ، فنقل إليها مجموعة كبيرة من مفرداتها ، وصبغها بصنغتها فى كثير من مظاهر الأصوات والقواعد ، فلكتسبت بذلك صفات خاصة أبعدها عن بقية اللغات السامية . ويظهر هذا التأثير بشكل واضح فى اللهجة الأمهرية وما تفرغ منها كما سيأتى بيان ذلك .

٢ - الرسم الحبشى :

يظهر أن الساميين النازحين إلى الحبشة قد استخدموا فى المبدأ فى كتابة لغتهم الرسم السبئى السابق ذكره فى الفصل الرابع^(١) ؛ وهو الذى كانوا يستخدمونه فى مسقط رؤوسهم باليمن . ثم اشتق من هذا الرسم رسم خاص أطلق عليه اسم الرسم الحبشى ، أو الجعزى (نسبه إلى اللهجة الجعزية ، وهى أقدم اللهجات السامية بالحبشة كما سيأتى بيان ذلك) . ومن الراجح أن هذا الرسم قد ظهر فى القرن الثالث الميلادى . ولكنه لم يمح الرسم السبئى القديم محواً تاماً ، بل ظلاً يستخدمان معاً مدة طويلة ؛ كما يدل على ذلك نقش الملك « عزانا Aeyzana, Ezana » الذى سنتكلم عنه فى الفقرة التالية . فمع أن تاريخ هذا النقش يرجع إلى القرن الرابع الميلادى ، فإن الرسم السبئى القديم قد استخدم فيه مع الرسم الحبشى .

(١) انظر ص ٧٦ .

(٢) انظر ص ٧٦ .

ويتفق الرسم الحبشي القديم مع الرسم السبئي الذي اشتق منه ومع الرسوم السامية القديمة في تجرده من الرمز إلى أصوات المد . فكان يشتمل على ستة وعشرين حرفاً ترمز جميعها إلى أصوات ساكنة^(١) .

ثم ظهرت بعد ذلك علامات ترمز إلى أصوات المد ؛ وأخذ عدد هذه العلامات يزيد شيئاً فشيئاً حتى بلغت ست علامات تشير إلى ستة أصوات من هذا النوع . ويضاف إلى هذه الأصوات صوت سابع ينطق به أحياناً بعد الحرف الساكن إذا رسم مجرداً من إحدى هذه العلامات الست . وقد أخذت أهمية هذه العلامات تزيد شيئاً فشيئاً حتى أصبحت عناصر أساسية في رسم الكلمات ، كما هو الشأن في الرسم الأوروبي . غير أنها ليست ممثلة في حروف مستقلة كما هو الشأن في هذا الرسم الأخير ، ولا في حركات توضع فوق الحروف وتحتها كما هو الشأن في الرسم العربي ؛ بل تتمثل في تغيير يلحق صورة الحروف الساكنة نفسها . فشكل الحرف الساكن نفسه يتغير تبعاً لصوت المد الذي يلحقه . وبذلك أصبح لكل حرف ساكن سبعة أشكال متميزة يرمز كل منها إلى نوع خاص من أنواع الحركة التي تليه .

ويظهر أن هذا التطور لم يستغرق أمداً طويلاً ، بل كان نتيجة اصلاحات قام بها بعض الأفراد في فترة قصيرة . يدل على ذلك أن الفاصل ليس كبيراً بين تاريخ النقوش المدونة بالطريقة القديمة المجردة من الرمز إلى أصوات المد ، وتاريخ النقوش المدونة بالطريقة الحديثة السابق ذكرها .

والرسم الحبشي القديم كان يكتب من اليمين إلى الشمال ، كما كان يكتب الرسم السبئي الذي اشتق منه ، ثم انحرف بعد ذلك عن طريقته هذه ، فأصبح يكتب من الشمال إلى اليمين ، وظل على هذه الحال إلى الوقت الحاضر .

(٢) زيد في الرسم الأمهري سبعة أحرف على حروف الهجاء الحبشية القديمة وهي حروف الرسم الجعزي ، ليرمز بها إلى أصوات تمتاز بها اللغة الأمهرية ولا يوجد لها نظير في الجعزية V. Renan, op. cit 317

٣ — أقسام اللغات الحبشية السامية وخصائص كل قسم وأهم آثاره :

تنقسم اللهجات الحبشية السامية أقساماً كثيرة من أهمها ما يلي :

١ — اللهجة الجعزية (guèze) وهي مسماة باسم الشعب الجعزي الذي يعد من أقدم الشعوب السامية التي نزحت إلى الحبشة) . ويطلق عليها أحياناً اسم اللغة الحبشية القديمة *ethiopien ancien ou classique* ، وأحياناً اسم « اللغة الحبشية » مجرداً من كل وصف *ethiopien* . وهي من أقدم اللهجات الحبشية السامية إن لم تكن أقدمها على الإطلاق . ولم يصل إلينا شيء عنها في أدوارها الأولى ؛ وأقدم ما وصل إلينا من آثارها يرجع تاريخه إلى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد . وأهم هذه الآثار نقوش عثر عليها بمدينة أكسوم (عاصمة البلاد في هذه العصور) ينسب بعضها للملك عزانا *ezana* وبعضها للملك آل عميدا *Ela Amida* وبعضها للملك تازانا *Tazana* . وبجانب هذه النقوش وصل إلينا عن هذه اللغة ترجمة للكتاب المقدس وبعض مؤلفات دينية ترجم معظمها عن اليونانية . أما نقش الملك عزانا فيرجع تاريخه إلى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد ؛ وهو أقدم ما كشف من الآثار الجعزية . وهو مدون من صورتين : إحداهما بالرسم السبئي ؛ وثانيتها بالرسم الحبشي القديم الذي لا يرمز إلا إلى الأصوات الساكنة . وأما آثار الملك آل عميدا ، فترجع إلى نقشين : أحدهما مقطوع بصحة نسبته إلى هذا الملك وهو مدون بالرسم السبئي ؛ وثانيتها يرجحون نسبته إليه وهو مدون بالرسم الحبشي الحديث الذي يرمز إلى أصوات المد . ويظهر من هذا ومن شواهد أخرى كثيرة أن إصلاح الرسم الحبشي الذي أشرنا إليه في الفقرة السابقة قد تم في عهد هذا الملك . ويظهر كذلك من هذا النقش أن أصوات اللغة الجعزية قد أخذت في ذلك العصر تنحرف بعض الشيء عن أوضاعها الأولى متأثرة في ذلك باللغات الحامية للسكان الأصليين .

وأما آثار الملك تازانا ابن الملك آل عميدا السابق ذكره ، فهي عبارة عن نقشين كتب أولهما قبل أن يعتقد هذا الملك الدين المسيحي ، وثانيهما بعد اعتناقه له (القرن الخامس الميلادي ، وهذا هو مبدأ دخول المسيحية في منطقة أكسوم)^(١) . وهذان النقشان من أغنى النقوش الجعزية مادة ، إذ يشتمل أحدهما على ثلاثين سطراً والآخر على خمسين .

وأما ترجمة الكتاب المقدس إلى الجعزية فقد تمت على ما يظهر في القرن الخامس الميلادي . ولغة هذه الترجمة لا تكاد تختلف في شيء عن اللغة التي كتب بها نقشا الملك تازانا السابق ذكرها .

وأما المؤلفات الأخرى فيرجع تاريخها إلى مبدأ العهد المسيحي في الحبشة (أواخر الرابع وأوائل الخامس بعد الميلاد) ، ومعظمها مترجم عن اليونانية ، وتتصل موضوعاتها بالكتاب المقدس وشرحه . وتمتاز اللغة الجعزية التي دونت بها هذه المؤلفات عن الجعزية في العصور السابقة بتحررها من كثير من القواعد القديمة وبتأثرها باللغة اليونانية .

هذا ، ولم تعمر الجعزية طويلاً في ميادين التخاطب . فمنذ انهيار مملكة أكسوم وقيام مملكة كوا Choa على أنقاضها تحت حكم الأسرة الأمبرية التي سيأتي ذكرها ، أخذ نجم الجعزية في الأفول ، وأخذت الأمبرية تطاردها وتقتحم عليها معاقبتها حتى انتزعتها منها جميعها أو معظمها ، فانقرضت من لهجات الحديث كل الانقراض ، أو لم يبق لها فيها إلا فلول ضئيلة^(٢) . غير أن الجعزية ، بعد انقراضها من ميادين التخاطب ، قد آوت إلى ركن شديد في ميادين الكتابة والأدب والدين ، فاستأثرت بهذه الشؤون في معظم المناطق الحبشية ؛ وظلت

(١) أول عهد الحبشة بالنصرانية كان في القرن الرابع ، ويرجع الفضل في إدخالها في هذه البلاد إلى فرومنتيوس اليوناني .

(٢) بقيت الجعزية لغة تخاطب في مناطق ضيقة . وقد بعدت في هذه المناطق بعداً كبيراً عن أصلها وانتهت إلى ما يسمونه الآن اللغة التجريمية التي سيأتي الكلام عنها .

مستأثرة بها حتى العصر الحاضر ؛ وإن كانت الأمهرية قد أخذت تنافزها هذا السلطان نفسه منذ أواخر القرن التاسع عشر كما سيأتي بيان ذلك .
واللغة الجعزية قريبة كل القرب من أختيها العربية واليمنية . ولكنها تمتاز عنهما بمميزات جوهرية كثيرة في مظاهر الصوت والدلالة والمفردات والقواعد . فمن ذلك عدم التمييز في الجعزية بين المذكر والمؤنث في الأسماء ، وتجردها من أداة التعريف ، واشتمالها على بعض مفردات أجنبية انتقلت إليها من اللهجات الحامية ومن اللغة اليونانية ، وعلى مفردات سامية تتفق فيها مع اللغة العبرية ، ولكن لا يوجد لها نظير في أختيها اليمنية والعربية .

٢ - اللغة الأمهرية . وهي اللغة المستخدمة الآن في التخاطب في معظم المناطق الحبشية السامية اللسان . وكانت في الأصل لهجة القبائل الأمهرية (نسبة إلى منطقة أمهرا Amhara) . ولكن منذ أن تقوضت مملكة أكسوم ، وقبض على زمام الحكم سنة ١٢٧٠ أسرة أمهرية من منطقة كوا choa (الجنوب الغربي من بلاد الحبشة)^(١) ، أخذ نطق هذه اللغة يتسع شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى الحد الذي وصفناه . ولم يقتصر نفوذها على ميادين التخاطب بل امتد كذلك إلى شئون الكتابة والآداب . فمذ عهد بعيد تستخدم الأمهرية في أمور الدواوين والمسكاتب الرسمية في جميع الممالك الحبشية ، وظلت مستأثرة بهذه الشئون حتى العصر الحاضر . ومنذ القرن التاسع عشر أخذت تنافز الجعزية سلطان الآداب والعلوم والدين ، فألف بها بعض كتب أدبية ، وترجم بها بعض آثار اللغة الجعزية ، ونفذت في العصر الحاضر إلى ميدان الصحافة والمصنفات العلمية والدينية ، فقلت بذلك أهمية اللغة الجعزية ، وأصبحت مبهولة لدى كثير من العلماء ورجال الدين أنفسهم . وأقدم ما وصل إلينا عن الأمهرية بعض قصائد حربية يرجع تاريخها إلى القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر بعد الميلاد .

(١) تنتسب هذه الأسرة إلى الملك سليمان وملكة سبأ .

وفضلاً عن صراعها السابق ذكره مع أختها الجعزية ، فقد اشتبكت مع اللهجات الحامية الكوشية ، وخاصة في المناطق الجنوبية ، في صراع آخر انتهى بانتصارها في كثير من المواطن . فأتسع بذلك نطاق اللسان السامي في الحبشة ووصل إلى الحد الذي تكلمنا عنه في صدر هذا الفصل . وحتى فيما وراء هذا الحد ، أى في المناطق التي لا تزال محتفظة بلسانها الكوشى ، تتمتع الأمهرية بسطان كبير وتعتبر لغة ثانية للسكان .

هذا ، وإن كثرة احتكاكها باللهجات الحامية ، وطول صراعها معها ، وانتقالها إلى أسنة كثير من أهلها ، كل ذلك قد ترك بها آثاراً كثيرة من هذه اللهجات . وتبدو هذه الآثار في مختلف مظاهر اللغة : فتبدو في الأصوات ؛ كما تبدو في القواعد وأساليب التركيب . فقد حذف منها بعض أصواتها السامية القديمة ؛ واستبدل ببعضها أصوات أخرى ؛ ودخل فيها أصوات حامية جديدة^(١) . وانقلبت فيها جميع القواعد السامية القديمة رأساً على عقب ؛ وتغيرت فيها أشكال الضائر ؛ وانقرضت منها معظم قواعد الجمع والتأنيث . أما مفرداتها فنصفها على الأقل قد انتقل إليها من اللهجات الحامية ، والنصف الآخر السامى قد اجتاز مراحل كثيرة في التطور الصوتى حتى بعد بعداً كبيراً عن أصله . ولهذا كله اتسعت مسافة الخلف التي تفصل الأمهرية عن بقية أخواتها السامية .

ولا تزال الأمهرية محتفظة بوحدتها على الرغم من سعة انتشارها . فهى لم تنشعب بعد إلى لهجات متميزة بعضها عن بعض . والفروق التي توجد بين المناطق الأمهرية اللسان بهذا الصدد ، هى في جملتها فروق يسيرة لم تصل بعد إلى الحد الذى يجعل لسان كل منطقة لهجة متميزة . ومع ذلك يفرق كثير من المحافظين بين هذه الأسنة فى مبلغ فصاحتها ؛ وأفصحها جميعها فى نظرهم هو لسان مدينة

(١) ولذلك زيد فى الرسم الأمهرى سبعة أحرف على حروف هجاء الرسم الجعزى ،

ليرمز بها إلى أصوات تمتاز بها هذه اللغة ولا يوجد لها نظير فى الجعزية V, Renan 317.

جوندار Gondar الواقعة في شمال منطقة أمبرا والتي كانت عاصمة للبلاد من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر.

٣ — لهجة تيجرينيا ، أو اللهجة التيجرينية Tigréen, Tigrigna . وهي متفرعة من اللغة الجعزية^(١) ، ويتكلم بها في منطقة تيجرينيا التي تتوسطها مدينة أكسوم . ويندر استخدام هذه اللغة في الكتابة ولذلك لم تنح دراستها إلا عن طريق المشافهة . ولم يعن العلماء بدراستها إلا في المراحل الأخيرة من القرن التاسع عشر . وقد اشتبكت الأمهرية في صراع مع هذه اللهجة ، ولكنها لم تستطع التغلب عليها ، وإن كانت قد تركت فيها كثيراً من الآثار .

٤ — اللهجة التيجرية^(٢) . وتستخدم هذه اللهجة في المناطق الواقعة في الشمال من منطقة اللهجة السابقة (التيجرينية) . وهي قوية الشبه بالجعزية ، ولكن معظم الباحثين يرى أنها غير متفرعة منها ، بل من لهجة أخرى قديمة لم يصل إلينا شيء من آثارها^(٣) . وعلى الرغم من عدم استخدامها في الكتابة ، فهي من اللهجات القوية المنتشرة الاستعمال في لغات التخاطب بهذه المناطق . فقد تغلبت على السنة كثير من أهل البلاد المجاورة لمنطقتها . وتستخدم ، فضلاً عن هذا ، لغة ثانية لدى بعض العشائر الحامية والسودانية الباقية على ألسنتها القديمة . ويبلغ عدد المتكلمين بها نحو مائة ألف نسمة يتألف معظمهم من القبائل الإسلامية التي تقطن المنطقة الساحلية من مصوع إلى سواكن وجزر دهلك Dahlak . ولعل اعتناق المتكلمين بها للإسلام كان من أهم العوامل التي ساعدتها على مقاومة الأمهرية المسيحية ، فلم تستطع هذه إلى التغلب عليها سبيلاً . ولا ينحدر الناطقون بها من أصول سامية ، بل من أصول حامية كانت تتكلم قديماً لهجات كوشية وتغلب

(١) انظر التعليق الثاني من ص ٨٩ .

(٢) حدث التباس في بعض المؤلفات بين هذه اللهجة واللهجة السابقة لتقارب اسميهما ، فجعلتا لهجة واحدة ، مع أن كليهما متميزة عن الأخرى .

(٣) Brockelmann op. cit. 47

اللسان السامي على ألسنتها . فلهذا السبب ، ولاحتكاكها باللهجات الكوشية التي لا تزال سائدة في المناطق المجاورة لها ، يظهر فيها كثير من وجوه التأثير باللسان الحامي . هذا إلى أن اعتناق أهلها للدين الإسلامي قد ترك فيها كذلك كثيراً من وجوه التأثير باللغة العربية .

٥ - اللهجات الجوراجية . وهي مجموعة لهجات يتكلم بها في منطقة جوراجيا Curague الواقعة في جنوب منطقة « كوا » الأماهيرية جماعات مختلفة الأديان : فمنهم المسلمون ومنهم المسيحيون والوثنيون . وتبلغ مساحة منطقتها نحو عشرة آلاف كيلومتر مربع . وأهم هذه اللهجات اللهجة التشاهية التي يتكلم بها في منطقة تشاها Tchaha وفي بعض المناطق المجاورة لها . واللهجات الجوراجية جميعها متفرعة من الأماهيرية ؛ ولكنها أحيطت بظروف خاصة أبعدها عن أصلها وجعلت منها لهجات متميزة^(٢) .

٦ - لهجة مدينة هرر . وهي متفرعة كذلك من اللغة الأماهيرية^(٢) ؛ ولكنها بعدت عن أصلها بعداً كبيراً حتى أصبحت الآن لهجة متميزة غير مفهومة للأماهيريين . ويرجع هذا إلى عاملين : أحدهما أنها تأثرت باللهجات حامية غير اللهجات الحامية التي احتكت بها الأماهيرية ؛ وثانيهما أن اعتناق أهلها للدين الإسلامي قد ترك فيها آثاراً من اللغة العربية في صورة لا يوجد لها نظير في الأماهيرية المسيحية .



Brockelmann op. cit 49 (١)

Brockelmann op. cit. 49. (٢)

الفصل السادس

اللغة العربية

(١) شعبتها ومنزلتها من اللغات السامية

تؤلف اللغة العربية مع اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة يطلق عليها اسم الشعبة السامية الجنوبية . وذلك أن صلات القرابة التي تربطها بهذين الفرعين أقوى كثيراً من صلات القرابة التي تربطها بشعبتي اللغات السامية الشمالية ، كما يبدو ذلك من الموازنة بينها في أصول الكلمات والأصوات والقواعد . وتختلف هذه الفروع الثلاثة نفسها في مبلغ قربها بعضها من بعض . فصلة القرابة بين اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية أقوى كثيراً من صلة القرابة بين كل منهما واللغة العربية . ويرجع السبب في ذلك إلى أن اللغات الحبشية السامية قد انشعبت بشكل مباشر عن اللغات اليمنية القديمة ، وأن الفضل في نشر اللسان السامي ببلاد الحبشة يرجع إلى المهاجرين الأولين من بلاد اليمن كما تقدم بيان ذلك . وتختلف هذه الفروع الثلاثة كذلك في مبلغ بعدها عن الشعبة الشمالية (الآرامية الكنعانية) . فمسافة الخلف بين الشعبة الشمالية من جهة واللغات اليمنية والحبشية من جهة أخرى أضيق كثيراً من مسافة الخلف بين هذه الشعبة واللغة العربية^(١) .

(٢) نشأتها وأقسامها

على الرغم من أن اللغة العربية قد نشأت في أقدم مواطن الساميين (بلاد الحجاز ونجد وما إليها) فإن ما وصل إلينا من آثارها يعد من أحدث الآثار

(١) Brockmann op. cit. ٥١

(٢) تقدمت الإشارة إلى هذه الحقائق بصفحة ٧٢٢ وأول صفحة ٧٣١ . ٩٥ . (٦)

السامية . فبينما يرجع أقدم ما وصل إلينا من آثار الأكدية إلى ما قبل القرن العشرين ق . م ^(١) ، ومن آثار العبرية إلى القرن الثاني عشر ق . م ^(٢) ، ومن آثار الفينيقية إلى القرن العاشر ق . م ^(٣) ، ومن آثار الآرامية إلى القرن التاسع ق . م ^(٤) ، إذ أقدم ما وصل إلينا من آثار العربية البائدة لا يكاد يتجاوز القرن الأول ق . م ، وأقدم ما وصل إلينا من آثار العربية الباقية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد . ولذلك لا نعلم شيئاً عن طفولة اللغة العربية وما اجتازته من مراحل في عصورها الأولى .

وعلى ضوء ما وصل إلينا من آثارها يمكن تقسيمها قسمين : العربية البائدة ؛
والعربية الباقية .

١ - أما « العربية البائدة » أو « عربية النقوش » فتطلق على لهجات كان يتكلم بها عشائر عربية تسكن شمال الحجاز على مقربة من حدود الآراميين وفي داخل هذه الحدود . ولتطرف هذه اللهجات في الشمال ، وشدة احتكاكها باللغات الآرامية ، وبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد والحجاز ، فقدت كثيراً من مقوماتها ، وصبغت بالصبغة الآرامية . وقد بادت هذه اللهجات قبل الإسلام ، ولم يصل إلينا منها إلا بعض نقوش عثر عليها أخيراً في المناطق السابق ذكرها . ومن أجل ذلك تسمى أحياناً « عربية النقوش » .

٢ - وأما العربية الباقية فهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها ، والتي لا تزال تستخدم عندنا وعند الأمم العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتأليف . وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز ، ثم انتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية ، وانشعبت منها اللهجات التي

(١) انظر آخر صفحة ٣٢ وأول ٣٣ .

(٢) انظر ص ٤٩ .

(٣) انظر آخر ص ٤٠ .

(٤) انظر صفحتي ٦٠ ، ٦٥ .

يتكلم بها في العصر الحاضر في بلاد الحجاز ونجد واليمن وفلسطين والشام ولبنان
والعراق ومصر وبلاد المغرب . وقد وصلت إلينا العربية الباقية عن طريق آثار
العصر الجاهلي والقرآن والحديث وآثار العصور الإسلامية المختلفة .
وسنلقى في الفقرة التالية نظرة عجي على « العربية البائدة » ثم نقف بقية
فقرات هذا الفصل على « العربية الباقية » .

(٣) « العربية البائدة » أو « عربية النقوش »

يطلق الآن هذا الاسم على بعض لهجات عربية كانت تستخدم قديماً في
بعض مناطق واقعة في الشمال على مقربة من الحدود الآرامية وفي داخل هذه
الحدود ، وخاصة في واحات تيماء والحجر (أو مدائن صالح) ومنطقة العلا في
شمال الحجاز .

ولم تصل إلينا هذه اللهجات إلا عن طريق نقوش عثر عليها أخيراً في مساحة
واسعة تمتد من دمشق إلى منطقة العلا . وكثير من هذه النقوش عثر عليه في
واحتي الحجر وتيماء .

ويظهر من هذه النقوش أن المتكلمين بتلك اللهجات كانوا في عزلة تامة عن
عرب نجد والحجاز ، وأنهم فقدوا كثيراً من مقوماتهم العربية ، وصبغوا بالحضارة
الآرامية والنبطية ، حتى أنهم ليؤرخون نقوشهم بحرب النبط وتاريخ بصرى
وحروب الفرس والروم .

وتتفق اللغة التي دونت بها هذه النقوش مع « العربية الباقية » في كثير من
مقوماتها وخصائصها في الأصوات والقواعد المفردات . فهي تشتمل على معظم
الأصوات التي تمتاز بها العربية الباقية عن سائر أخواتها السامية أو يكثر ورودها
فيها دون غيرها كأصوات الذال والثاء والغين المعجمة والضاد . وتشتمل كذلك
على أهم خاصة لقواعد اللغة العربية ، وهي خاصة الإعراب بالحركات ، أي إلحاق

أصوات مد قصيرة بآخر الكلمة لبيان وظيفتها وعلاقتها ببقية عناصر الجملة^(١) ،
وتسير على الطريقة العربية في صوغ أفعال التفضيل وحذف علامة الإعراب أو شيء
منها في حالة إضافة الاسم إلى ما عداه . وتبدو وجوه الشبه بينهما أظهر مما يكون
في أصول المفردات وأسماء الأعلام^(٢) .

غير أن العربية البائدة تمتاز عن العربية الباقية بشدة تأثرها باللغة الآرامية ،
وتختلف عنها اختلافاً غير يسير في كثير من مظاهر الصوت والمفردات والدلالة
والتواعد . ومن مظاهر اختلافها في القواعد أداة التعريف ؛ فهي في هذه
اللہجات حرف الهاء ، أو « هان » كما هو الشأن في العبرية ؛ على حين أنها
« أل » في العربية الباقية .

هذا ، وتنقسم النقوش التي وصلت إلينا العربية البائدة عن طريقها إلى
قسمين : قسم شديد التأثر بالآرامية ؛ وقسم أقل تأثراً بها وأدنى إلى العربية الباقية .
وقد دون القسم الأول بخط مشتق من الخط المسند^(٣) ؛ بينما دون القسم الثاني
بالخط النبطي أو بخط مشتق منه .

١ - أما نقوش القسم الأول فضحلة المادة لا تشمل إلا على بعض أسماء
الأعلام وبعض عبارات قصيرة . وتنقسم باعتبار المناطق التي كشفت فيها والعشائر
التي يظن أنها استخدمتها إلى ثلاث مجموعات : النقوش اللحيانية ؛ والنقوش
التمودية ؛ والنقوش الصفوية .
فالنقوش اللحيانية تنسب إلى قبائل لحيان . وقد اختلف العلماء في أصل

(١) أشير في بعض هذه النقوش لحركات الإعراب بحروف مزيدة في آخر الكلمة
« صنع كعبو الخ . »

(٢) Renan 344 fin 345; Brockelmann 38 - 40; Cohen 115.

(٣) انظر ص ٧٦ .

هذه القبائل اختلافاً كبيراً ، ولم يصلوا بعد بصدها إلى رأى يقينى ^(١) . ولم يثبت بعد بصورة قاطعة تاريخ هذه النقوش ؛ ولكن يظهر أن أقدمها لا يتجاوز القرن الثانى أو الأول ق . م ؛ وأحدثها لا يتجاوز السادس بعد الميلاد ^(٢) . وكثير من هذه النقوش يعرض لتعداد ملوك لحيان وألقابهم ... وما إلى ذلك . والخط الذى كتبت به مشتق من الخط المسند ، ويسير مستعرضاً من اليمين إلى الشمال . وتنسب النقوش الثمودية إلى قبائل ثمود التى ورد فى القرآن ذكرها وذكر مساكنها أكثر من مرة . وقد عثر على هذه النقوش فى المواطن نفسها التى يعتقد العرب أنها كانت مساكن ثمود ^(٣) . ويرجع تاريخ معظمها إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد . ولا يختلف كثيراً الرسم الذى كتبت به عن الرسم الذى دونت به النقوش اللحيانية السابقة الذكر . فهو مثله مشتق من الخط المسند ، غير أنه أقل من الرسم اللحيانى نظاماً ورواقاً . أما اتجاهاته فغير ثابتة على حال واحدة ، ولكنه فى الغالب يتجه من أعلى إلى أسفل . وتنسب النقوش الصفوية إلى المنطقة التى كشفت على مقربة منها وهى منطقة الصفا ؛ فقد عثر عليها فى حرة واقعة بين تلول الصفا وجبل الدرروز . ويرجع تاريخها إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد . والخط الذى دونت به يشبه كثيراً الخط اللحيانى غير أنه مختلف الاتجاهات : فتارة يقرأ من اليمين إلى الشمال ؛ وأخرى من الشمال إلى اليمين . ويرجع قسط كبير من الفضل فى حل النقوش الصفوية إلى المستشرق الألمانى الأستاذ ليمان . فقد جمع من هذه المنطقة نحو ألف وأربعمائة نقش ، ثم عكف على دراستها زمناً طويلاً ، فكشف حروفها الأبجدية وحل معظم رموزها .

(١) يرجح بعضهم أن اللحيانيين من قبائل ثمود أو أنها اندمجت فى هذه القبائل وتكون منهما شعب واحد .

(٢) Cohen, Langues du Monde 115.

(٣) عثر على بعضها فى المناطق نفسها التى عثر فيها على النقوش اللحيانية السابقة الذكر ،

وعلى بعضها الآخر فى مناطق أخرى واقعة فى شمالها .

وفيما يلي ستة نماذج من هذه النقوش : الثلاثة الأولى منها نقوش ثمودية ؛
والثلاثة الأخيرة نقوش صفوية ، وقد دونها جميعها بحروف عربية وألحقنا بكل
منها ترجمته إلى لغتنا العربية ^(١) .

(١)

ذ ن ل ق ض ب ن ت ع ب د م ن ت
وإذا ألحقنا بهذه الأصوات الساكنة أصوات المد التي تتبع بعضها والتي
لا يرمز إليها هذا النقش ، تصبح كلماته على الصورة الآتية :
ذ ن ل ق ي ض ب ن ت ع ب د م ن ت .
وترجمته إلى العربية : « هذا قبر لقيض بنت عبد مناة »

(٢)

ل ت م ي غ ث ب ن ج ش م ه و ع ل
وبوضع أصوات المد التي أغفل هذا النقش الرمز إليها ، ووصل حروفه
بعضها ببعض ، يصبح على الصورة الآتية :

ل ت م ي غوث بن جشم هو ع ل .

وترجمته إلى العربية : « الوعل ل تيم يغوث بن جشم » . والهاء في « هوعل »
هي علامة التعريف في العربية البائدة كما سبق الإشارة إلى ذلك . ويظهر أن
صورة وعل كانت منقوشة بجانب هذه الكتابة ، وقصد تدوين اسم الفنان
الذي قام بنقشها .

(٣)

ل ح ز م و ت ش و ق ال ع م ت

(١) نقلت هذه النقوش وترجمتها من كتاب الدكتور اسراييل ولفنسن « تاريخ اللغات
السامية » صفحات ١٧٨ إلى ١٨٨ مع ملاحظة تحقيقات الأستاذ ليمان المشيمه بصفحة ٢٧٧ ،
٢٧٨ . وقد اعتمدنا في تعليقنا على هذه النقوش على مراجع كثيرة أهمها : (١)

Brocklemann, op. cit. 38, 39 et Cohen, Langues du Monde 115.

وترجمته إلى العربية . « لحزم وتشوق إلى عمة » . ويفهم منه أن حزمياً كان
متشوقاً إلى عمة له ، ولعله شطر بيت من الشعر .
(٤)

لبرد بن اصلح بن ابجر وشتى هدر وذبح فهلت
سلم .

وترجمته إلى العربية : لبرد بن أصلح بن أبجر وشتى (أى أقام في الشتاء)
في هذا المكان أو في هذه الدار (الهاء في « هدر » علامة التعريف ، و « در »
ينطق بها « دار » لأن هذا الرسم لا يرمز إلى أصوات المد) وذبح (ذبيحة)
فيا الله سلام (أقدمه لك) .
(٥)

لانعم بن قحش وغنم سنت حرب نبط
وترجمته إلى العربية . لأنعم بن قحش وغنم سنة حرب النبط
(٦)

لنصرل بن حمر هخطاط وحضر هدر فه اثع سلم
وخرص قعصن وفر .
وترجمته إلى العربية : لنصرال بن حمرانخط (هخطاط = هخط = اخط ،
لأن الهاء كانت علامة التعريف في العربية البائدة ؛ ويقصد من اخط النقش ؛
فمعنى الجملة : هذا النقش لنصرال بن حمر) وحضر في هذه الدار (هدر =
هدار = الدار) فيا أتع (اسم صنم من أصنام أهل الصفا) سلام (عليك) وقتل
(خرص معناها قتل) قعصن (اسم علم) وفر^(١) .

٢ — وأما القسم الثاني من هذه النقوش فأغزر مادة من القسم الأول .

(١) هذه العبارة في النقش مدونة حول صورة لشخص على جواد ويده حربة طويلة
يعلن بها شخصاً آخر .

وأقل تأثيراً باللغة الآرامية ، وأدنى منه كثيراً إلى « العربية الباقية » في مفرداته وأسلوبه وقواعده ، مع أن المنطقة التي كشفت بها نقوشه لا تبعد كثيراً عن المنطقة التي كشفت بها نقوش القسم الأول .
وينتظم هذا القسم ثلاثة نقوش . نقش النمامرة Nemar ونقش زَبَد Zabad ونقش حوران^(١) .

(نقش النمامرة)

أما نقش النمامرة فيشتمل على خمسة أسطر ونصه بالحروف العربية كما يلي :
(١) تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج .
(٢) وملك الأسدين ونزرا وملوكهم وهرب مزحجو عكدي وجا .
(٣) بزجي في حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .
(٤) الشعوب ووكهن فرسو لروم فلم يبلع ملك مبلغه .
(٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده .
وترجمته إلى العربية كما يلي :

(١) هذا قبر (نفس أي قبر في العربية البائدة) أمرى القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي (ذو بمعنى الذي في لهجاتهم) حاز (أسر بمعنى حاز أو استولى أو لبس) التاج .
(٢) وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم وهزم (هرب بمعنى هزم واضطروهم إلى الفرار) مزحج^(٢) بقوته (عكدي تدل على القوة) وجاء .

(١) نقلت هذه النقوش وترجمتها من كتاب الدكتور إسرائيل ولفنس : « تاريخ اللغات السامية » صفحات ١٩٠ — ١٩٤ مع ملاحظة تحقيقات الأستاذ ليمان في آخر هذا الكتاب . واعتمدنا في التعليق عليها على ما ورد في كتب كثيرة أهمها كتب بروكلان وكوهين Brockelmann, et Cohen

(٢) يرى الأستاذ ليمان أن « حرف الواو في أسماء الأعلام في هذا النقش مثل مزحجو ، شمر و... الخ وضع لينوب عن التنوين في حالة الرفع ، ولعل كاتب هذا النقش أراد أن يثبت حرف الواو أن يدل القارىء على النطق الصحيح للكلمة . » (هذه عبارة ليمان أثبتناها بنصها كما وردت في كتاب ولفنس ص ٢٧٨) .

(٣) إلى نزجي (أو بزجي) في حبج نجران مدينة شمر، ومَلِك معداً وأنزل

(بمعنى قسم بين) بنيه .

(٤) الشعوب ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

(٥) في القوة ، هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ كسلول (كانون الأول) ليسعد

الذين ولداهم (أي ليسعد نسله وذريته) .

وقد عثر على هذا النقش في منطقة النمارة ، وهي قصر صغير للروم على مقربة

من دمشق جنوب منطقة الصفا السابق ذكرها . ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨

بعد الميلاد . وهو يشير إلى قبر امرئ القيس بن عمرو الذي كان من ملوك الحيرة

وامتد نفوذه إلى الشام . وقد دون بالرسم النبطي المتصل الحروف ، والرسم النبطي

هو أحد أنواع الرسم الآرامي ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ^(١) ؛ ومن هذا النوع

اشتق الرسم العربي كما سند ذلك بتفصيل في الفقرة الثامنة من هذا الفصل .

ولذلك يشتد وجه الشبه بين الرسم الذي دون به هذا النقش والرسم العربي

في أول مراحلها .

ومع ظهور آثار الآرامية في لغة هذا النقش ، فإنه يشتمل على مفردات

وجمل كثيرة تتفق كل الاتفاق مع العربية الباقية . فمن ذلك قوله : « فلم يبلغ

ملك مبلغه » و « نزل بنيه الشعوب » و « ملك العرب كلها » و « هلك سنة » .

(نقش زبد)

وأما نقش زبد فيشتمل على سطرين ونصه بالحروف العربية كما يلي ^(٢) :

(١) (بس ^(٣)) م الإله سرجو برأمت منفو وهني ، بر مر القيس .

(١) انظر آخر صفحة ٦٢ وأول ٦٣ .

(٢) الموضوع بين قوسين يمثل أجزاء مكسورة أو مطموسة من النقش .

(٣) قطعة مكسورة من النقش يظن أنها (بس) فيكون الحرف الباقى ميا وتسكون

الجملة باسم الإله . . . وقرأوها ليمان بنصر الإله على اعتبار أن المكسور (بنص) وأن

الحرف الباقى راء .

(٢) وسرجو برسعدو وسترو و (شر) يحو بتميمي .

وقد عثر على هذا النقش في الأطلال المسماة بزبد ، وهي واقعة في الجنوب الشرقي من مدينة حلب بين قنسرين والفرات ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢ أو ٥١٣ بعد الميلاد . وهو مدون بثلاث لغات : العربية البائدة والسريانية واليونانية . ولم يبق من قسمه العربي إلا القطعة التي نقلناها . وهي تشتمل على كلمة عربية وهي « الإله » وعلى أسماء أعلام عربية كثيرة كذلك يظن أنها أسماء الذين اشتركوا في بناء الكنيسة التي وضع فيها هذا النقش (١) .

أما نوع الرسم الذي دونت به هذه القطعة فهو مشتق من الرسم النبطي المتصل بالحروف ، ويمثل الرسم العربي في أقدم مراحل (٢) .

(نقش حوران)

وأما نقش حوران hauran, harran (٣) فيقع في أربعة أسطر ، ونصه بالحروف العربية كما يلي :

(١) أنا شرحيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول

(٢) سنت ٤٦٣ بعد مفسد

(٣) خيبر

(٤) بعم

وترجمته إلى العربية :

أنا شرحيل بن ظالم بنيت هذه الكنيسة سنة ٤٦٣ بعد مفسد (انهيار)

(١) الواو المختتمه بها بعض الأعلام في هذا النقش هي عوض عن التنوين كما يرى ذلك الأستاذ ليمان (انظر التعليق رقم ٢ في صفحة ١٠١) . وكلمة « بر » المتوسطة بين علمين معناها « ابن » .

(٢) يستثنى من ذلك الكلمة الأخيرة في هذه القطعة (بتميمي) فإنها مدونة بالسريانية .

(٣) رسمه بروكلمان Hauran وكوهين Harran ، ورسم بروكلمان هو الأدنى إلى

الاسم العربي « حوران » .

خيبر بعام . — و « مفسد خيبر » المؤرخ به هذا النقش يشير إلى ما حدث لهذا البلد على أثر غارة شنها عليه أحد أمراء بني غسان ، و انتهت بانتهياره وسبي كثير من أهله .

وقد عثر على هذا النقش بحوران اللجا الواقعة جنوب دمشق في الجزء الشمالي من جبل الدروز . وهو منقوش على حجر فوق باب الكنيسة التي تشير عبارته إلى مؤسسها وتاريخ إنشائها . ويرجع تاريخه إلى سنة ٥٦٨ بعد الميلاد . وهو مدون بلغتين : العربية البائدة واليونانية . وقد وصل إلينا قسمه العربي سليماً كامل الكلمات . ولا تختلف اللهجة التي دون بها هذا القسم عن « اللغة العربية الباقية » إلا في أمور يسيرة . فلغته أقرب كثيراً إلى العربية الباقية من لغة النقشين السابقين . أما الرسم الذي دون به فهو من نوع الرسم المدون به نقش زيد . فكلاهما مدون بخط مشتق من الرسم النبطي المتصل الحروف ، وكلاهما يمثل في رسمه الخط العربي في أقدم مراحلها . غير أن رسم هذا النقش أدنى كثيراً إلى الرسم العربي من رسم النقش السابق . ولذلك لا نجد من يعرف الرسم العربي كبير عناء في حل رموزه .

(٤) العربية الباقية

وهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها ، والتي لا تزال تستخدم عندنا وعند الأمم العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتأليف . وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز ، ثم انتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية ، وانشعبت منها اللهجات التي يتكلم بها في العصر الحاضر في بلاد الحجاز ونجد واليمن وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق ومصر وبلاد المغرب .

ولا نعلم شيئاً عن طفولة هذه اللغة ؛ إذ لم يعثر العلماء في مواطنها الأولى

بنجد والحجاز على آثار منقوشة أو مكتوبة تلتقى ضوءاً على حالتها الأولى^(١) .
وأقدم ما وصل إلينا من آثارها هو ما يعرف بالأدب الجاهلي ، وهو آثار
أدبية تنسب لطائفة من شعراء العصر الجاهلي وحكمائه وخطبائه ، ولكنها لم تجمع
وتدون إلا في القرون الأولى للعصر الإسلامي . ويرجع تاريخ أقدمها إلى القرن
الخامس بعد الميلاد على أبعد تقدير . وهي تمثل هذه اللغة في عنقوان اكتمالها
وعظمتها بعد أن اجتازت مراحل كثيرة في سبيل التطور والارتقاء ، وبعد أن
تغلبت لهجة من لهجاتها وهي لهجة قريش على أخواتها ، واستأثرت بميادين
الأدب شعرها وخطابها ونثرها في مختلف القبائل العربية . ولذلك سنبداً الحديث
عن هذه اللغة بكلمة في صراع لهجاتها بعضها مع بعض وتغلب لهجة قريش .

(٥) صراع لهجاتها بعضها مع بعض وتغلب لهجة قريش

انقسم المتكلمون بهذه اللغة ، منذ أقدم عصورهم ، إلى قبائل شتى ، وطوائف
قدداً ، تختلف كل طائفة منها عما عداها في بيئتها الجغرافية ، وما يكتنفها من
ظروف طبيعية واجتماعية ، وما تمتاز به في نواحي الوجدان والتفكير ، وما أتيح
لها من وسائل الثقافة .. وهلم جراً . ومن المقرر في قوانين اللغات أنه متى انتشرت
اللغة في مساحة واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال
عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً ، فلا تلبث أن تنشعب إلى عمدة

(١) يذهب بعضهم إلى أن العرب لم يتركوا في هذا العصر آثاراً لأن الأمية كانت حينئذ
عامة فيهم . ولا يتفق هذا الرأي مع ما يحدثنا به التاريخ من أن أناساً كثيرين من العرب في العصر
الجاهلي كانوا يجيدون القراءة والكتابة . قال ابن فارس في تعليقه على قصة أبي حية النميري الذي لم
يعرف معنى حرف « الكاف » عندما طلب إليه أن ينشد قصيدة على الكاف : « وكان قبله
(يعني أباحية النميري) بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخط وقرأ . وكان في أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتبون (تعلموا ذلك في عصورهم الجاهلية) منهم أمير المؤمنين
على صلوات الله عليه وعثمان وزيد وغيرهم » (الصاحي ص ٩) — ويذهب بعضهم إلى أن
ما تركوه من الآثار لم يكشف بعد ، ويأمل أن يكشف عنه يوماً ما (ولفنسن ص ١٩٤) .
ويرى الأستاذ ليمان أن ما تركوه من الآثار قد عفا واندر ، فلا أمل في كشف شيء منه
(انظر تعليق ليمان في كتاب ولفنسن تاريخ اللغات السامية ص ٢٧٨) .

لهجات^(١). ولم تفلت اللغة العربية — وما كان يمكن أن تفلت — من هذا القانون العام. فقد انقسمت، منذ أقدم عصورها، إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات، واختصت كل قبيلة وكل جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات.

غير أنه قد أتيت هذه اللهجات المتعددة فرص كثيرة للاحتكاك بفضل التجارة وتبادل المنافع ومجاورة القبائل العربية بعضها لبعض وتنقلها في طلب الكلاء وتجمعها في الحج والأسواق والحروب الأهلية... وهلم جرا. فاشتبكت من جراء ذلك اللهجات العربية بعضها مع بعض في صراع لغوي كتب النصر فيه لهجة قریش، فطغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة، واستأثرت بميادين الأدب شعرها وخطابها ونثرها في مختلف القبائل العربية. فأصبح العربي، أيًا كانت قبيلته، يؤلف شعره وخطابته ونثره الأدبي بلهجة قریش. وقد ساعد على تغلب هذه اللهجة عوامل كثيرة من أهمها ما يلي:

١ — عامل ديني، فقد كانت قریش جيرة البيت الأديني، يقيمون حوله، ويقومون بسداته. وكان البيت حرمًا مقدسًا في نظر معظم القبائل العربية في الجاهلية، يحجون إليه ليؤدوا مناسكهم، ويزوروا أصنامهم ويقدموا لها القرابين، ويشهدوا منافع لهم. فكان لقریش بذلك السلطان الديني على بقية القبائل العربية، كما كان لقبيلة لاوى السلطان الديني على بقية قبائل بني إسرائيل.

٢ — وبجانب هذا السلطان الديني، كان لقریش سلطان اقتصادي خطير. فقد كان مقدار كبير من التجارة في يد القرشيين الذين كانوا ينتقلون بتجاريتهم في مختلف بقاع الجزيرة العربية من الشام شمالًا إلى أقصى اليمن جنوبًا، ويقومون في مختلف الفصول برحلات تجارية منظمة من أشهرها رحلة الشتاء إلى اليمن

(١) انظر صفحات ١٥٦ — ١٦٥ من كتاب « علم اللغة »؛ الطبعة الثالثة.

ورحلة الصيف إلى الشام كما يحدثنا بذلك القرآن الكريم إذ يقول : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . وفضل هذا النشاط التجاري أصبح زمام الثروة في هذه البلاد بيد قريش .

٣ — وقد تحقق لقريش ، بفضل نفوذها الديني والاقتصادي ، وفضل موقع بلادها ، وما كانت تتمتاز به من حضارة ونعيم ، تحقق لها بفضل هذا كله نفوذ سياسي قوى في سائر بلاد العرب في العصر الجاهلي . وفي ذلك يقول أبو بكر في رده على الأنصار الذين طمحووا إلى الخلافة بعد وفاة الرسول عليه السلام : « لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله » .

٤ — هذا إلى أن لهجة قريش كانت أوسع اللهجات العربية ثروة ، وأغزرها مادة وأرقها أسلوباً ، وأدناها إلى الكمال ، وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول . وقد تم لها ذلك بفضل ما أتيح لأهلها من وسائل الثقافة والنهوض ، وما أتيح لها من فرص كثيرة للاحتكاك بمختلف اللهجات العربية ، وما انتقل إليها من هذه اللهجات من عناصر زادت ثروتها وسدت ما كان يعوزها في بعض مناحي التعبير .

فجميع الظروف التي تقتضيها قوانين التغلب اللغوي ، والتي فصلناها في كتاب « علم اللغة » بصدده صراع اللهجات المحلية بعضها مع بعض^(١) كانت مهيأة لتغلب لهجة قريش على اللهجات العربية الأخرى . فمن المقرر أن الصراع بين لهجتين محليتين ينتهي بتغلب إحداها على الأخرى في حالتين : (أولاهما) أن يكون لأهل واحدة منهما نفوذ على أهل اللهجة الأخرى . ففي هذه الحالة يكتب النصر للهجة المنطقة ذات النفوذ ، على شريطة أن لا تقل

(١) انظر صفحات ١٦٥ — ١٧٠ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

عن المنطقة الأخرى حضارة وثقافة وآدابا . ولذلك تغلبت لهجة باريس حيث مقر الحكومة والسلطان على كثير من اللهجات الفرنسية التي خضعت لنفوذ باريس ؛ وكذلك كان شأن لهجة لندن مع عدد كبير من لهجات المحاذية التي كانت مستخدمة في الجزر البريطانية ؛ ولهجة مدريد مع كثير من اللهجات الأسبانية الأخرى ؛ ولهجة روما في العصور القديمة مع أخواتها الإيطالية ... وهلم جرا .

(وثانيتها) أن تفوق إحدى المنطقتين المنطقة الأخرى في ثقافتها وحضارتها ومقومات لغتها وآدابها ، ففي هذه الحالة يكتب النصر للهجتها وإن لم يكن لها سلطان على المنطقة الأخرى . وبفضل هذا العامل أخذت اللهجة السكسونية بألمانيا تطارد اللهجات الألمانية الأخرى منذ القرن السادس عشر الميلادي ، أي قبل أن تتكون الدولة الألمانية الحديثة وقبل أن تظهر غلبة برلين^(١) ؛ وأخذت التوسكانية بإيطاليا تقهر اللهجات الإيطالية الأخرى منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، أي قبل أن تتكون الدولة الإيطالية الحديثة وقبل أن يظهر سلطان روما^(٢) ؛ وذلك بفضل ما كان لكل من السكسونية والتوسكانية من إنتاج أدبي ومقومات لغوية لا يذكر بجانبها إنتاج أخواتها التي اشتبكت معها في هذا الصراع . وإذا كانت إحدى هاتين الخلتين تؤدي لا محالة إلى تغلب اللهجة المتوافرة فيها شروطها ؛ فكيف إذا توافرت كلتاها في لهجة محلية كما كان شأن لهجة قریش . فقد كان لأهل هذه اللهجة السلطان الديني والاقتصادي والسياسي ؛ وكانت هي أكثر أخواتها ثروة وأغزرها مادة وأوسعها ثقافة وأقدرها على التعبير عن مختلف فنون القول . فليست ظاهرة تغلبها إذن فصدفة في التاريخ ، أو يرجع سببها إلى إرهاب أو إعجاز ؛ بل هي ظاهرة عامة في لغات بني الإنسان قديمها وحديثها . ومن المقرر كذلك في قوانين علم اللغة أن اللهجة المحلية التي يتاح لها التغلب

(١) على أن برلين نفسها لم تكن مهد السكسونية بل انتقلت إليها كما انتقلت إلى غيرها .

(٢) على أن روما لم تكن مهد الإيطالية الحديثة ، بل انتقلت إليها كما انتقلت إلى غيرها .

تصبح ، عاجلاً أو آجلاً ، « لغة الآداب » ؛ فتصطنع وحدها في الكتابة والتأليف
والأدب شعره ونثره . فقد ترتب على تغلب لهجة باريس على معظم أخواتها أن
أصبحت هي وحدها لغة الكتابة والآداب بفرنسا ، وعليها وحدها يطلق الآن
اسم اللغة الفرنسية . وهذا هو ما حدث عقب تغلب لهجة لندن بإنجلترا ؛ ولهجة
مدريد بإسبانيا ؛ واللهجة السكسونية بألمانيا ؛ والتوسكانية بإيطاليا . فقد أصبحت
هذه اللهجات هي اللغات الأدبية في الممالك السابق ذكرها ، وعليها وحدها يطلق
الآن اسم اللغات الإنجليزية والإسبانية والألمانية والإيطالية .
وهذا هو ما حدث للغة قريش . فقد ترتب على تغلبها على بقية اللهجات
العربية أن أصبحت لغة الآداب عند جميع قبائل العرب . فيها كان ينظم الشعر ،
وتلقى الخطب ، وترسل الحكم والأمثال ، وتدون الرسائل ، وتتفاوض الوفود ،
ويتخاصم الأدباء ، وتجري المناقشة في النوادي والمؤتمرات ... في مختلف بلاد العرب
ومختلف قبائلهم . وقد تم لها ذلك قبل بعثة الرسول عليه السلام بزمن غير قصير .

(٦) القرآن والآداب الجاهلي ومجئهما بلغة قريش

فلا غرابة إذن في أن القرآن ، وقد جاء بلغة قريش ، كان مفهوماً لدى جميع
القبائل ، وكان يؤثر في العرب جميعاً ببيانته وبلاغته ، فقد نزل بعد أن تم للهجة
قريش التغلب على اللهجات العربية الأخرى ، و بعد أن أصبحت لغة الآداب
لسائر قبائل العرب .

ولا غرابة كذلك أن جاءت آثار العصر الجاهلي ، معلقاتها وشعرها وخطبها
وحكمها وأمثالها ، مؤلفة بلغة قريش . بل كان يكون غريباً كل الغرابة ، ومتعارضاً
مع نواميس اللغات الإنسانية ، لو جاء شيء منها مؤلفاً بغير هذه اللغة . لأن أقدم
هذه الآثار لا يتجاوز القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد ، أي أنها جميعها قد
ألفت بعد أن تم للهجة قريش التغلب على ما عداها و بعد أن أصبحت اللغة الفذة
التي يصطنعها العرب في ميادين الآداب .

ولا نريد بذلك الدخول في موضوع الأدب الجاهلي ، والتعرض لصحة نسبته إلى الجاهليين أو عدم صحتها . فهذا موضوع يتجاوز النطاق الذي رسمناه لهذه العجالة ، بل يتجاوز موضوع المادة نفسها ، فهو من كثير من نواحيه أدنى إلى بحوث آداب اللغة والنقد الأدبي منه إلى بحوث فقه اللغة . فحسبنا إذن ما ذكرناه بصدده في الفصل الرابع^(١) وفي هذا الفصل ؛ فهو يشتمل على أهم ما يتصل من هذا الموضوع بمادة فقه اللغة ، ويبين فساد ما يعتمد عليه منكرو الأدب الجاهلي من أدلة تتصل باللغة وتاريخها .

على أننا لا نقصد بذلك أن نقرر أن جميع ما وصل إلينا من الأدب الجاهلي صحيح لم يعتوره نقص ولا زيادة ولا تحريف . فالأدب الجاهلي لم يدون إلا بعد الإسلام بأكثر من مائة عام . وقد ظل في أثناء هذه المدة الطويلة يتناقله الناس مشافهة ، ولا تعيه إلا حوافظهم . وغنى عن البيان أن آثاراً أدبية يتناقلها الخلف عن السلف في أثناء مدة طويلة كهذه ولا تعيها إلا إذا كراتهم ، لا بد أن ينالها ، عن قصد وعن غير قصد ، كثير من التحريف ، ويسقط منها كثير مما كانت تشتمل عليه ، ويندس فيها ما ليس منها ؛ ولا بد أن تتأثر بالسنة رواياتها وأساليب لغتهم ، وبالحالة التي انتهى إليها التطور اللغوي في عصرهم ؛ هذا إلى تأثرها بأمور أخرى غير لغوية كالشئون الدينية والسياسية والاجتماعية ... وهلم جرا . وإليك مثلاً أن المعلقات ومعظم آثار الأدب الجاهلي تكاد تخلو من الأمور التي تشير إلى العقائد والعبادات الوثنية ، مع أنه قد كان لهذه الشؤون سلطان كبير على نفوس العرب قبل الإسلام ؛ كما يحدثنا بذلك القرآن وتدل عليه حقائق التاريخ . فلا شك إذن أن الرواة قد تعمدوا حذف كثير من النصوص المشتملة على هذه الأمور أو تغييرها ، كما غيروا في صدر الإسلام أسماء الأعلام المتضمنة لأمور وثنية : فقيم اللات مثلاً سماه الرسول عليه السلام تيم الله ، إبقاء لذكر الصم في اسم جد الأنصار .

(١) انظر صفحة ٨٠ وتوابعها .

وقد فطن كثير من باحثي العرب أنفسهم لما اتت الأدب الجاهلي من تحريف ، وما سقط منه من عناصر ، واندس فيه من دخيل ؛ وعرضوا لأسباب هذه الأمور فذكروا منها العوامل السابقة وعوامل أخرى كثيرة . فقد ذكروا أن كثيراً من العشائر استقلت ما قاله شعراؤها في الجاهلية وما نسب لآبائهم الأولين من أعمال ، فخلقوا قصائد نسبوها إلى شعرائهم في الجاهلية ونسبوا فيها إلى آبائهم كثيراً من أعمال النبل والكرم والإقدام . وذكروا كذلك أن كثيراً من الأعراب أنفسهم كانوا يخلقون القصائد وينسبونها لشعراء من الجاهلية ، إرضاء لرغبة الرواة الذين كانوا يلحون عليهم ويطلبون منهم المزيد . وذكروا كذلك أن حمادا الرواية كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار ، وأنه أقر بحضرة أمير المؤمنين المهدي بما زاده من عنده في شعر زهير بن أبي سلمى ؛ وأن خلفاً الأحمر وغيره اخترعوا من الشعر ما لم يكن له وجود وكذبوا على الشعراء^(١) .

غير أن أهمية القسم المصنوع نفسه لا تقل كثيراً في نظر الباحث اللغوي عن أهمية القسم الصحيح . لأن مخترعيه كانوا قريبي عهد بالعصر الجاهلي (فمعظمهم ممن نشأ في القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة) ، وكانوا على إلمام كبير باللغة وآدابها ؛ فلم يدخروا وسعاً في محاكاة الجاهليين والسير على غرارهم فيما نسبوه إليهم ؛ فجاء ما اخترعوه ممثلاً أصدق تمثيل في روحه وعباراته ومفرداته وأساليبه للغة الأدب الجاهلي .

(٧) نهضة لغة قريش وعوامل هذه النهضة

تضافرت عوامل كثيرة على النهوض بلغة قريش ، وتوطيد قدمها ، وتمكينها من السنة العرب ، وتوسيع نطاق إنتاجها . ومن أهم هذه العوامل ما يلي :

(١) انظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وهو من رجال القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة (توفي سنة ٢٣٢ هـ) . وهذا يدل على أن الباحثين من العرب قد فطنوا لذلك منذ عهد بعيد . وانظر كذلك كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، تجد فيه كثيراً من الأمثلة بهذا العدد .

١ — ما أفادته لغة قريش من احتكاكها باللهجات العربية الأخرى . تقرر قوانين اللغات ، أن اللغة المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها ؛ بل أن طول احتكاكها باللغات الأخرى وشدة كفاحها معها ، وما تبديه بعض اللغات المقهورة من مقاومة ... كل ذلك وما إليه يترك في اللغة الغالبة آثاراً كثيرة من اللغات المغلوبة في نواحي الأصوات والقواعد والأساليب وينقل إليها كثيراً من مفرداتها . ويبدو هذا التأثير بأوضح صورة في النواحي التي تعوز اللغة الغالبة : فاللغة الغالبة تعتمد في العادة إلى خصمها المقهور فتمتص منه ما تحتاج إليه وتستلبه ما يعوزها قبل أن تجهز عليه (١) .

ولم تفلت لغة قريش ، وما كان يمكن أن تفلت ، من هذه القوانين . فقد ترك فيها طول احتكاكها باللهجات العربية الأخرى آثاراً كثيرة من هذه اللهجات ، ونقل إليها طائفة كبيرة من مفرداتها وأساليبها ، وخاصة في النواحي التي كانت تعوزها ، فقويت بذلك مقوماتها ، واتسع نطاقها ، وكمل ما كان فيها من نقص ، وزادت مرونة وقدرة على التعبير عن مختلف فنون القول (٢) .

غير أنها لم تقف في اقتباسها عند الأمور التي كانت تعوزها ؛ بل انتقل إليها كذلك من هذه اللهجات كثير من المفردات والصيغ التي لم تكن في حاجة إليها لوجود نظائرها في متنها الأصلي . وإلى هذا ترجع بعض العوامل في غزارة مفردات هذه اللغة ، وكثرة مترادفاتهما ، وورود جمع الكلمة الواحدة فيها على صيغ متعددة ، وقبولها أوزاناً كثيرة للفعل الواحد (٣) . فما أشبه الحالة التي انتهت

(١) انظر صفحات ٢١٢ — ٢١٤ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

(٢) وهذا هو ما يشير إليه ابن فارس في كتابه الصحاح إذ يقول : « فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحجيج ويتحاضرون إلى قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها ، فاذا أتتهم الوفود من العرب يتخيرون من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصنى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب » . غير أن هذه العبارة تشعر أن الانتقال الذي نحن بصدده كان يحدث دائماً عن قصد ؛ والحق أنه يحدث في الغالب في صورة تلقائية عن غير قصد المتكلمين .

(٣) سنعرض لهذا الموضوع بشيء من التفصيل في الفقرة ١٣ من هذا الفصل .

إليها لغة قریش ببخيرة امتزج بمياهها الأصلية مياه أخرى مختلفة الطعم واللون
انحدرت إليها من جداول كثيرة .

ولا يمكننا على ضوء معلوماتنا الحاضرة أن نميز بين ما كان قرشي الأصل
وما انتقل إلى لغة قریش من أخواتها ؛ لأننا نجعل ما كانت عليه لهجة قریش
واللهجات العربية الأخرى في أدوارها الأولى جهلا يكاد يكون تاماً . فلهجة
قریش لم تصل إلينا إلا وهي متأثرة بما عداها من اللهجات العربية التي قهرتها ؛
وهذه اللهجات لم يصل إلينا منها شيء قبل تغلب لهجة قریش عليها ، ولم يبق منها
في المحادثة بعد تغلب هذه اللهجة عليها إلا النزر اليسير .

٢ — المجتمعات الخاصة التي اعتاد العرب في هذا العصر أن يعقدوها
للمذاكرة والمشاورة في مختلف شئونهم الاجتماعية ، أو للحكومة والفصل في
الدعوى والمنازعات ، أو للتخالف والتعاقد ، أو لمحض الأناج وترويح النفس
بذكر الأخبار والوقائع ، وقص ما مضى من السير والأخبار ، أو للاتعاظ والاعتبار
وتبادل الحكم^(١) . وكانت اللغة المستخدمة في هذه المجتمعات هي لغة قریش ؛
لأن جميع ما كان يلقي فيها كان من فنون الآداب ؛ وقد تبين فيما سبق أن لغة
قریش قد استأثرت بهذه الميادين . ولا يخفى ما لذلك من أثر في نهضة هذه اللغة
وتجويدها وتهذيب نواحيها ووفرة إنتاجها .

٣ — الأسواق . كان للعرب أسواق عامة للتجارة والأدب وغيرها لا يكاد
يخلو منها شهر من شهور السنة . فكانوا يجتمعون في دومة الجندل في أول ربيع
الأول ، ثم ينتقلون منها إلى سوق هجر بالبحرين في شهر ربيع الآخر ؛ ثم إلى
سوق عمان حيث يظلون حتى أواخر جمادى الأولى ؛ ومن سوق عمان ينزلون إلى

(١) من هذا النوع ما كان من اجتماع قریش حول كعب بن لؤي كل يوم عروبة
بعضهم ويذكرهم ، ويقال إنه سمي يوم الجمعة لذلك .

المشقر فتقوم سوقهم به أول يوم من جمادى الآخرة؛ ثم يقدون على صحار فيقيمون بها بضعة أيام من رجب؛ وتقوم سوقهم بالشحر في النصف من شعبان؛ وينفضون من سوق صنعاء في آخر رمضان؛ فتأخذ جميع القبائل خلال شوال في الاستعداد لأكبر سوق عربية وهي عكاظ، فيعمرونها في العشرين من ذي القعدة؛ ثم يغادرونها إلى ذي المجنة قرب مكة فيقضون به بقية ذي القعدة؛ ومنه يذهبون أول الحججة إلى ذي المجاز بجانب عرفة. ولما كانت الأسواق الثلاثة الأخيرة (عكاظ والمجنة وذو المجاز) تقام قبل موسم الحج والقرب من مكة حيث تؤدي مناسك هذه الشعيرة، كانت أهم الأسواق جميعاً وأكثرها عدداً وأجمعها لقبائل العرب. ففي هذه الأسواق كان يشهد العرب منافع لهم، ويتبارون في إجادة القول خطابة وشعراً ونثراً، وفيها كانت تفادى الأسرى، ويتجاسم في الخوصومات، ويتفاخر بالأنساب والأحساب، ويتباهى بالفضائل، ويتغنى بالحلب الجمال. وكان الاتجار بالكلام فيها أعظم خطراً وأجل شأنًا من الاتجار بالبضائع. وكان جميع ما يقال فيها مؤلفاً باللغة التي كان يصطنعها حينئذ جميع العرب في الآداب، وهي لغة قريش. ولا يخفى ما كان لذلك من أثر بليغ في نهضة هذه اللغة، وصلها، وتوطيد دعائمها، وتقوية سلطانها على الألسنة، ووفرة إنتاجها.

٤ — أيام العرب. وهي الحروب التي كانت تشنها قبائل العرب بعضها على بعض أو تشنها على الأجانب. وكان يدفعهم إلى كثير منها نوع حياتهم، وإيلافهم النجعة لارتياح مواقع الغيث والكلأ، وانتزاع ما يحتاجون إليه لأنعامهم من غيرهم انتزاعاً بأسنة الرماح وظببات السيوف، وما كان بين القبائل من حزازات وتقاتل؛ ويدفعهم إلى بعضها الذود عن الوطن ضد الأجنبي، أو الوفاء بالعهود وحماية الجار... وما إلى ذلك. ومن أشهر هذه الأيام «حرب البسوس» بين بكر وتغلب؛ وحرب «داحس والغبراء» بين عبس وذبيان؛ و«حرب الفجار» بين قريش وحلفائها من كنانة ضد هوازن؛ ويوم «بعث» بين الأوس

والخزرج ؛ و « يوم خزاري » بين نزار واليمن ؛ و « يوم حليلة » بين الغساسنة
واللخمين ؛ و « يوم ذى قار » بين العرب والفرس . وكان دعواتهم في هذه الحروب الكلام البليغ يلجأ إليه قوادهم ورؤسائهم
وساداتهم وجنودهم للتفاخر وتعداد المآثر واستفزار الهمم والحث على الشجاعة
والإقدام ... وهلم جرا . وكان جميع ما يقال في هذه الحروب مؤلفاً باللغة التي كان
يصطنعها حينئذ جميع العرب في ميادين الآداب ، وهي لغة قريش . وغنى عن
البيان ما كان لذلك من أثر في نهضة هذه اللغة وتجويدها واتساع نطاق آدابها .
٥ — القرآن والحديث والإسلام . ولأهمية هذه الطائفة من العوامل
سنفرد بها بالكلام في الفقرة التالية .

(٨) أثر القرآن والحديث والإسلام في اللغة العربية

كان لهذه الطائفة من العوامل في اللغة العربية آثار جليلة من أهمها ما يلي :

- ١ — تقوية سلطان اللغة القرشية . فقد كان لنزول القرآن ومجىء الحديث
بلغة قريش ، وهما دعامة الدين الإسلامي الذي اعتنقه معظم قبائل العرب ، أعظم
أثر في توطيد هذه اللغة ، وتثبيت دعائمها ، وتقوية سلطانها على الألسنة .
- ٢ — تهذيب اللغة العربية وتنقيحها والنهوض بها إلى أرقى مستوى للغات
الآداب . ويبدو هذا الأثر في مختلف النواحي اللغوية : في الأغراض والمعاني
والأخيلة والأساليب والألفاظ .

أما الأغراض فقد اتسعت ايما اتساع بفضل القرآن والحديث ، وانتشار
الإسلام في أمم ذات ثقافات عريقة ، وما أفاده العرب ولغتهم من الاحتكاك
بهذه الثقافات .

فقد فتح القرآن الكريم وأحاديث الرسول للغة العربية أبواباً كثيرة من
فنون القول ، فعولجت فيها أمور لم تكن العربية لتعنى بعلاجها من قبل ،

وذلك كمسائل القوانين والتشريع ، والقصاص والتاريخ ، والعقائد الدينية ، والجدل فيما وراء الطبيعة ، والإصلاح الاجتماعى والنظم السياسية وشئون الأسرة ، وأصول القضاء والمعاملات ، ودراسة مظاهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات ... وهلم جرا . وأضيفت إلى هذه الأغراض فيما بعد أغراض أخرى كثيرة يرجع الفضل فيها إلى انتشار الإسلام ، واتساع المملكة العربية ، وارتقاء مظاهر المدنية ، وما ورثه العرب عن الأمم التي دانت لسلطانهم من حضارة وعلوم وفنون ، وما اقتبسوه من لغاتهم وترجموه من مؤلفاتهم فى مختلف الشئون . فتناولت اللغة العربية بجانب ما تناولته من قبل ، شئون التأليف الدقيق فى الرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والمنطق والفلسفة والفقہ وفنون اللغة والنقد الأدبى وتاريخ الأدب والرسائل السياسية ، وضبط أمور الدولة ، وتنظيم شئون الدواوين ، والرد على المذاهب الزائفة ، ومقاومة الزندقة والإلحاد ، وصنع القصة والرواية ... وهلم جرا . وقد نجم عن اتساعها وارتقائها فى ناحية الأغراض اتساع وارتقاء فى ناحية المعانى والأخيلة والأساليب . فقد قويت على تجلية المعانى الدقيقة التى جلبتها العلوم والفنون السابق ذكرها ، واستخدمت فيها الحجج العقلية والبراهين الفلسفية ، ودخلت فيها عناصر جديدة للخيال والتشبيه ، وتمهذت أساليبها ، وتشكلت فى صورة الأساليب العلمية .

وأما المفردات ودلالاتها فكان الأثر فيها واضحاً كل الوضوح . فقد تجرد كثير من الألفاظ العربية من معانيها العامة القديمة ، وأصبحت تدل على معان خاصة تتصل بالعبادات والشعائر أو شئون السياسة والإدارة والحرب ، أو مصطلحات العلوم والفنون . ومن ذلك ألفاظ : الصلاة والصوم والزكاة والحج والخليفة والإمام وأمير المؤمنين والوالى والقاضى والكتاب والمشير والشرطة والوظيفة^(١)

(١) هى رزق العامل أى مرتبه .

والتقطائع^(١) والجريدة^(٢) والصائفة^(٣) والشاتية^(٤) والمرترقة^(٥) والمتطوعة^(٦) والشحنة^(٧)
والتغور^(٨) والعمارة^(٩) ودار الصنعة^(١٠) وديوان الجند وديوان الرسائل وديوان الخاتم
والسريز والسكة^(١١) والطرارز^(١٢) والمقصورة ، والتعجب والنعت والتوكيد ... ،
والحد والتعزير والشبهة والقياس ... ، والتعريف والقضية والسالبة والموجبة والمقدمة
والنتيجة ... ، والصرع والاستسقاء والذبحة والربو والأمزجة ... ، والمثلث والمربع
والدائرة ... ، والكون والحدوث والقدم والوجود والعرض والجوهر ... ، وما إلى
ذلك من آلاف المفردات التي تستخدم في مختلف الفنون .

وبجانب هذه الألفاظ العربية الأصل ، اقتبس العرب للأغراض نفسها
ألفاظاً أعجمية من لغات كثيرة ، وخاصة من الفارسية والسريانية واليونانية ،
بعد أن عربوها وصقلوها بمنهاج اللسان العربي . ومن ذلك ألفاظ : الديوان
والعسكر والبند (العلم الكبير) والصهرنج والقيروان (القافلة) والطنبور ... ،
والبابونج والزرنيخ والمنخلوليا ... ، والاصطرلاب (آلة يعرف بها الوقت) والبنكام
(آلة رملية تعرف بها الساعة النجومية) والطلسم والمغنطيس والقانون والأسطول
والفلسفة والهيولى ... وهلم جرا .

وقد جرت عاداتهم في الغالب أن يبحثوا للمعنى الجديد عن لفظ عربي عن
طريق الاشتقاق والنحت والحجاز ، فإذا أعيتهم الحيلة عمدوا إلى تعريب اسمه

-
- (١) هي ما يمنحه الساطان من الأرض لاستغلاله والانتفاع به .
 - (٢) هي الجيش المجرى من الرحالة .
 - (٣) الصائفة هي الكتبية التي تغزو صيفاً والشاطية الكتبية التي تغزو شتاء .
 - (٤) اسم لمن يقيم في التغور من الجند .
 - (٥) الأماكن التي يخاف دخول العدو منها .
 - (٦) السفن الحربية .
 - (٧) الموضع الذي تصنع فيه السفن على مقربة من شاطئ البحر .
 - (٨) هي في الأصل الطابع الذي ترسم به الدراهم والدنانير ، ثم صارت تطلق على نفس الدراهم والدنانير .
 - (٩) هو سمة خاصة ترسم بها الثياب التي تحاك للخليفة ليبدسها أو ينعم بها على سواه .

الأجنبي . وكثيراً ما كانوا يلجئون إلى هذه الوسيلة الأخيرة من يادىء الأمر إذا كان اللفظ يدل على معنى اصطلاحى دقيق يخشى ضياعه فى ثنايا اللفظ العربى . ومن آثار الإسلام فى هذه الناحية كذلك قضاؤه على كثير من الألفاظ العربية الجاهلية التى تدل على نظم حرمها الإسلام كأسماء الأنصبه التى كانت لرئيس الحرب فى الجاهلية (المربع والصفايا والنشيط والفضول)^(١) ؛ وكألفاظ الإتاوة والمكس والحلوان والصرورة^(٢) والنوافج^(٣) . وقد قضى الإسلام كذلك على أسماء الأيام والأشهر فى الجاهلية لاتصال بعضها فى أذهان العرب بشئون وثنية أو نظم جاهلية واستبدل بها أسماءها الحالية^(٤) .

(١) المربع ربع الغنيمه ، والصفايا ما يصطفيه الرئيس ويختاره لنفسه قبل قسمتها كالسيف والحاربة ، والنشيط ما يغنمه الغزاة فى الطريق قبل أن يصلوا إلى الجبهة ، والفضول ما يبقى من الغنيمه بعد قسمتها مما لا يصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير والفرس .

(٢) هو الذى يترش الزواج تبثلا .
(٣) هى الإبل تساق فى الصداق .
(٤) كانت أسماء الأيام فى الجاهلية : شيار « السبت » ، أول ، أوهن أو أوهد ،

جبار ، دبار ، مؤنس ، عربوة .
أما أسماء المشهور فلمستعمل منها الآن ليس فى الحقيقة من وضع الإسلام ، وإنما وضعت فى عهد كلاب بن مرة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك قبل الإسلام بقرنين تقريباً . وأما أسماءها القديمة فليست معروفة على وجه اليقين .

قال الخطيب خير الدين المدنى فى تذكرته : « إن الحرم كان يقال له عند الجاهلية المؤتمر لأنه أول السنة ، فكل شىء من أفضيتها يؤتمر فيه . وصفر الناجر من النجر أى شدة الحر . والربيع الأول الحوان من الحيانة . والثانى الصوان من الصيانة . وجمادى الأولى الزباء وهى الداهية الكبيرة . والأخرى البائد لكثرة القتال والقتل فيه . ورجب الأصم لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا تسمع فيه أصوات السلاح . وشعبان الواغل وهو الداخل على قوم ولم يدعوه لهجومه على رمضان . ورمضان الباطل وهو كوز يكال به الخمر . وشوال العاذل لأنه من أشهر الحج فكان يشبههم عن غير مهماته . وذو القعدة رنة لأن الأنعام كانت ترن فيه لقرب النحر . وذو الحجة ترك لأنهم كانوا يتركون الإبل فيه » .

وأورد محمود الفلكى باشا فى الرسالة التى ألتمها بالفرنسية فى تحقيق مولد النبي عليه الصلاة والسلام ووفاته أسماء أخرى للمشهور فى الجاهلية وهى على التوالى ابتداء من الحرم : ناتق ، تقيل ، طليق ، ناجر ، أسليج أو أسليخ أو سماح أو سماخ ، أمنح ، أحلك ، كسع ، زاهر ، برط أو مرط ، حرف أو نعيس ، نعس أو مريس .

وقد اختلف فى تعليل تسميتها بالأسماء القديمة والأسماء الحديثة . فقال محمود باشا الفلكى : =

(٩) اللهجات العربية بعد تغلب لغة قريش

تغلبت لغة قريش على ما عداها من اللهجات العربية كما تقدم بيان ذلك ، فاستأثرت بميادين الأدب شعرها وخطابها ونثرها ، وطغت على السنة جميع القبائل في المحادثة نفسها وقضت على لهجاتها الأولى .

غير أنه قد بقي لأفراد كل قبيلة في ميدان المحادثة من لهجتهم القديمة بعض آثار ضئيلة ، ونال القرشية في ألسنتهم بعض التحريف تحت تأثير لهجتهم الأولى وعاداتهم المتأصلة في النطق ... وهلم جرا . ومن أجل ذلك اختلفت لهجات المحادثة العربية بعضها عن بعض باختلاف القبائل . وقد وصل إلينا بعض مظاهر هذا الاختلاف عن طريقين :

« إن العرب أطلقت على الأشهر أسماء تناسب الحوادث الجوية أو غيرها التي وقعت في سنة التسمية فقط ، ولم يرسلوا أنظارهم إلى ما وراء ذلك لجهلهم بأنه بعد مضي سبع عشرة سنة تنتقل شهور الصيف في الشتاء وبالعكس . وكذلك لما غيروا الأسماء القديمة واستبدلوا بالأسماء المستعملة الآن لم يراعوا إلا الأحوال التي كانت جارية في وقت التسمية . فأول شهورهم المحرم سمى بذلك لأن من شهورهم أربعة حرما : واحد فرد ؛ وثلاثة سرد . فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، والفرد رجب . وكانوا يحرمون القتال في هذه الشهور ولا يتعرضون لأحد فيها بالقتل والدم وإن كان عنده دم . ثم صفر سمى به لما كان يعترهم من مرض يصفر ألوانهم . ثم شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر سميا بالربيع لأنهما كانا يأتيان في الخريف ، وكانت العرب تسمى الخريف ربيعاً . ثم جمادى الأولى وجمادى الثانية سميا بذلك لحيثهما في أيام الشتاء عند جود الماء ووقع الجليد . ثم رجب لأنه يقال فيه ارجبوا أي كفوا عن القتال . ثم شعبان سمى به لانشعب القبائل فيه إلى طلب الماء والغارات . ثم رمضان سمى به لأنه كان يأتي إذا بدأ الحر وأرمنت الأرض . ثم شوال لقولهم شولوا أي ارتحلوا ، وقيل بل سمى به لأن الإبل كانت تشول فيه بأذنانها لشهوة الضراب ، ولذلك لا تحيّر العرب الترويح فيه . ثم ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال . وذو الحجة لأقامتهم الحج فيه . »

أنظر كذلك في هذا الموضوع « كتاب تاريخ دول العرب والاسلام » لمحمد طلعت حرب صفحة ٧٩ وتوابعها .

(أحدهما) قراءات القرآن^(١). وذلك أن كثيراً من مظاهر الاختلاف في هذه القراءات يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية في الأصوات أو في وزن الكلمات أو في ما أخذ الاشتقاق أو في المفردات^(٢). فالقرآن وإن نزل بلغة قريش، ورد فيه كثير مما بقي من لهجات القبائل الأخرى، وقرئت بعض ألفاظه على وجوه تتفق مع هذه اللهجات^(٣).

(وثانيهما) ما ورد في ثنايا كتب الأدب والتاريخ خاصة بهذه اللهجات. وعلى ضوء هذين المرجعين يتبين أن وجوه الخلاف بين هذه اللهجات لم تكن كبيرة، ولكنها كانت تبدو في مختلف المظاهر اللغوية: فمنها ما كان يتعلق بالأصوات؛ ومنها ما كان يتعلق بالقواعد وبنية الكلمات وأوزانها وما إلى ذلك؛ ومنها ما كان يتعلق بالمفردات.

(١) لم يكده ينصرم القرن الثاني للهجرة حتى تجاوز الحصر عدد القراء والقراءات. ولكن الناس كانوا على قراءة سبعة مشهورين هم: أبو عمرو بن العلاء، وأبو محمد يعقوب بن اسحق الحضري بالبصرة، وحمزة بن حبيب الزيات، وعاصم بن أبي النجود الأسدي بالكوفة، وعبد الله بن عامر اليحصبي بالشام، وعبد الله بن كثير بكمكة، ونافع بن أبي نعيم بالمدينة وقبيل الثمالة حذف منهم يعقوب وأثبت مكانه علي بن حمزة الكسائي، وانخرط يعقوب مع أبي جعفر يزيد بن القعقاع وأبي محمد خلف بن هشام وعرفوا بالقراء الثلاثة بعد السبعة المذكورين، فكانت القراءات عشرة. ثم عرفت القراءات الأربع لمحمد بن محيصة المكي والأعمش الكوفي والحسن البصري ويحيى اليزيدي؛ فكانت القراءات أربع عشرة. والمشهور أن السبع متواترة والثلاث آحاد والأربع شاذة.

(٢) يتمثل بعض مظاهر الاختلاف في قراءات القرآن في اختلاف في المعنى وفي توجيه التأويل، كالخلاف في قراءة: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» بضم الفاء أو فتحها؛ و«غلبت الروم في أذنى الأرض» بضم العين أو فتحها؛ و«في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال... يفتح الباء في يسبح أو بكسرها؛ و«وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة» بضم الهمزة في أمة بمعنى طائفة من السنين أو بكسرها بمعنى نعمة ويسير أو يفتح الهمزة والميم المخففة واختتام الكلمة بهاء لابتداء بمعنى نسيان... — وهذا النوع من مظاهر الاختلاف في القراءات ليس من موضوعنا في شيء لعدم تعلقه باختلاف اللهجات.

(٣) وهذا في نظرنا هو أصح تفسير للحديث: «نزل القرآن على سبعة أحرف». فالأحرف معناها في الحديث اللغات، أي اشتمل على بعض مظاهر من ست لغات أخرى غير لغة قريش، وهي لغات كنانة وأسد وهذيل وضمه وبنو سعد ونقيف — انظر الصاجي لابن فارس ص ٢٨ وتوابعها: «حدثنا... قال نزل القرآن على سبعة أحرف أو سبع لغات خمس بلغة العجز من هوازن وهم الذين يقال لهم عليا هوازن... الخ».

فمن مظاهر الاختلاف في الأصوات ما يلي .

إبدال همزة أن عينا في لغة تميم (ويسمى ذلك عنعنة تميم : « أعن توسمت »
بدلا من « أن توسمت ») . — وإبدال الهمزة هاء أحيانا في لغة طيء (« لهنك »
بدلا من « لأنك ») . — وببدال الميم باء والباء ميم في لغة مازن (« با اسمك »
بدلا من « ما اسمك » و « مكر » بدلا من « بكر ») . — وحذف نون من
الجارّة عند خشم وزبيد إذا وليها ساكن (« ملبيت » مكان « من البيت » .
وهي مطابقة لعامية مصر في العصر الحاضر) . — وقطع اللفظ قبل تمامه في لغة
طيء (ويسمى ذلك قطعة طيء : « يا أبا الحك » في « يا أبا الحكم » . ولم يكن
هذا مقصوراً عندهم على المنادى . — وهذا الأسلوب منتشر في كثير من اللهجات
العامية في مصر) . — وإبدال الكاف شيئا ولا سيما في الوقف في لغة أسد
(ويسمى كشكشة أسد : « عليش » مكان « عليك ») . — وإبدال الكاف
شيئا مطلقاً في لغة اليمن (ويسمى شنشنة اليمن : « لبيش اللهم لبيش ») . —
وإحاق سين بكاف المخاطب المذكور أو استبدالها بها في حالة الوقف في لهجة ربيعة
للتفرقة بين المذكور والمؤنث (ككسة ربيعة : « عليكس » مكان « عليك ») . —
وإبدال العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء عند هذيل وقيس والأنصار وسعد
بن بكر (استنطاء هذيل ، فيقولون : « إنا أنطياك الكوثر » في « إنا أعطيناك
الكوثر ») . وهذا الأسلوب منتشر في اللهجات العامية بالعراق في العصر الحاضر . —
ووجود صوت بين القاف والكاف والجيم في كثير من لهجات اليمن . —
ووجود صوت بين الشين والجيم والياء في بعض اللهجات (ويوجد هذا الصوت
في عامية العراق في العصر الحاضر) . — وإحاق صوت القاف بالهاء حتى يغلظ
فيقرب من صوت الكاف عند بني تميم^(١) (وهو صوت الجاف أو الجيم

(١) وهذه اللهجة ورد قول شاعرهم : « ولا أأقول لكدر الكوم مكقول »
أو « ولا أجول لجدر الجوم مجقول » (جيم غير معطشة) ، بدلا من : « ولا أقول لكدر
القوم مققول » .

غير المعطشة الذي يستبدل بصوت القاف العربي في كثير من اللهجات المصرية وغيرها : « جال » بدلا من « قال » . — واستبدال الجيم بياء النسب و بياء المتكلم في الإضافة عند بني تميم (فيقولون « غلامج ، علج ، عشج » ، بدلا من « غلامي ، علي ، عشى ») . — وفتح باء الجر وكسر لامه في حالة جرهما لضمير المفرد الغائب في لغة قضاة (فيقولون « مررت به ، والمال له ») . — وإبدال السين تاء في بعض الكلمات في لغة اليمن (ويسمى الوتم : « النات » مكان « الناس ») . — وهمز ياء النبي في بعض اللهجات (« النبيء » وبها جاءت قراءة نافع) . — وتسكين ذال أذن في بعض اللهجات (وبها جاءت كذلك قراءة نافع) . — وإبدال الهمزة التالية لهمزة الاستفهام هاء مع مد همزة الاستفهام أو عدم مداها (وبذلك جاءت قراءة نافع في مثل « أنذرتهم » : « آهذرتهم » رواية قالون ، « أهذرتهم » رواية ورش) . — وإمالة ألف المقصور اليائي (وبذلك جاءت قراءة نافع) . — وهمز الياء في مثل ضياء (ضئء ، وبذلك جاءت قراءة ابن كثير) وتفخيم اللام بعد الصاد والضاد والطاء والظاء (وبذلك جاءت رواية ورش في قراءة نافع) . — وإدغام الصوتين المتجددين في المخرج أو المتقاربان فيه إذا تجاوزا (« سلکم » ، « اتختم » في سلکم واتخذتم ، وبذلك جاءت قراءة أبي عمرو) . — والنطق بالصاد في بعض الكلمات في صورة بين الصاد والزاي (وبذلك جاءت قراءة حمزة : « الصراط » و « أصدق ») .

ومن مظاهر الاختلاف في القواعد (بنية الكلمات ووجوه الاشتقاق... الخ)
الأمور الآتية :

ضم هاء « أيها » إذا لم يتلها اسم إشارة في لغة بني أسد (أيه الناس) . —
وكسر أوائل الأفعال المضارعة في لهجة بهراء (تلتة بهراء : « يضرب » مكان « يضرب » . وهذا الأسلوب منتشر في كثير من اللهجات العامية بمصر) . —
وإبدال ياء الذين واوا في حالة الرفع في لغة هذيل . — وإبقاء ألف هذان وهاتان في حالتی النصب والجر في لغة بني الحارث بن كعب (وبها قرىء : « إن هذان

لساحران «) . — وتعريف الاسم والصفة بأم بدلا من أل في لهجة حمير (طمطانية حمير ، وبها جاء الأثر : « ليس من امبر امصيام في امسفر ») . —
 وقلب ألف المقصور ياء عند الإضافة في لغة هذيل « سبقوا هوى » بدلا من
 « سبقوا هوى ») . — والوقوف على المنون بالسكون في حالة النصب في لهجة
 ربيعة (فيقال : « رأيت محمد » في حالة الوقف) . — وعدم إعمال « ما » في
 لغة تميم (ما محمد قائم) . — والاختلاف في صيغة الجمع (فجمع الأسير مثلا أسرى
 عند بعضهم وأسارى عند آخرين) . — والوقف على هاء التأنيث بالتاء عند حمير
 (فيقال « هذه أمت » بدلا من « هذه أمة ») . — وإشباع الضمة في عين
 المضارع المضموم حتى يتولد عنها واو في بعض اللهجات (فيقال « أنظور » مكان
 « أنظر ») . — وتسكين الهاء في له في الوصل في لغة أزد السراة . — ووصل
 واو بيم الجمع (« عليهمو » ، وبها جاءت قراءة نافع) .

ومن المفردات التي بقيت عند بعض القبائل من لهجاتها الأولى : « المدية »
 وهي السكين عند دوس من الأزد^(١) ؛ و « الغبيط » وهو مركب للنساء في لغة
 طيء ؛ و « ذو » بمعنى الذي في لغة طيء ؛ و « متي » بمعنى من الجارة في لغة
 هذيل ؛ و « وثب » بمعنى جلس في لغة حمير ، والوثاب عندهم الفراش ، ويقولون
 للمالك إذا كان لا يغزو « موثبان » يريدون أنه يطيل الجلوس ولا يغزو ، ويقولون
 « وثبه وسادة » أي فرشها وإياها وأجلسه عليها ؛ و « الخندع » و « القررة » بمعنى
 الضفدع في بعض اللهجات ؛ و « الخنعبة » وهي المتدلية في وسط الشفة ؛ و « البعقوط »
 و « البلقوط » وهو القصير ؛ و « العرتنة » وهي طرف الأنف ؛ و « الزقوم »

(١) روى أن أبا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقي النبي صلى الله عليه وسلم وقد
 وقعت من يده السكين ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ناولني السكين » فالتفت
 أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم المراد بهذا اللفظ ، فكرر الرسول له قوله وهو يفعل فعلته
 الأولى ، ثم قال : « المدية تزيد ؟ » وأشار إليها ، فقال له نعم ، فقال : « أو تسمى عندكم
 سكيناً ، فوالله لم أكن سمعتها إلا يومئذ » . ولفظ سكين ليست عربية الأصل على الأرجح ،
 بل انتقلت إلى العربية من الآرامية كما سنذكر ذلك في آخر الصفحة التالية .

وهو الخلقوم ؛ و « البصاصة » وهي العين ؛ و « تمنى » بمعنى تمطى في بعض اللهجات ؛ و « الصنصف » بمعنى العصفور ؛ و « صخب » المذبوح بمعنى سلخه^(١) ... وهلم جرا .

(١٠) احتكاك العربية بأخواتها السامية وغيرها

وصراعها معها وآثار ذلك

أتيح للغة العربية من قبل الإسلام ومن بعده فرص كثيرة للاحتكاك بلغات أخرى من فصيلتها ومن غير فصيلتها .

فقد توثقت العلاقات المادية والثقافية منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم الآراميين في الشمال عن طريق التجارة والهجرة والرحلات وامتزاج بعض قبائل آرامية بالعالم العربي في الحجاز نفسه أو على تخومه . فكان لزاماً إذن أن تتأثر اللغتان إحداهما بالأخرى وفقاً لنواميس علم اللغة^(٢) . وقد ظهر لكثير من المحققين أن معظم الكلمات العربية الدالة على مظاهر الحياة الحضارية وما إليها من الأمور التي لم تكن مألوفاً في البيئة العربية الأولى ، ومعظم الكلمات المتعلقة بمنتجات الصناعة وشئون التفكير الفلسفي والمتصلة بما وراء الطبيعة ... ؛ ظهر لهم أن معظم هذه الكلمات وما إليها قد انتقلت إلى العربية من الآرامية (شيطان ، سكين ، سارية ... الخ^(٣)) . ويبدو هذا التأثير في أوضح صورة في اللهجات « العربية البائدة » كما تقدمت الإشارة إلى ذلك^(٤) .

- (١) انظر في هذا الموضوع : الصاحبى لابن فارس ص ١٥ وتوابعها ، والخصائص لابن جنى ٣٩٥ ، ٤١١ ، والمزهر للسيوطى الجزء الأول صفحات ١٠٦ — ١١١ .
- (٢) انظر تفصيل ذلك في الفصل الخامس بصراع اللغات من كتابنا « علم اللغة » .
- (٣) يذهب بروكلمان إلى أن جل هذه الكلمات إن لم يكن كلها من أصل آرامي (انظر بروكلمان فقرة ٢٣ صفحة ٣٨ وفقرة ٥٥ ص ٧٢) .
- (٤) انظر آخر ص ٩٦ وتوابعها .

ولم يكن ما أتيح للعرب من فرص للاحتكاك بجيرانهم الآراميين في الشمال شيئاً مذكوراً بجانب ما أتيح لهم من فرص للاحتكاك بجيرانهم اليميين في الجنوب. فقد كانت العلاقات الثقافية والاقتصادية والدينية على أقوى ما يكون بين الشعبين. وفضلاً عن ذلك، فقد هاجر إلى بلاد العرب منذ عصور سحيقة في القدم كثير من القبائل اليمنية^(١)، وخاصة قبائل معين وخرزاعة والأوس والخزرج، وتألفت منهم هناك جاليات قوية امتزجت بالعرب كل الامتزاج. وكانت الرحلات العربية إلى بلاد اليمن للتجارة وغيرها لا يكاد يخلو منها فصل من فصول السنة. وقد أتاح هذا كله فرصاً كثيرة للاحتكاك بين لغتي هذين الشعبين؛ فاشتبكاً في صراع عنيف انتهى بانتصار العربية على اللغات اليمنية القديمة في المرحلة الأخيرة من العصر الجاهلي كما تقدمت الإشارة إلى ذلك^(٢). ومن المقرر أن اللغة المقهورة تترك في اللغة الغالبة آثاراً كثيرة في مختلف المظاهر وخاصة في المفردات. فلا بد إذن أن يكون قد انتقل إلى العربية كثير من آثار اللغات اليمنية التي قهرتها. غير أنه من المتعذر، على ضوء معلوماتنا الضئيلة عن هذين الفرعين في عهودها الأولى، أن نميز ما انتقل إلى العربية من اللغات اليمنية القديمة.

ثم أدت الفتوح العربية بعد الإسلام إلى امتزاج العرب واحتكاكهم بكثير من الشعوب؛ فاشتبكت لغتهم من جراء ذلك في صراع مع اللغات الآرامية في سوريا ولبنان والعراق، ومع القبطية بمصر، ومع البربرية في شمال أفريقيا، ومع الفارسية بإيران، ومع التركية ببلاد المنول، ومع القوطية بإسبانيا؛ وقضت قوانين الصراع اللغوي أن تصرع اللغات الثلاث الأولى منها^(٣). حتى أصبحت المساحة التي تستخدم فيها العربية لغة حديث وكتابة نحو ١٤ مليون كيلو

(١) يظن أن هجرة المعينيين إلى بلاد العرب قد حدثت في الألف الثاني ق م.

(٢) انظر ص ٧٧ وتوابعها.

(٣) تنص قوانين اللغات أنه في مثل الحالة التي كانت عليها اللغة العربية مع هذه اللغات

لا يتم النصر للغة الشعب الغالب إلا بخمسة شروط: (أحدها) أن يكون أرقى من الشعب =

متر مربع ، وبلغ عدد المتكلمين بها أكثر من ٤٠ مليون نسمة^(١). ولكنها خرجت من صراعها هذا وهي متأثرة باللغات التي صرعتها تأثراً يختلف قوة وضعفاً باختلاف اللغات . فتأثرها بالسريانية مثلاً كان أظهر كثيراً من تأثرها بالقبطية والبربرية ؛ بل إنها لم تسكد تتأثر بهاتين اللغتين الأخيرتين إلا في اللهجات العامية التي انشعبت منها في منطقتيها الأولى (مصر وشمال أفريقيا) . وقد انتقل إليها عن طريق السريانية بعض كلمات يونانية كانت السريانية قد اقتبستها من اليونانية من قبل (انجيل ، اسطوانة ، أسقف ، ناموس ، أسفنج ... الخ) .

وصراع العربية مع الفارسية قد ترك في كليهما آثاراً ظاهرة من الأخرى على الرغم من أنه لم ينته بتغلب واحدة منهما . فقد انتقل إلى كليهما من الأخرى كثير من المفردات والأساليب والأخيلة والتراكيب . ولكن أثر العربية في الفارسية كان أوسع نطاقاً من أثر الفارسية في العربية . ويظهر هذا الأثر بشكل واضح في ناحية المفردات ؛ حتى أن معظم مفردات الفارسية الحديثة عربي الأصل^(٢) . أما صراع العربية مع التركية والقوطية فقد ترك في هاتين اللغتين آثاراً واضحة من العربية ، ولكن لم يكبد يترك في العربية شيئاً منهما . فقد اقتبست

المغلوب في حضارته وثقافته وآداب لغته وأقوى منه سلطاناً وأوسع نفوذاً ؛ (وثانيها) أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية ؛ (وثالثها) أن تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها من أفرادها في بلاد الشعب المغلوب ؛ (ورابعها) أن تخرج بأفراد هذا الشعب ؛ (وخامسها) أن تكون اللتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين . وقد توافرت جميع هذه الشروط في حالة العربية مع الآرامية والقبطية والبربرية . ولم تقو العربية على التغلب على الفارسية لاختلال جميع الشروط السابقة تقريباً (ما عدا الشرط الثاني) . ولم تقو على القوطية لاختلال الشرطين الرابع والخامس . ولم تقو على التغلب على التركية لأن العرب لم يكادوا يفتحون بلاداً تركية اللسان ولاختلال الشروط الثلاثة الأخيرة (انظر تفصيل ذلك في آخر صفحة ٢١٠ وأول ٢١١ من كتابنا « علم اللغة » الطبعة الثالثة) .

وقد أفلت من هذا المصير بعض قرى في الحجاز وسوريا ولبنان لا تزال تتكلم لهجات آرامية إلى العصر الحاضر (انظر صفحتي ٦٧ ، ٦٨) ؛ وأفلت منه كذلك بعض عشائر في شمال أفريقيا لا تزال محتفظة بلهجاتها البربرية إلى العصر الحاضر . (انظر التعليق الثاني من صفحة ١٨٧ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة ») .

(١) انظر صفحتي ١٨٧ ، ١٨٨ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

(٢) V. Renan, op cit, 392.

كلاهما من العربية طائفة كبيرة من المفردات ؛ وكان حظ التركيبة من ذلك أوسع كثيراً من حظ القوطية^(١) ؛ على حين أن أثرها فيها لم يكد يظهر إلا في بعض اللهجات العامية المنشعبة عن اللغة العربية .

ولم يقف أمر نفوذ العربية عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى جميع الأمم الإسلامية الأخرى (الهند ، أفغانستان ، تركستان ، الكرد ، بخارى ... الخ) .
فأنزلت العربية عند هذه الأمم منزلة مقدسة سامية ، لأنها لغة القرآن والحديث اللذين يقوم عليهما الدين الإسلامي ؛ وهي التي ألف بها جميع كتب التفسير والسنة والفقه والأصول والتوحيد ... وما إلى ذلك ، وهي فضلا عن هذا وذاك اللغة التي يجب أن تؤدي بها كثير من العبادات الإسلامية . وكان من أثر ذلك أن تركت العربية في لغات هذه الأمم آثاراً ذات بال ، وانتقل منها إلى هذه اللغات كثير من المفردات . وقد بلغ هذا الأثر مبلغاً كبيراً في بعض اللغات المستخدمة في المناطق الهندية الإسلامية . فنحو ٧٥ في المائة من مفردات اللغة الأوردية مثلا يتألف من كلمات عربية الأصل أو فارسيتها^(٢) . فاستعت بذلك مناطق نفوذ اللغة العربية اتساعاً كبيراً ، حتى بلغ عدد الناطقين بها والمتأثرين بسلطانها زهاء ٤٠٠ مليون^(٣) .
وقد أتيح للغة العربية في أثناء الحروب الصليبية فرص للاحتكاك باللغات الأوروبية الحديثة ، فاقتبست منها هذه اللغات كثيراً من المفردات ، وتركت فيها بعض الآثار .

(١) لم يكد يبق للغة التركية من فصيلتها التتية إلا القواعد . أما مفرداتها فمعظمها عربي الأصل أو فارسية . فقد تجمع في التركية إذن ثلاث فصائل : فهي سامية آرية تتية في متن لغتها وتتية فقط في قواعدها . V Renan, op. cit. 393 . وقد حاول الأتراك في نهضتهم الحديثة أن يخلصوا متن لغتهم من بعض المفردات العربية والفارسية ويستبدلوا بها كلمات تركية أو لاتينية .
أما تأثير القوطية بالعربية فكان ضيق النطاق ، ولكن لا تزال مظاهره باقية إلى الآن في لغات أسبانيا والبرتغال (انظر صفحة ٢١٧ وتعليقها الأول في الطبعة الثالثة من كتابنا علم اللغة) .

(٢) V. Renan, op. cit. 393

(٣) انظر صفحة ١٨٨ وتعليقها الثاني في الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

وفي العصور الحديثة كثرت فرص الاحتكاك بينها وبين هذه اللغات وتنوعت أسبابه بفضل انتشار الثقافة الأوروبية بمصر والشام والعراق وشمال أفريقيا ، وبفضل البعثات العلمية التي أوفدها هذه البلاد إلى الغرب ، وترجمة منتجات الفرنجة إلى اللغة العربية . فتأثرت بذلك اللغة العربية أيما تأثر في أساليبها وأخيلتها ومعانيها ومنهج علاجها للمسائل ، ونشأت بها فنون جديدة كفن القصص التمثيلي وما إليه ، وانتقل إليها كثير من المفردات الأوروبية في مصطلحات العلوم والفنون ... وما إلى ذلك ، فازدادت بذلك ثروة وقدرة على التعبير .

(١١) خصائص اللغة العربية

توافر اللغة العربية عاملان لم يتوافرا غيرها من اللغات السامية : أحدهما أنها نشأت في أقدم موطن للساميين ؛ وثانيهما أن الموقع الجغرافي لهذا الموطن قد ساعد على بقائها حيناً من الدهر متمتعة باستقلالها وعزالتها . وكان من أثر هذين العاملين أن احتفظت بأكثر قدر من مقومات اللسان السامي الأول ، وبقي فيها من تراث هذا اللسان ما تجردت منه أخواتها السامية ، فتميزت عنها بفضل ذلك بخواص كثيرة من أهمها الأمور الثلاثة الآتية :

- ١ — أنها أكثر أخواتها احتفاظاً بالأصوات السامية . فقد اشتملت على جميع الأصوات التي اشتملت عليها أخواتها السامية^(١) ، وزادت عنها بأصوات كثيرة لا وجود لها في واحدة منها : التاء ، الذال ، الظاء ، العين ، الضاد . . .
- ٢ — أنها أوسع أخواتها جميعاً وأدقها في قواعد النحو والصرف . فجميع القواعد التي تشتمل عليها اللغات السامية الأخرى يوجد لها نظير في العربية ، بينما تشتمل العربية بجانب ذلك على قواعد كثيرة لا نظير لها في واحدة منها أو توجد في بعضها في صورة بدائية ناقصة^(٢) .

(١) ما عدا صوتاً أو صوتين تقدمت الإشارة إليهما في أول صفحة ٢٢ ، ولعلمها غير ساميين .

(٢) V. Renan, op cit. 384, 385

٣ — أنها أوسع أخواتها ثروة في أصول الكلمات والمفردات . فهي تشمل على جميع الأصول التي تشمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها ، وتزيد عنها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها . هذا إلى أنه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ما لم يتجمع مثله للغة سامية أخرى ^(١) .
ولأهمية الخالصتين الأخيرتين واختلاف الآراء بصددهما سنفرد لكل منهما فقرة على حدة .

(١٢) قواعد اللغة العربية: الإعراب واختلاف الآراء بصدد

تمتاز اللغة العربية بأنها أوسع أخواتها السامية جميعاً وأدقها في قواعد الصرف والنحو .
فنميزاتها الصرفية أن الأصل الواحد يتوارد عليه مئات من المعاني ، بدون أن يقتضى ذلك أكثر من تغييرات في حركات أصواته الأصلية نفسها مع زيادة بعض أصوات عليها أو بدون زيادة ، وأن كل ذلك يجري وفق قواعد مضبوطة دقيقة نادرة الشذوذ (علم ، علمنا . . . أعلم ، نعلم . . . أعلم ، اعلمى . . . علم ، نُعلم . . . تعلم . . . تعالِم . . . علم ، يُعلم . . . علم ، عَلِمَ ، علامة ، علوم ، أعلام ، علامات ، عالم ، عليم ، علامة ، علماء ، عالمون . . . متعلم ، متعلم ، مُعلم ، معلم ، معلوم ، عالم ، عالمون . . . الخ) . ولم تصل أية لغة سامية أخرى في هذه الناحية إلى هذا الشأ . — ومن ذلك أيضاً نظام جمع التكسير (الذى

(١) لغة العربية خواص أخرى كثيرة ولكنها ليست جوهرية بدرجة الخواص التي ذكرناها . هذا إلى أن كثيراً منها لا يصح اعتباره « خواص » بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . ومن هذه الأمور طريقتها في تصغير الأسماء . وقد ظهر للباحثين أن هذه الطريقة توجد فيها منذ أقدم عهودها وليست مستحدثة بدليل وجودها في أسماء بعض الأمكنة والأشخاص : حنين ، كليب . . . الخ . ومن هذه الأمور كذلك طريقة التعريف بأل (انظر ص ٢١) .

لا تشاركها فيه إلا أختها الجنوبيتان اليمنية القديمة والحبشية)؛ فقد توسعت هي في استخدامه توسعاً كبيراً ، حتى أصبح للمفرد الواحد فيها عدة جموع من هذا النوع^(١).

ومن مميزات النحوية تلك القواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الإعراب والتي يتمثل معظمها في أصوات مد قصيرة تلحق أواخر الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة . وهذا النظام لا يوجد له نظير في أي أخت من أخواتها السامية ، اللهم إلا بعض آثار ضئيلة بدائية في العبرية والآرامية والحبشية^(٢).

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه القواعد المتشعبة الدقيقة ، وخاصة قواعد الإعراب ، لم تكن مراعاة إلا في لغة الآداب شعرها وخطابها ونثرها ؛ أما لهجات الحديث فكانت من أقدم عصورها غير معربة ، أو على الأقل لم يكن لقواعد الإعراب فيها ما كان لها في لغة الآداب من شأن . واستدل على رأيه هذا بأدلة كثيرة أهمها ديلان :

أحدهما دليل لغوي وهو أن جميع اللهجات العامية المنشعبة من العربية والتي تستخدم الآن في الحجاز ومصر والعراق والشام وبلاد المغرب مجردة من الإعراب ؛ فلو كانت لهجات المحادثة العربية القديمة معربة لانتقل شيء من نظامها هذا إلى جميع اللهجات الحاضرة أو إلى بعضها .

(١) يرى بروكلمان ورنان وغيرهما أن هذه الخاصة مجردة من الفائدة ومسببة للاضطراب . وفي الحق أنه ليس لها ما للخاصة الأولى (تغير المعنى بتغير البنية) من الفوائد ؛ ولكنها لا تخلو من فائدة في الدلالة . فصيح التكسير التي تتوارد على اللفظ الواحد ليست جميعها سواء في المعنى ؛ لأن بعضها يفيد كثرة العدد (جموع الكثرة) وبعضها يفيد قلته (جموع القلة) ؛ وبعضها جمع مباشر ، وبعضها جمع للجمع وهلم جراً . هذا إلى أنها توسع من نطاق اللغة وتسعف المتكلم والكتاب . أما سبب هذه الظاهرة فيرجع قسط كبير منه إلى تعدد اللغات ، وذلك أنه قد انتقل إلى لغة قريش صيغ جموع كانت مستخدمة في اللهجات العربية الأخرى .

وثأنيهما دليل منطقي عقلي وهو أن قواعد هذا شأنها في التشعب والدقة
وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقتها بعضها
ببعض، لا يعقل أنها كانت مراعاة في لهجات الحديث؛ لأن لهجات الحديث
تتوخى في العادة السهولة واليسر وتلجأ إلى أقرب الطرق للتعبير^(١) كما
تجانب ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك؛ فزعم أن هذه القواعد لم تكن مراعاة
في لهجات الحديث ولا في لغة الكتابة، وإنما خلقها النحاة خلقاً قاصدين بذلك
تزويد اللغة العربية بنظم شبيهة بنظم الإغريقية، حتى يكمل نقصها في نظرهم وتسمو
إلى مصاف اللغات الراقية. ويعتمد هؤلاء في تأييد هذا المذهب على الدليلين نفسيهما
الذين اعتمد عليهما الفريق الأول مع توجيههما وجهة تتفق مع ما يذهبون إليه،
وعلى دليل ثالث خلاصته أن قواعد هذا شأنها تشعباً ودقة لا يعقل أن تكون قد
نشأت من تلقاء نفسها، ولا يمكن لعقليات ساذجة كعقليات العرب في عضورهم
الأولى أن تقوى على خلقها؛ فهي تحمل آثار الصنعة الدقيقة المحكمة، ويبدو عليها
طابع من عقلية المدارس النحوية التي ظهرت في العهود الإسلامية بالبصرة والكوفة
وما إليهما.

وقد تبين فساد هذين المذهبين لجميع المحققين من الباحثين؛ حتى لاكثرهم
تتحاملاً على الساميين، وأشدهم ولو عاباً بالتقاص من حضارتهم ولغاتهم كالأستاذ
رينان الفرنسي^(٢). وإليك طرفاً من الأدلة التي لا تدع مجالاً للشك في فسادها:
إن عدم وجود هذه القواعد في اللهجات العامية الحاضرة، لا ينهض
دليلاً على أنها لم تكن موجودة في العربية الأولى، فقد اثناب أصوات اللغة
العربية وقواعدها في هذه اللهجات كثير من صنوف التغير والانحراف، وخضعت
لقوانين التطور في مفرداتها وأوزانها ودلالاتها، فبعدت بعداً كبيراً عن أصلها،

(١) يميل إلى هذا المذهب الأستاذ كوهين في كتاب:

Langues du Monde, chap. "Arabe"

V. Renan op. cit. 398-403 (٢)

كما سيأتي بيان ذلك في الفقرة الرابعة عشر من هذا الفصل .
٢ — وليس بغريب أن تتفق اللهجات العامية جميعاً في التجرد من علامات الإعراب . فقد خضعت لقانون من قوانين التطور الصوتي ، وهو « ضعف الأصوات الأخيرة في الكلمة وانقراضها » ؛ وهو قانون عام قد خضعت له جميع اللغات الإنسانية في تطورها ؛ فما كان يمكن أن تفلت منه لهجة من اللهجات العامية المنشعبة عن العربية ، كما سيأتي بيان ذلك في الفقرة الرابعة عشر من هذا الفصل ^(١) .

٣ — على أنه قد بقي في اللهجات العامية الحاضرة كثير من آثار الإعراب وخاصة الإعراب بالحروف (فيقال مثلاً في عامية المصريين وغيرهم « أبوك ، وأخوك » ، لا « أبك » و « أخك ») ؛ وينطق بجمع المذكر السالم مع الياء والنون (الطيبين ، المؤمنين ... الخ) ؛ وفي معظم لهجات العراق في العصر الحاضر ينطق بالأفعال الخمسة مثبتة فيها نون الإعراب (يمشون ، تمشين ، تمشون ...) ؛ وروى بعض الباحثين أن آثار الإعراب بالحركات لا تزال باقية في لهجات بعض القبائل الحجازية في العصر الحاضر .

٤ — يستفاد من كثير من كتب التاريخ ، وخاصة كتب أبي الفداء أن بعض علامات الإعراب ظلت باقية في بعض لهجات المحاذية المنشعبة عن العربية حتى أواخر العصور الوسطى ،
٥ — إن دقة القواعد وتشعبها لا يدلان مطلقاً على أنها مخترعة اختراعاً . فالليونانية واللاتينية مثلاً في العصور القديمة والألمانية في العصر الحاضر ، تشتمل كل واحدة منها على قواعد لا تقل في دقتها وتشعبها عن قواعد اللغة العربية ، ولم يؤثر هذا في انتقالها من جيل إلى جيل عن طريق التقليد ، ولا في مراعاتها في الحديث ، ولم يقل أحد إنها من خلق علماء القواعد .

(١) انظر كذلك تفصيل هذا القانون في صفحات ٢٧١ ، ٢٧٥ - ٢٧٧ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .
V. Renan opusc. 268-403 (٢)

٦ — إن خلق القواعد خلقاً محاولة لا يتصورها العقل ، ولم يحدث لها نظير في التاريخ ، ولا يمكن أن يفكر فيها عاقل أو يتصور نجاحها ؛ فمن الواضح أن قواعد اللغة ليست من الأمور التي تخترع أو تفرض على الناس ، بل تلتأ من تلقاء نفسها وتتكون بالتدريج .

٧ — إن علماء القواعد العربية لم يكونوا على علم باللغة اليونانية وقواعدها ، ولم تكن لهم صلة ما بعلماء القواعد من الإغريق . هذا إلى أن قواعد اللغة العربية تختلف في طبيعتها ومناهجها اختلافاً جوهرياً عن قواعد اللغة اليونانية . فلو كانت قواعد العربية قد اخترعت على غرار القواعد اليونانية كما يزعمون لجاءت متفقة معها ، أو على الأقل مشبهة لها في أصولها ومناهجها .

٨ — يدلنا التاريخ أن علماء البصرة والكوفة كانوا يلاحظون المحادثة العربية في أصح مظاهرها ويستنبطون قواعدهم من هذه الملاحظة ؛ وأنهم كانوا لا يدخرون وسعاً في دقة الملاحظة واتخاذ وسائل الحيلة ؛ حتى أنهم ما كانوا يثقون بأهل الحضرة لفساد لغتهم ، ولا بالقبائل التي احتكت ألسنتها بلغات أجنبية كلخم وجدام وقضاة وغسان وإياد وبكر وأزد عمان وأهل اليمن ؛ وأنهم كانوا يبذلون في سبيل ذلك من وقتهم وجهودهم شيئاً كثيراً ، فكانوا يرحلون إلى الأعراب في باديتهم ويقضون عندهم الشهور بل السنين ؛ وعلماء هذا شأنهم دقة واحتياطاً وإخلاصاً للعلم لا يعقل أن يتواطئوا جميعاً على مثل هذا الإفك المبين .

٩ — وإذا أمكن أن نتصور أن علماء القواعد تواطئوا جميعاً على ذلك ، فإنه لا يمكن أن نتصور أنه تواطأ معهم عليه جميع العلماء من معاصريهم ، فأجمعوا كلمتهم ألا يذكر أحد منهم شيئاً ما عن هذا الاختراع الغريب . ولا يعقل أن يقبل معاصروهم هذه القواعد على أنها ممثلة لقواعد لغتهم ويحتذوها في كتاباتهم ؛ اللهم إلا إذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحروا عقول الناس واسترهبوهم وأنسوهم معارفهم عن لغتهم وتاريخها ، فجعلوهم يعتقدون أن ما جاءوا به من الإفك ممثل لفصيح هذه اللغة .

١٠ — إن النقوش التي كشفت حديثاً في شمال الحجاز والتي أشرنا إليها في الفقرة الثالثة من هذا الفصل لتدلنا قطع دلالة على أن الإعراب كان مستخدماً في «العربية البائدة» نفسها. فبعض العلامات الإعرابية قد رمز إليه في هذه النقوش بحروف ملحقة بآخر الكلمة كما تقدم بيان ذلك^(١).

١١ — لم تفرد اللغة العربية من بين أخواتها السامية انفراداً كاملاً بنظام الإعراب؛ فلهذا النظام آثار في اللغات الحبشية السامية، وخاصة في الجعزية والأمهرية^(٢). صحيح أن هذه الآثار محدودة ضئيلة، وأنها تختلف اختلافاً غير يسير عن نظام الإعراب في اللغة العربية؛ ولكن وجود أثر لهذا النظام في لغة سامية لا تزال لغة حديث إلى الوقت الحاضر، كاللغة الأمهرية — مهما كان هذا الأثر ضئيلاً، وعلى أية صورة كانت أوضاعه — لدليل قاطع على أنه منحدر من الأصل السامي الأول وليس من خلق النحاة.

١٢ — تقوم أوزان الشعر العربي وقواعده الموسيقية على ملاحظة نظام الإعراب في المفردات. فبدون إعراب الكلمات تختل أوزان هذا الشعر وتضطرب موسيقاه. ومما لا شك فيه أن هذه الأوزان سابقة لعلماء البصرة والكوفة، وأن شعراً عربياً كثيراً قد قيل على غرارها من قبل الإسلام ومن بعده قبل أن يخلق هؤلاء العلماء. فإنكار هذا الشعر لا سبيل إليه. ولا يمكن أن يكون قد ألف غير معرب الكلمات؛ لأن عدم إعرابها يترتب عليه اضطراب أوزانه واختلال موسيقاه.

١٣ — وأقوى من هذا كله في الدلالة على فساد هذا المذهب تواتر القرآن الكريم ووضوئه إلينا معرب الكلمات.

(١) انظر آخر صفحة ٩٦ وأول ٩٧ وتعليقها الأول، والتعليق الأول بصفحة ٣٠١.

(٢) بل إن له آثاراً في العبرية والآرامية.

١٤ — وإن في رسم المصحف العثماني نفسه ، مع تجرده من الإعجم والشكل ،
لدليلا على فساد هذا المذهب — وذلك أن المصحف العثماني يرمز إلى كثير من علامات
الإعراب بالحروف (المؤمنون ، المؤمنين ...) ، وعلامة إعراب المنصوب المنون
(رسولا ، شهيداً ، حسيباً ، بصيراً ...) وهلم جرا . ولا شك أن المصحف العثماني
قد دُون في عصر سابق بأمد غير قصير لعهد علماء البصرة والكوفة الذين تنسب
إليهم هذه المذاهب الفاسدة. اختراع قواعد الإعراب .

فنظام الإعراب عنصر أساسي من عناصر اللغة العربية ، وقد اشتملت عليه
منذ أقدم عهودها . وكل ما عمله علماء القواعد حياله هو أنهم استخلصوا مناهجه
استخلاصاً من القرآن والحديث وكلام الفصحاء من العرب ، ورتبوها ، وصاغوها
في صورة قواعد وقوانين .

غير أنه لا يسعنا أن ننكر أن قواعد الإعراب لم يكن لها قديماً في لهجات
الحديث ما كان لها في لغة الأدب من شأن . وذلك أن طائفة كبيرة من هذه
القواعد لا تظهر وظائفها وتمس الحاجة إليها إلا في مسائل التفكير المنظم المسلسل ،
والمعاني المرتبة الدقيقة التي ينسدر أن تعالج في لغات التخاطب العادي . وهكذا
الشان في جميع لغات العالم : فكثير من قواعد الفرنسية مثلا ينسدر أن يحتاج إليها
في المحادثة العادية . وفضلا عن ذلك فقد نقل إلينا المؤرخون الثقات أن السنة
العرب كانت عرضة للزلل في هذه القواعد منذ العصر الإسلامي ، بل قبل ذلك
العصر ، وأن هذا اللحن لم يكن مقصوراً على عامتهم ، بل كان يقع من الخاصة
والخلفاء والمحدثين ، وأئمة الفقهاء أنفسهم^(١) . ويظهر أن هذا اللحن كان يقع منهم

(١) انظر ابن خلكان في حياة أبي الأسود ، وانظر الصاحي لابن فارس ص ٣١ إذ
يقول : « وإن قبيحاً مفرطاً في القباحة بمن يعيب مالك بن أنس بأنه لحن في مخاطبة العامة بأن
قال : « مطرنا البارحة مطراً أى مطرا » أن يرضى هو لنفسه أن يتكلم بمثل هذا . لأن
الناس لم يزالوا يلحنون ويتلاخنون فيما يخاطب بعضهم بعضاً انقاء الخروج من عادة العامة ؛ فلا يعيب
ذلك من ينصفهم من الخاصة » .

حتى في تلاوة كتاب الله ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 «أعربوا القرآن»^(١) . وهذا يدل على أنه سمع بعض الناس في عصره
 يقرؤه ملجوناً .

(١٣) مفردات اللغة العربية

كثرتها و مترادفاتهما واختلاف الآراء بصدها

من أهم ما يمتاز به العربية أنها أوسع أخواتها السامية ثروة في أصول
 الكلمات والمفردات . فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها
 السامية أو على معظمها ، وتزيد عنها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي
 الأول ، ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها . هذا إلى أنه قد تجمع فيها
 من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ، ومن المترادفات في
 الأسماء والصفات والأفعال . . . ما لم يجتمع مثله للغة سامية أخرى ، بل ما يندر
 وجود مثله في لغة من لغات العالم . فقد جمع للأسد خمسمائة اسم ، وللشبان مائتا
 اسم . وكتب الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط كتاباً في أسماء العسل ، فذكر
 له أكثر من ثمانين اسماً ، وقرر مع ذلك أنه لم يستوعبها جميعاً . ويرى الفيروزآبادي
 أنه يوجد للسيف في العربية ألف اسم على الأقل . ويقرر آخرون أنه يوجد
 أكثر من أربع مائة اسم للداهية . ويوجد لكل من المطر والريح والنور والظلام
 والناقة والحجر والماء والبر أسماء كثيرة تبلغ عشرين في بعضها وتصل إلى ثلاثمائة
 في بعضها الآخر . وقد جمع الأستاذ دو هامر De Hammer المفردات العربية
 المفصلة بالجمل وشئونه ، فوصلت إلى أكثر من خمسة آلاف وستمائة وأربعة

(١) الصحاح لابن فارس ص ٣١ — وإذا صح هذا الحديث لا يكون الغرض من
 الإعراب ما يقصده النحاة بالضبط ، لأن كلمة الإعراب لم يكن لها هذا المعنى في عصر الرسول
 عليه السلام ، وإنما يكون الغرض منها مجرد الإبانة وإظهار الحروف والحركات وتلاوته وفق
 قواعد العربية .

وأر بعين^(١) . وكذلك الشأن في الأوصاف : فلكل من الطويل والقصير
والكريم والبخيل والشجاع والجبان . . . في اللغة العربية عشرات من الألفاظ .
وفي ذلك تختلف العربية الفصحى اختلافاً كبيراً عن اللهجات العامية الحديثة
المنشعبة عنها . فتون هذه اللهجات ضيقة كل الضيق لا تكاد تشمل على أكثر
من الكلمات الضرورية للحديث العادي . وتكاد تكون مجردة من المترادفات ،
كما سيأتي بيان ذلك^(٢) .

وقد كان هذا أحد الأسباب التي حملت بعض الباحثين على أن يقف حيال
مفردات اللغة العربية موقف الشك الذي وقفه آخرون حيال قواعدها^(٣) . فزعم
أنه لا يبعد أن يكون جامعو المعجمات قد خلقوا كثيراً من هذه المفردات خلقاً
لحاجات في نفوسهم .

وفساد هذا الرأي لا يحتاج إلى بيان .

فلهجات المحادثة في جميع الأمم تقتصر في العادة على الضروري وتنفر من
الكلمى ، وتنأى عن مظاهر الترف في المترادفات وما إلى ذلك . ولذلك تتسع
دائماً هوة الخلاف بينها وبين اللغة الفصحى في هذه الناحية . فليست العربية
فذة في هذا الباب ، بل تشترك معها فيه « جميع لغات الآداب » أو « اللغات
الفصحى » . وإليك مثلاً اللغة الفرنسية الفصحى أو لغة الكتابة ، واللغة الفرنسية
المستخدمة في التخاطب العادي ؛ فالفرق بينهما في المفردات لا يكاد يقل عن
الفرق بين العربية الفصحى واللهجات العامية الحديثة المتفرعة منها .
أما جامعو المعجمات فيدلنا التاريخ وتدلنا آثارهم على شدة حرصهم على تحزيم
الحق . فقد امتثلوا معظم ما اشتملت عليه معجماتهم من كتاب الله الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن أحاديث الرسول عليه الصلاة

(١) V. Renan, Langues Sémitiques 387

(٢) انظر آخر الفقرة الرابعة عشرة من هذا الفصل .

(٣) انظر صفحتي ١٣٠ ، ١٣١ .

والسلام . ومن الآثار العربية في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية الأولى ، واستخلصوا بعضه من العرب المعاصرين لهم . وكانوا شديدي الحيطه في هذه الناحية إلى حد الإفراط . فكانوا يتحاشون الأخذ عن تشوب عربيته أية شائبة . ولذلك كانوا لا يكادون يأخذون إلا عن عرب البادية لفصاحة ألسنتهم ، وبعد لهجاتهم عن التأثير باللغات الأعجمية ، وعزلتهم وقلة احتكاكهم بغيرهم . فكانوا يترقبون محبي أعراب البادية إلى المدن في التجارة أو غيرها ... فيستمعون إلى حديثهم ويناقشونهم في مختلف شئون اللغة ، ويدونون من فورهم كل ما يهديهم إليه هذا الحديث وترشدهم إليه هذه المناقشة بصدد مفردات اللغة ودلالاتها ووجوه استخدامها . وكانوا يتبعون أحيانا ما يسميه علماء اللغة بطريقة « الملاحظة السلبية » Observation passive^(١) ، فيرحلون إلى البادية ويقضون فيها بين ظهراني الأعراب الأشهر بل السنين ، يعاشرهم ويستمعون إليهم في أحاديثهم الطبيعية ويدونون ما يقفون عليه في هذا السبيل . وفي ذلك يقول أبو نصر الفارابي^(٢) في كتابه : « الألفاظ والحروف » : « والذين عنهم نقلت اللغة العربية بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا من نخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون العبرية ، ولا من تغلب لمجاورتهم الروم ، ولا من بكر لمجاورتهم للنبط^(٣) والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين لأهل فارس والهند ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار الحبشة والهند ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن من المعينيين وغيرهم وقربهم من الجاليات اليمنية ، ولا من حواضر الحجاز

(١) انظر طريقة الملاحظة بأنواعها وما أخذها في صفحات ٣١ — ٣٨ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » . — وانظر مناهج البحث في هذا العلم على العموم بصفحات ٣٠ — ٤٧ من الكتاب نفسه والطبعة نفسها .

(٢) هو أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي صاحب معجم الصحاح .

(٣) في الأصل « القبط » وصوابه « النبط » كما لا يخفى .

لأن السنة أهلها كانت قد فسدت حينئذ لا متراجهم بأمر كثيرة» (١) . ويقول ابن خلدون : « وكانت لغة قريش أفصح اللغات وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها ، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخراعة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم . فأما من بعد عنهم من ربيعة ونظم وجدام وغسان وإباد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمة الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغاتهم تامة الملكة لمخالطة الأعاجم . وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية (٢) . وما اتخذوه من وسائل الخيطة حيال القبائل والأمكنة اتخذوه حيال الأزمنة والعصور . فلم يأخذوا إلا عن العصور التي كان فيها اللسان العربي سليماً لم يصبه بعد تبليل أعجمي ولا انحراف عن أوضاع اللغة الفصحى . ولذلك لم يأخذوا إلا عن عرب الجاهلية والإسلام إلى نهاية القرن الثاني الهجري بالنسبة إلى فصحاء الحضرة وإلى أواسط الرابع بالنسبة إلى فصحاء البادية ؛ وسموا هذه العصور « عصور الاحتجاج » ؛ وأهلها ما عداها مبالغة في الدقة وحرصاً على تحرى وجوه الصدق واليقين .

أما الأسباب الحقيقية لكثرة المفردات والمترادفات إلى الحد الذي وصفناه فيرجع أهمها إلى الأمور الآتية :

(١) — أن طول احتكاك لغة قريش باللهجات العربية الأخرى قد نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات هذه اللهجات . ولم تقف لغة قريش في اقتباسها هذا عند الأمور التي كانت تعوزها ، بل انتقل إليها كذلك من هذه اللهجات كثير من المفردات والصيغ التي لم تكن في حاجة إليها لوجود نظائرها في متنها الأصلي ، فغزرت من جراء ذلك مفرداتها وكثرت فيها المترادفات في الأسماء والأوصاف

(١) المزهرة للسيوطي جزء أول ص ١٠٤ بتلخيص وتصرف في العبارة .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٥ (في آخر البحث الذي عنوانه : « فصل أن اللغة ملكة

والصنيع؛ وأصبحت الحالة التي انتهت إليها أشبه شئ، ببيحيرة امتزج بمياهها الأصلية
مياه أخرى انحدرت إليها من جداول كثيرة كما سبق بيان ذلك^(١). وإلى هذا
يشير ابن جنى في كتابه الخصاص إذ يقول: «وكما كثرت الألفاظ على المعنى
الواحد كان ذلك أولى بأن يكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا
وهناك». ويشير إليه كذلك ابن فارس في كتابه الصحاح إذ يقول: «فكانت
وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج ويتحاضرون إلى قريش
مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها؛ فإذا أتتهم الوفود من العرب يتخبرون من
كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي كلامهم فاجتمع ما تخبروا من تلك اللغات
إلى سلاقتهم التي طبعوا عليها^(٢)». «

٢ — إن جامعي المعجمات لم يأخذوا عن قريش وحدها، بل أخذوا كذلك
عن قبائل أخرى كثيرة كما سبق بيان ذلك^(٣). وقد تقدم أن لهجات المحادثة
كانت تختلف في بعض مظاهر المفردات باختلاف القبائل حتى بعد تغلب لغة
قريش على سائر السنة العرب^(٤). وكان من جراء ذلك أن اشتملت المعجمات على
مفردات لم تكن مستخدمة في لغة قريش ويوجد لمعظمها مترادفات في متن هذه
اللغة الأصلية وفيما انتقل إليها من غيرها، فزاد هذا من نطاق المفردات والمترادفات
في المعجمات سعة على سعة.

٣ — إن جامعي المعجمات، لشدة حرصهم على تقييد كل شئ، دونوا كلمات
كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال ومستبدلاً بها مفردات أخرى. فكثرت من
جاء ذلك في المعجمات مفردات اللغة ومترادفات.

٤ — إن كثيراً من الكلمات التي تذكرها المعجمات على أنها مرادفة في معانيها

(١) انظر صفحتي ١١٢، ١١٣.

(٢) غير أن هذه العبارة تشعر أن الانتقال الذي نحن بصدده كان يحدث دائماً عن

قصد، والحق أنه يحدث في الغالب في صورة تلقائية عن غير قصد.

(٣) انظر صفحتي ١٣٨، ١٣٩.

(٤) انظر صفحة ١١٩ وتوابعها.

لكلمات أخرى غير موضوعة في الأصل لهذه المعاني ، بل مستخدمة فيها استخداماً مجازياً^(١).

٥ - إن الأسماء الكثيرة التي يذكرونها للشيء الواحد ليست جميعها في الواقع أسماء ، بل معظمها صفات مستخدمة استخدام الأسماء . فكثير من الأسماء المترادفة كانت في الأصل نعوتاً لأحوال المسمى الواحد ، ثم تنوسيت هذه الأحوال بالتدرج وتجردت مدلولات هذه النعوت مما كانت بينها من فوارق وغلبت عليها الاسمية . فالخطار والحطام والباسل والأصيد ... من أسماء الأسد يدل كل منها في الأصل على وصف خاص مغاير لما يدل عليه الآخر . وكذلك ما يعد من أسماء السيف : كالنصم والهندي والحسام والعضب والقاطع ... وهلم جرا .

٦ - إن كثيراً من الألفاظ التي تبدو مترادفة هي في الواقع غير مترادفة ، بل يدل كل منها على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التي يدل عليها غيره ؛ وإليك مثلاً : رمق ولحظ ورمح وحدث وشفن وورنا ... وما إلى ذلك من الألفاظ التي تدل على النظر ؛ فإن كلا منها يعبر عن حالة خاصة للنظر تختلف عن الحالات التي تدل عليها الألفاظ الأخرى . فرمق يدل على النظر بجماع العين ؛ ولحظ عن النظر من جانب الأذن ؛ وحدثه معناه رماه ببصره مع حدة ؛ وشفن يدل على نظر المتعجب أو الكاره ؛ وورنا يفيد إدامة النظر في سكون . وهلم جرا^(٢).

٧ - أنه قد انتقل إلى اللغة العربية من أخواتها السامية وغيرها مفردات كثيرة كان لها نظائر في متنها الأصلي^(٣).

(١) اختلط في كثير من المعجمات المعاني الحقيقية بالمعاني المجازية ، ولم يعن بتمييزها إلا بعض المعجمات كالأساس للزمخشري . وقد كتب الزمخشري كتاباً خاصاً سماه « المجاز » وبين فيه ما تجاوزت به العرب من الألفاظ وما تجاوزت به من الدلالات . انظر مقدمة ابن خلدون صفحة ٦٣٩ (آخر فقرة « علم اللغة ») .

(٢) انظر المخصص لابن سيده وفقه اللغة للثعالبي تجد فيهما آلافاً من الأمثلة بهذا الصدد .

(٣) انظر ص ١٢٤ وتوابعها .

لأنه هذا، ومع ما كان يتخذها جامعو المعجمات من وسائل الحيلة والحرص على
تجزي الصواب، فقد اندس في معجماتهم كثير من المفردات المولدة والمشكوك
في عرقيتها، وحرفت فيها كلمات كثيرة عن أوضاعها الصحيحة. ويرجع ذلك
إلى أسباب كثيرة أهمها سببان: ^(٦) أن بعض الأشعار التي أخذوا عنها قد ثبت فيما بعد أنها موضوعة.
فلا يبعد أن يكون بعض مفرداتها من اختراع الواضعين. ^(٧) وثانيهما (أنهم كانوا أحياناً يأخذون عن الكتب والصحف. فحدث من
نجره ذلك تحريف في كثير من الكلمات التي نقلوها. لأن الرسم في عصورهم
كان مجرداً من الإجمام والشكل. فكان من الممكن أحياناً قراءة الكلمة
الواحدة على عدة وجوه.

(١٤) اللهجات العامية الحديثة

عوامل تطورها وصفاتها المشتركة ^(٨)
تقتضي تواميس اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض،
وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى
أمداً طويلاً، بل لا تلبث أن تشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه
اللهجات في سبيل تطورها منبهجاً يختلف عن منبهج غيرها، ولا تنفك مسافة
اختلفت تسع بينها حتى تصبح كل منها لهجة متميزة غير مفهومة إلا لأهلها.
وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللهجات يختلف بعضها عن
بعض في كثير من الوجوه. ولكنها تظل مع ذلك متفقة في وجوه أخرى،
إذ يترك الأصل الأول في كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات القرابة ولحمة
النسب اللغوي. وكثيراً ما يبقى الأصل الأول مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين
الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منه. ^(٩)

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر الحاضر. فاللغة اللاتينية مثلاً، وهي إحدى لغات الفرع الإيطالي من الفصيلة الهندية-الأوروبية، قد أخذت في أواخر العصور القديمة وفي العصور الوسطى تنسحب إلى عدد كبير من اللهجات، وأخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها، حتى أصبح كل منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها. وقد بقيت اللاتينية مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المنفرعة منها (الفرنسية، الإيطالية، الإسبانية، البرتغالية، لغة رومانيا...). ولكنها لم تنسحب عن هذه الوظيفة بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات^(١).

ولم تنسحب اللغة العربية — وما كان يمكن أن تنسحب — من هذا المصير. فمنذ أن اتسع انتشارها، أخذت تنسحب إلى لهجات يختلف بعضها عن بعض وتختلف عن الأصل الأول الذي انشعبت عنه في كثير من مظاهر الصوت والقواعد والدلالة والمفردات؛ وسلكت كل لهجة منها في تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها، تحت تأثير ظروفها الخاصة، وأخذت مسافة الخلف تتسع بين هذه اللهجات حتى أصبح بعضها غريباً عن بعض: فاللهجة العراقية أو اللهجة المغربية مثلاً في العصر الحاضر لا يفهمها المصري إلا بصعوبة وفي صورة تقريبية. غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوي بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين.

ويرجع السبب في انشعاب هذه اللهجات عن العربية الفصحى وفي تطورها المتطرد في نواحي الأصوات والقواعد والدلالة والمفردات، إلى عوامل كثيرة من أهمها ما يلي:

١ — انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان. فبعد تغلبت اللغة العربية على اللغات اليمنية القديمة في معظم بلاد اليمن، وعلى اللهجات الآرامية في معظم بلاد العراق والشام، وعلى الألسنة القبطية والبربرية والكوشية في مصر

(١) انظر تفصيل هذا القانون في صفحات ١٥٦ — ١٦٥ من الطبعة الثالثة من كتابنا

وشمال أفريقيا وشرقها . ومن المقرر أن اللغة الغالبة بينها كثير من التحريف في
السنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغوياً) تحت تأثير لهجاتهم القديمة
وأصواتها ومفرداتها وما درجوا عليه من عادات في النطق ... وهلم جرا .
وقد كان لهذا العامل أثر واضح في اختلاف لهجات هذه المناطق الجديدة
بعضها عن بعض واختلافها عن اللسان العربي الأول . فقد تأثرت اللغة العربية
في كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة ، وانحرفت في السنة أهلها انحرافاً
خاصاً اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج أسنتهم الأولى ؛ وتأثرت السنة
الجاليات العربية نفسها في كل منطقة من هذه المناطق بالسنة أهلها ؛ فنشأ من جراء
ذلك في كل بلد من هذه البلاد لهجة عربية تختلف عن لهجة غيرها ، وتختلف عن
اللغة العربية الأولى . فالعربية في الشام مثلاً متأثرة بالألسنة الآرامية القديمة ، وفي
المغرب باللهجات البربرية التي صرعتها العربية في هذه البلاد وهلم جرا (١) .

٢ — عوامل اجتماعية سياسية : كاستقلال البلاد العربية بعضها عن بعض ،
وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات . فمن
الواضح أن انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام في الوحدة الفكرية واللغوية .

٢ — عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق
في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير
والوجدان وما إلى ذلك . فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد
صداه في أداة التعبير

٤ — عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الجو
وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها وما إلى ذلك ، وفيما يفصل كل منطقة
منها عن غيرها من جبال وأمهار وبحيرات ... وهلم جرا . فلا يخفى أن هذه الفروق

(١) تقدم الكلام في الفصل الرابع عن حالة اللغة العربية في اليمن عقب انتصارها على
اللغات اليمنية القديمة (انظر صفحة ٧٨ وتوابعها) .

والفواصل الطبيعية تؤدي — عاجلاً أو آجلاً — إلى فروق وفواصل في اللغات .

٥ — عوامل شعبية جنسية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها والأصول التي انحدروا منها . فمن الواضح أن هذه الفروق آثاراً بليغة في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات .

٦ — إختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب . فمن المقرر أن هذه الأعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلى الخلف^(١) . فلم يكن مناص إذن أن تختلف أصوات اللهجات العربية بعضها عن بعض باختلاف الشعوب التي انتشرت فيها ، وأن تتجه كل لهجة منها في تطورها من هذه الناحية إلى منهج يختلف عن منهج غيرها .

٧ — التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق . فمن المقرر أن أعضاء النطق في الإنسان في تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها .

فمناجرنا وحبائنا الصوتية وأسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين ، إن لم تكن في بنيتها الطبيعية ، فعلى الأقل في استعداداتها ؛ بل إنها لتختلف في ذلك عما كانت عليه عند آبائنا الأقرين^(٢) .

وغنى عن البيان أن كل تطور يحدث في أعضاء النطق أو في استعدادها يتبعه تطور في أصوات الكلمات ، فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التي كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر منها ملاءمة مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق . فكان من المستحيل إذن أن تجمد ألفاظ اللغة العربية على حالتها الأولى في الأمم الناطقة بها ، ولم يكن مفر من أن ينالها كثير من التطور باختلاف العصور . ومن

(١) انظر تفصيل هذا الموضوع في صفحات ٢٦٧ — ٢٧٠ من كتابنا « علم اللغة » الطبعة الثالثة .

(٢) انظر تفصيل هذا الموضوع في صفحات ٢٦٤ — ٢٦٧ من الطبعة الثالثة لكتابنا « علم اللغة » .

آثار هذا ما حدث في اللغة العربية بصدد أصوات الجيم والثاء والذال والظاء والقاف. فقد أصبحت هذه الأصوات ثقيلة على اللسان في كثير من البلاد العربية، وأصبح لفظها على الوجه الصحيح يتطلب تلقينا خاصا ومجهودا إراديا وقيادة مقصودة لحركات الخارج. ولعدم ملاءمتها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق في هذه البلاد أخذت تتحول منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها^(١). فصوت الجيم الذي كان ينطق به معطشا بعض التعطيش في العربية الفصحى قد تحول في معظم المناطق المصرية إلى جاف (جيم غير معطشة)، وفي معظم المناطق السورية والمغربية إلى جيم معطشة كل التعطيش (ز)^(٢). والثاء قد تحولت إلى تاء في معظم المناطق المصرية وفي بلاد أخرى فيقال: (توب، تلج، تخين، تلعب، تعبان، تفل، تثيل، تلت، تمن، تمانية، تور، اتنين، نتر، جثة، عتة، عتر... الخ؛ بدلا من: ثوب، ثلج، تخين، ثعلب، ثعبان، ثفل، ثقيل، ثلث، ثلاثة، ثمن، ثمانية، ثور، اثنان، نثر، جثة، عتة، عتر... الخ)^(٣). والذال قد تحولت في كثير من المناطق العربية إلى دال في معظم الكلمات، فيقال: (داب، دراع، ديب، ده، دى، دبل، دبح، دبان، دان، أدان، ودن، ذهب، ذيل... الخ؛ بدلا من: ذاب، ذراع، ذئب، ذا، ذى، ذبل، ذبح، ذئبان، ذقن، أذان، أذن، ذهب، ذيل... الخ)؛ وإلى زاي في بعض الكلمات، فيقال مثلا: (زنب، زهن، زكى، رذالة... الخ؛ بدلا من: ذنب، ذهن، ذكى، رذالة... الخ). والظاء قد تحولت إلى ضاد في معظم الكلمات؛ فيقال مثلا: ضلام، ضفر، ضل. ضهر... الخ؛ بدلا من ظلام، ظفر، ظل، ظهر... الخ؛

(١) يحتمل كذلك أن بعضها كان متحولا إلى هذه الأصوات في بعض القبائل العربية التي انتقلت لهجاتها إلى هذه الأمم.

(٢) لا يزال ينطق بصوت الجيم نطقاً صحيحاً في عامية العراق وبعض المناطق المصرية وخاصة في مديرية الشرقية.

(٣) تحول هذا الصوت في كلمات قليلة إلى سين أو صاد. «ثواب» ينطق بها أحياناً «سواب» أو «صواب».

وإلى زاي مفتحمة في بعض الكلمات (كما ينطق في عامية المصريين بكلمات :
ظالم . ظريف ، أظن ، حظ ... الخ)^(١) . والقاف قد تحولت إلى همزة في بعض
اللهجات المصرية ، فيقال : أط ، ألت ، أبل ، عاد ، نطأ ... الخ ؛ بدلا من :
قط ، قلت ، قبل ، عقد ، نطق ... الخ) ؛ وإلى جاف (جيم غير معطشة) في معظم
اللهجات العامية في مصر وغيرها من البلاد العربية ، فيقال : (جط ، جلت ،
كجبل ، عجد ، نطج ... الخ ؛ بدلا من قط ، قلت ، قبل ، عقد ،
نطق ... الخ)^(٢) .

٨ — الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة ، قد يحيط بالصوت بعض
مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدريج ، كوقوعه في آخر الكلمة ، وزيادته عن بنيتها ،
وعدم توقف المعنى المقصود عليه ؛ فيتضاءل جرسه شيئا فشيئا حتى يصل في عصر
ما إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع ؛ فحينئذ يكون عرضة للسقوط . وذلك أن
معظم الصغار في هذا العصر لا يكادون يتبينونه في نطق الكبار ؛ فينطقون
بالكلمات مجردة منه^(٣) .

وقد كان لهذا العامل ، مع عوامل أخرى سيأتي ذكرها ، أثر كبير في سقوط
علامات الإعراب بالحركات من جميع اللهجات العامية المنشعبة عن العربية . على
حين أن الإعراب بالحروف ، لعدم تأثره بهذا العامل ، قد بقيت آثاره في اللهجات
العامية : (أخوك ، أبوك : المؤمنين ، الطيبين ... الخ) .

(١) لا يزال ينطق بأصوات الناء والطاء والذال نطقاً صحيحاً في عامية العراق والمغرب
وخاصة في طرابلس وفي القبائل العربية النازحة إلى مصر (الفوايد ، الرواج ، البراعصة ،
أولاد علي ، الجرابي الضعفاء ، سمالوس ... الخ) .
(٢) لا يزال صوت القاف محتفظاً بنطقه الصحيح في كثير من السكيات في عامية العراق
وعامية رشيد . وكان مستعملاً منذ عهد غير بعيد في بعض مناطق بني سويف ، وقد سمعت أنا نفسي
بعض شيوخ أسرتي (ببلدة الحمام مركز بني سويف) يتكلمون بالقاف ، ولا يزال العامة في هذه
المناطق يتكلمون بالقاف حيناً يروون عبارة منسوبة إلى أجدادهم في الأفاصيح الشعبية وما إليها ؛
وهذا يدل على أن صوت القاف لم ينقرض لديهم إلا منذ أمد قريب .
(٣) انظر تفصيل هذا العامل في صفحة ٢٧١ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

٩ - موقع الصوت في الكلمة . وموقع الصوت في الكلمة يعرضه كذلك
لكثير من صنوف التطور والانحراف : (١) وأكثر ما يكون ذلك في الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات سواء
أكانت هذه الأصوات أصوات مدّ أم أصواتا ساكنة .
أما أصوات المد ، فقد لوحظ أن وقوعها في آخر الكلمة يجعلها في الغالب
عرضة للسقوط ، ويؤدي أحيانا إلى تحويلها إلى أصوات أخرى . وقد كان لهذا
العامل أثر كبير في سقوط أصوات المد القصيرة المسماة بالحركات (التي يرمز إليها
في الرسم العربي بالفتحة والكسرة والضمة) التي تلحق أواخر الكلمات العربية .
ففي جميع اللهجات العامية المنشعبة عن العربية (عاميات مصر والعراق والشام
وفلسطين والحجاز واليمن والمغرب . . . الخ) قد انقرضت هذه الأصوات جميعها ،
سواء في ذلك ما كان منها علامة إعراب وما كان منها حركة بناء . فينتطق الآن
في هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر (فيقال مثلا : رجع عمر
للمدرسة بعد ما خف من عيائه » بدلا من « رجع عمر إلى المدرسة بعد ما خف
من إعيائه » . ولعل هذا هو أكبر انقلاب حدث في اللغة العربية ؛ فقد أتى جميع
الكلمات فانتقصها من أطرافها ، وجردها من العلامات الدالة على وظائفها في
الجملة ، وقلب قواعدها القديمة رأسا على عقب .
ومن هذا القبيل كذلك ما حدث في اللغة العربية بصدد أصوات المد الطويلة
(الألف والياء والواو) الواقعة في آخر الكلمات . فقد تضاءلت هذه الأصوات في
عامية المصريين وغيرهم حتى كادت تنقرض تمام الانقراض ، سواء في ذلك ما كان
منها داخلا في بنية الكلمة (رمي ، يرمي . . . الخ) وما كان خارجا عنها
(ضربوا ، ناموا . . . الخ) . فيقال مثلا في عامية المصريين : « سام وعيس
ومصطفى أب حسين سافروا يوم الخميس لخرج » بدلا من : « سامي وعيسى ومصطفى
أبو حسين سافروا يوم الخميس إلى جرجا » .

وما حدث في اللغة العربية تحت تأثير هذا العامل ، حدث مثله في كثير من اللغات الأخرى . فمعظم أصوات اللين المتطرفة في اللغة اللاتينية قد انقرضت في اللغات المنشعبة عنها^(١) .

ووقوع الصوت الساكن (ونعني به ما يقابل صوت المد) في آخر الكلمة يجعله كذلك عرضة للتحويل أو السقوط ، فمن ذلك ما حدث في اللغة العربية بصدد التنوين ونون الأفعال الخمسة والهمزة والهاء المتطرفتين^(٢) . فقد انقرضت هذه الأصوات في معظم اللهجات العامية المنشعبة عن العربية ، كما يظهر ذلك من الموازنة بين العبارات العربية المدونة في السطر الأول ونظائرها في عامية المصريين المدونة في السطر الثاني :

محمدٌ ولدٌ مطيعٌ ؛ الأولاد يلعبون . الهواءُ شديدٌ ؛ انتظرتُه ساعةً كاملةً .
محمدٌ ولدٌ مطيعٌ ؛ الأولادُ يبلِّعونُ ، الهواءُ شديدٌ ، إنتظرتُ ساعَةً كاملَةً .
ومن هذا القبيل كذلك حذف آخر الكلمة التي يوقف عليها في عامية كثير من المناطق المصرية ، كبعض مناطق بني سويف والشرقية ورشيد ، فيقال مثلاً :
« إنت يا ولّ » بدلا من « أنت يا ولد » ؛ « فين أخوك محمو » بدلا من « أين أخوك محمود » ؛ « إديلُ خمسأرو » بدلا من « أدله خمسة قروش »^(٣) .

وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في كثير من اللغات الأخرى . فمعظم الأصوات الساكنة المحتتمة بها الكلمات اللاتينية قد انقرضت

(١) يستثنى من ذلك الإيطالية ، فقد احتفظت بمعظم هذه الأصوات . انظر تفصيل هذا الموضوع في صفحات ٢٧٥ — ٢٨١ من الطبعة الثالثة لكتابنا « علم اللغة » .
(٢) التاء المربوطة حكمها في ذلك حكم الهاء المتطرفة كما يظهر من المثال المذكور فيما بعد .

(٣) سار على هذا الأسلوب كذلك بعض اللغات العربية الفصيحة كلغة طيء ، وقد جرت عادة المؤلفين من العرب بتسميته « قطعة طيء » أي قطع اللفظ قبل تمامه . فكان يقال مثلا في لغتهم « يا أبا الحك » بدلا من « يا أبا الحكم » . ولم يكن هذا مقصوراً عندهم على المنادى بل كان عاما في جميع الكلمات (انظر ص ١٢١) .

في النطق الفرنسي أو تحولت إلى أصوات ساكنة أخرى أضعف منها أو إلى
أصوات لين^(١) .
(ب) ووقوع الصوت في وسط الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف
التطور والانحراف .

فمن ذلك ما حدث في اللغة العربية بصدد الهمزة الساكنة الواقعة في وسط
الثلاثي ، فقد تحولت إلى ألف ليننة في عامية المصريين وغيرهم . (فيقال : راس ،
فاس ، فال ، ضاني ... الخ ؛ بدلا من : رأس ، فأس ، فال ، ضأن ... الخ) .
ومن هذا القبيل كذلك ما حدث بصدد الواو والياء الساكنتين في وسط
الكلمة في مثل « عين » و « يوم » . فقد تحولتا في بعض المناطق المصرية وغيرها
إلى صوتين من أصوات المد : فأولهما تحول إلى صوت يشبه صوت « ة » في اللغة
الفرنسية (عين ، خيل ، بين ، زينب ... الخ) ؛ وثانيهما تحول إلى صوت يشبه
صوت « ن » الفرنسي (يوم ، نوم ، فوز ، لوم ... الخ) .

ومن ذلك تحريك الحرف الساكن إذا وقع في وسط كلمة ثلاثية في كثير
من لهجات البلاد العربية (عامية الشرقية ، وبعض عاميات الصعيد ، ولهجات
القبائل العربية النازحة إلى مصر ، ولهجة العراق ... الخ) ؛ فيقال مثلا : اسم ،
رسم ، مصر ، جرن ، بدر ، فجل ، فيجل ... الخ ؛ بدلا من : اسم ، رسم ،
مصر ، جرن ، فجل ، فجل ... الخ^(٢) .

وقد سجل الباحثون ظواهر كثيرة من هذا القبيل في اللغات الهندية الأوربية^(٣) .

(ج) ووقوع الصوت في أول الكلمة يجعله كذلك عرضة للانحراف .
فمن ذلك ما حدث في بعض المفردات العربية المفتوحة بالهمزة ؛ إذ تحولت همزتها

(١) انظر تفصيل هذا الموضوع في صفحات ٢٧٥ — ٢٧٨ من كتابنا « علم اللغة » ،
الطبعة الثالثة .

(٢) هذه كذلك لهجة قديمة من لهجات بعض القبائل العربية .

(٣) انظر تفصيل هذا الموضوع في صفحتي ٢٧٩ ، ٢٨٠ من كتابنا « علم اللغة » ،
الطبعة الثالثة .

في بعض اللهجات العامية إلى فاء أو واو (« أذن » تحولت في عامية المصريين إلى « وذن » ؛ و « أين » تحولت في لهجتهم إلى « فين » ، وتحولت إلى « وين » في عامية القبائل العربية النازحة إلى مصر وفي عامية العراق والحجاز ؛ و « أدّي » تحولت في بعض المواضع في عامية المصريين إلى « ودّي » فيقال مثلاً : « ودّاه المدرسة » أي أوصله إليها ^(١) .

١٠ — تناوب الأصوات المتحددة النوع القرية الخرج ، وحلول بعضها محل بعض . يتبين من ملاحظة ظواهر التطور في مختلف اللغات الإنسانية أن الأصوات المتحددة النوع ، القرية الخرج ، تميل بطبيعتها إلى التناوب وحلول بعضها محل بعض . فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر ؛ وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت ساكن متحد معه في مخرجه أو قريب منه . وقد كان لهذا القانون آثار ذات بال في انشعاب اللهجات العامية عن العربية وفي تطورها من ناحية الأصوات وقواعد الصرف ووزن الكلمات : (١) فقد حدث في هذه اللهجات تناوب واسع النطاق بين أصوات المد القصيرة التي يرمز إليها في الرسم العربي بالفتحة والكسرة والضمة . ويمثل هذا التناوب انقلاباً من أهم الانقلابات التي اعتورت اللغة العربية . فقد كان من آثاره أن انحرفت أوزان الكلمات ، وانقلبت أشكالها رأساً على عقب ، حتى لا نكاد نجد في اللهجات العامية كلمة واحدة باقية على وزنها العربي القديم . فالفتحة قد استبدل بها الضمة أحياناً والكسرة في كثير من الأحوال (فبدلاً من : يعوم ، يسجد ، يسمع ، عثر ، خلص ، سكت ، كبير ، الكتاب ... الخ ؛ يقال في عامية المصريين : يعوم ، يسجد ، يسمع ، عثر أو عتر ، خلص أو خلص ، سكت أو سكت ، كبير ، الكتاب ... الخ) . — والكسرة قد استبدل بها

(١) ليس هذا مقصوداً على اللغات العامية ، بل يوجد له نظير في اللهجات العربية . ففي لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واو في مثل « آيته » فيقال : واتيته على الأمر مواتاة ، وهي المشهورة على ألسنة الناس .

الضمة أحياناً والفتحة في كثير من الأحيان (فبدلاً من: يَلْطِمُ ، يَضْرِبُ ، يَسْرِقُ ،
عند ... الخ ؛ يقال في عامية المصريين : يَلْطُمُ ، يَضْرَبُ ، يَسْرَأُ ، عند ... الخ) .
والضمة قد استبدل بها الفتحة أحياناً والكسرة في معظم الحالات (فبدلاً
من مُحَمَّد ، تُعْبَان ، أُثِي ، عُثَّة . يَمُتِل ، يَذُم ، تُظْفَر ... الخ ؛ يقال في عامية
المصريين : مُحَمَّد ، تَعْبَان ، إْتْيَايَة ، عِتَة ، يِتْتِل ، يِزِم ، ضِفْر ... الخ) .
وحدث كذلك تناسخ في أصوات المد الطويلة نفسها ، وخاصة في الألف
اللينية إذ أميلت في لغات بعض القبائل العربية القديمة ، وتمال الآن في كثير من
لهجات المغرب ولهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر وفي بعض اللهجات في
الشرقية وغيرها .
وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في اللغات الهندية
الأوروبية (١) .

(ب) وكثير من الأصوات الساكنة المتحددة النوع أو القريبة المخرج قد
تناسخت كذلك في اللهجات العامية وحل بعضها محل بعض . فالسين مثلاً قد
تحولت إلى صاد في بعض المواطن (« ساخن » تحولت إلى « صاخن » في عامية
الشرقية وغيرها و « سلطان » تحولت إلى « صلطان » في كثير من اللهجات
المصرية) ؛ والصاد إلى سين في كثير من الألفاظ في عامية القاهرة وغيرها (فبدلاً
من : يصدق ، مصير ... الخ ؛ يقال : يسداً . مسير ... الخ) ؛ والصاد إلى ظاء
في عامية العراق والمغرب وخاصة طرابلس وفي لهجات القبائل العربية النازحة إلى
مصر (٢) (فبدلاً من : وضوء ، يضيع ، يضرب ، ، يضم ... الخ ؛ يقال
وظوء ، يظيع ، يظرب ، يظم ... الخ) ؛ والعين إلى نون في بعض الكلمات في

(١) انظر تفصيل ذلك في صفحتي ٢٨١ ، ٢٨٢ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة

الثالثة .

(٢) نعتي بها القبائل الحاضرة التي تسكن الفيوم وبنى سويف والشرقية والبحيرة ... الخ
(الفوايد ، الرماح ، الحرابي ، أولاد علي ، الضعفاء ، خويلد ، سمالوس ... الخ) .

لهجة العراقيين (فيقال مثلاً « ينطى » بدلاً من « يعطى »)^(١) ؛ واللام إلى ميم
في بعض الكلمات في عامية القاهرة (« امبارح » بدلاً من « البارحة »)^(٢) ؛ والميم
إلى نون أحياناً في عامية المصريين (فيقال « فاطنة » بدلاً من « فاطمة ») ...
وهلم جرا .

وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في اللغات الهندية
الأوروبية^(٣) .

١١ — يتغير مدلول الكلمات تبعاً للحالات التي يكثر فيها استخدامها .
فكثرة استخدام العام مثلاً في بلد ما أو في عصر ما في بعض ما يدل عليه تزييل
مع تقادم العهد عموم معناه وتقتصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله .
وكثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزييل مع تقادم العهد
خصوص معناه وتكسبه العموم . وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي
تؤدي غالباً إلى انقراض معناها الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازي محله . واستخدام
الكلمة في فن أو صناعة بمعنى خاص يجردها في هذا الفن أو في هذه الصناعة من
معناها اللغوي ويقصرها على مدلولها الاصطلاحي^(٤) .

والتطورات التي حدثت في اللهجات العامية تحت تأثير هذا العامل تناولت
آلافاً من المفردات العربية ؛ حتى أنه ليندر أن نجد مفرداً عامياً مطابقاً في مدلوله
كل المطابقة للمفرد العربي الذي انحدر منه^(٥) .

(١) تكاد تكون هذه الظاهرة مقصورة لديهم على العين المتبوعة بفاء ، وهذه كذلك
لهجة قديمة هي لهجة هذيل ، انظر ص ١٢١ .
(٢) هذه كذلك لهجة حمير ، وقد جاء بها الأثر « ليس من امبر أمصيام في امسفر » .
انظر ص ١٢٣ .
(٣) انظر تفصيل هذا الموضوع في صفحات ٢٨٣ — ٢٨٥ من كتابنا « علم اللغة » .
الطبعة الثالثة .

(٤) انظر تفصيل هذا العامل وآثاره في اللغات الأخرى في صفحات ٢٩٢ — ٢٩٤
من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .
(٥) من الواضح أن هذا العامل قد أثر في الفصحى ، أي في لغة الآداب والكتابة نفسها .

١٢ — يتغير مدلول الكلمة أحياناً تحت تأثير القواعد . فقد تدل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى انحراف معنى الكلمة وتساعد على توجيهه وجهة خاصة . فنذ كير كلمة « ولد » مثلاً في العربية (ولد صغير) ، قد جعل معناها يرتبط في الذهن بالذكور ؛ ولذلك أخذ مدلولها يدنو شيئاً فشيئاً من هذا النوع ، حتى أصبحت لا تطلق في كثير من اللهجات العامية إلا على الولد من نوع الذكور^(١) .

١٣ — قد يتغير مدلول الكلمة في انتقالها من السلف إلى الخلف . فكثيراً ما ينجم عن هذا الانتقال تطور في معاني المفردات . وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه الجيل السابق . ويساعد على هذا الاختلاف كثرة استخدام بعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق التوسع والمجاز . فقد يكثر استخدام الكلمة في جيل ما في بعض ما تدل عليه ، أو في معنى مجازي تربطه بمعناها الأصلي بعض العلاقات ، فيعلق المعنى الخاص أو المجازي وحده بأذهان الصغار ، ويتحول بذلك مدلولها إلى هذا المعنى الجديد^(٢) .

١٤ — وقد تغيرت في اللغات العامية مدلولات كثير من الكلمات لأن الشيء نفسه الذي تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشؤون الاجتماعية المتصلة به وما إلى ذلك . فكلمة « الريشة » مثلاً كانت تطلق على آلة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور ؛ ولكن تغير الآن مدلولها الأصلي تبعاً لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة ؛ فأصبحت تطلق على قطعة من المعدن مشككة في صورة خاصة . و « القطار » كان يطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم في السفر ؛ ولكن تغير الآن مدلوله الأصلي تبعاً لتطور وسائل المواصلات ؛ فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية . و « البريد » كان يطلق على الدابة التي تحمل عليها الرسائل ؛ ثم تغير

(١) انظر تفصيل هذا العامل وآثاره في اللغات الأخرى في صفحة ٢٩٥ من كتابنا « علم اللغة » ، الطبعة الثالثة .

(٢) قد أثر هذا العامل في اللغة الفصحى ، أي في لغة الآداب والكتابة نفسها كما لا يخفى .

الآن مدلوله تبعاً لتطور الطرق المستخدمة في إيصال الرسائل ؛ فأصبح يطلق على النظم والوسائل المتخذة لهذه الغاية في العصر الحاضر^(١) .

١٥ — انتقال كلمات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التي احتكت بها . فقد انتقل إلى كل بلد عربي اللسان كثير من كلمات اللغات التي أتيح له الاتصال بأهلها اتصالاً ثقافياً أو سياسياً أو اقتصادياً . فانتقل إلى لهجة العراق كثير من الكلمات التركية والفارسية والكردية والإنجليزية ؛ وإلى لهجات الشام كثير من الكلمات التركية والفرنسية ؛ وإلى لهجة مصر كثير من الكلمات التركية واليونانية والفرنسية والإيطالية ... وهلم جرا .

١٦ — انتقال أصوات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التي احتكت بها . فمن ذلك مثلاً صوت بين الشين والجيم المعطشة ينطق به في عامية العراق في مثل كلمة « عربنجي » (سائق العربة) . فمن المحتمل أن يكون هذا الصوت قد انتقل إليها من التركية^(٢) .

١٧ — دخول قواعد جديدة في بعض اللهجات العامية للحاجة إليها في الكلام أو عن طريق احتكاكها باللغات الأخرى . فقد انتقل مثلاً إلى المصرية والعراقية طريقة النسب التركية (زيادة جيم وياء) في بعض الكلمات وخاصة ما يدل منها على الحرفة (عربنجي . طرشجي جزنجي ...) ، وطريقة الإضافة في بعض الكلمات بتقديم المضاف إليه على المضاف (كتبخانة ، أتنيكخانة... الخ) . وانتقل إلى اللهجة العراقية طريقة النعت الفارسية التي يقدم فيها أحياناً النعت على المنعوت (فيقال « خوش ولد » خوش كلمة فارسية معناها حسن ، ومعنى الجملة ولد حسن أو ما أحسنه من ولد) ، وطريقة تنكير الاسم المفرد بذكر كلمة قبله تدل على الوحدة (« فرد رجل » ؛ « فرد مخالفة » ... الخ) . وانتقل إلى معظم

(١) يؤثر هذا العامل في لغة الآداب والكتابة نفسها ، كما تدل على ذلك الأمثلة التي ضربناها ، فمعظمها مقتبس من لغة الآداب في الوقت الحاضر لا من اللغة العامية .
(٢) هذا الصوت كان موجوداً في بعض اللهجات العربية القديمة (انظر ص ٩٥) .
فمن المحتمل كذلك أن يكون قد انتقل إلى العراقية من هذه اللهجات .

اللهجات العامية المنشعبة عن العربية طريقة الإضافة بتوسط كلمة تدل على الملك بين المضاف والمضاف إليه : ففي مصر تتوسط غالباً كلمة « بتاع » المحرفة عن متاع ؛ وفي تونس والجزائر كلمة « إتناع » أو « تاع » المحرفة كذلك عن متاع ؛ وفي سوريا ولبنان كلمة « تبع » (الكتاب تبعي) ؛ وفي المغرب الأقصى كلمة « ديال » ؛ وفي العراق كلمة « مال » للمذكر و « مالة » للمؤنث (فيقال « الكتاب مالى » ، « الكراسة مالتى » ، أى كتابى وكراستى)^(١) . ودخل في معظم هذه اللهجات كذلك زمن جديد للمضارع للدلالة على الاستمرار . وقد اختلفت هذه اللهجات في الإشارة إلى هذا الزمن : فبعضها يشير إليه بياء في أول الفعل (« يكتب » في بعض اللهجات المصرية) ؛ وبعضها يشير إليه بكاف قبل الفعل « يكتب » في لهجة المغرب) ؛ وبعضها يشير إليه بكلمة « عم » قبل الفعل (« عم يكتب » في كثير من اللهجات المصرية والعراقية) ؛ أو بكلمة « راه » (« راه يكتب » في لهجة المغرب . وتستخدم هذه الأداة كذلك في مصر ولكن للدلالة على الاستقبال وتقلب هاؤها حاء ، فيقال « راح يكتب »)^(٢) .

ومن القواعد المستحدثة كذلك ما تسير عليه اللهجة المصرية وبعض اللهجات العربية في العصر الحاضر من تأخير اسم الإشارة على المشار إليه في بعض التراكيب (الولد دا = هذا الولد) ، وإضافة حرف شين للدلالة على النفي أو توكيده (ما يرضاش = ما يرضى ؛ ما هوش كويس أو مش كويس = ما هو كويس أو طيب) ، وكثرة استعمال التصغير في الصفات بدون مقتض للتصغير ، ويجرى هذا غالباً في الأوصاف الدالة على القلة (صَغِيرٌ ، أَرِيْبٌ ، أَلَيْلٌ ، رُفِيعٌ ، أَصِيْرٌ ... بدلا من صغير ، قريب ، قليل ، رفيع ، قصير ...) .

(١) انظر في ذلك بعض ملاحظات طريفة لرينان في كتابه :

Renan : Histoire générale des Langues sémitiques, p. 411

(٢) يظهر لى أن هذا الزمن لم ينتقل إلى هذه اللهجات من لغات أخرى ، بل تكون فيها بشكل تلقائي للحاجة إليه في التعبير .

١٨ — انقراض بعض الكلمات لانقراض مدلولها أو قلة استخدامها ، فقد انقرض في اللهجات العامية كثير من الأسماء العربية الدالة على أمور بطل استعمالها ؛ ويصدق هذا على أسماء الملابس والأثاث وعدد الحرب ووسائل النقل وآلات الصناعة والمقاييس والنقود ومظاهر النشاط والنظم الاجتماعية ... التي كانت سائدة عند العرب في عصورهم الأولى ، ولكنها انقرضت أو لم يعد لها شأن في عصورنا الحديثة ، فانقرضت معها الكلمات الدالة عليها .

١٩ — انقراض بعض الكلمات لثقلها على اللسان أو عدم تلاؤمها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق ... وما إلى ذلك . وإلى هذا العامل يرجع السبب في انقراض كثير من الكلمات العربية من لغات التخاطب العامية في العصر الحاضر^(١) .

٢٦ — انقراض الكلمة لدقة مدلولها ، أو عدم الاحتياج إليه في لهجات المحادثة العادية ، أو قلة دورانه فيها ، أو وجود لفظ آخر مرادف لها . فلهجات المحادثة تقتصر في العادة على الضروري ، وتنفر من الكمالي ، وتتنأى عن مظاهر الترف . وإلى هذا العامل يرجع السبب في انقراض آلاف من الكلمات العربية من لهجات المحادثة الحاضرة ، وفي تجرد هذه اللهجات من أهم خاصة تمتاز بها العربية ، وهي سعة الثروة في المفردات وكثرة المترادفات .

* * *

هذا وعلى الرغم من اختلاف هذه اللهجات في ظروفها ، فقد تأثرت في بعض النواحي بعوامل متحدة ، فاتفقت في طائفة من مظاهر التطور . وتبدو وجوه اتفاقها هذا في أمور كثيرة أهمها ما يلي :

١ — تجردها من جميع الحركات التي تلحق آخر الكلمات في العربية الفصحى ، سواء في ذلك ما كان منها علامة إعراب وما كان حركة بناء . فينطق في هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر ، وتلزم حالة واحدة في الكلمات العربية بالحروف ، ويعتمد في فهم الأمور التي ترشد إليها في العربية

(١) يؤثر هذا العامل والعامل السابق كلاهما في لغة الآداب والكتابة نفسها كما لا يخفى .

الفصحى علامات الإعراب (وظيفة الكلمة ، علاقة عناصر العبارة بعضها ببعض ... الخ) على سياق الحديث أو على كلمات مستقلة تذكر في الجملة .

٢ - استبدل في هذه اللهجات بالطرق المعقدة الدقيقة التي تسير عليها العربية الفصحى في تركيب الجملة وترتيب عناصرها ، طرق بسيطة ساذجة وأساليب حرة طليقة .

٣ - لم تحتفظ هذه اللهجات إلا بجزء يسير من تراث أمها العربية وثروتها العظيمة في المفردات ، ويتمثل هذا الجزء في الكلمات الضرورية للحديث العادي .

ومن هذه الخواص الثلاث يتبين أن ما تمتاز به العربية الفصحى عن أخواتها السامية قد تجردت منه اللهجات العامية الحديثة . فمسافة الخلف بين لهجاتها الحاضرة واللغات السامية الأخرى أضيق إذن من مسافة الخلف بين هذه اللغات والعربية الفصحى .

(١٥) طوائف اللهجات العامية

ومبلغ بعد كل منها عن الفصحى

لم يصل إلينا عن هذه اللهجات قبل القرن التاسع عشر إلا معلومات ضئيلة ، بعضها مستقى من إشارات جاءت في ثنايا كتب القواعد والأدب ، وبعضها من أغان شعبية وردت في مقدمة ابن خلدون وتاريخه ، وبعضها من كتب ألفت بلغة بين العامية والعربية الفصحى ، ككتاب « ألف ليلة وليلة » .

ولم يعن العلماء بدراسة هذه اللهجات دراسة جدية إلا منذ القرن التاسع عشر . وقد قسموها إلى خمس مجموعات تشتمل كل مجموعة منها على لهجات متقاربة في أصواتها ومفرداتها وأساليبها وقواعدها ، ومتفقة في المؤثرات التي خضعت لها في تطورها : إحداهم مجموعة اللهجات الحجازية - النجدية (وتشمل لهجات الحجاز ونجد واليمن) وثانيتها مجموعة اللهجات السورية (وتشمل جميع اللهجات العربية ^(١))

(١) قيدنا هذه اللهجات بالعربية لإخراج اللهجات غير العربية التي يتكلم بها بعض طوائف في سوريا ولبنان . ومن أشهر هذه اللهجات لهجة منحدر من الآرامية يتكلم بها إلى الوقت الحاضر في ثلاث قرى سورية ، وهي معلولة وجبعدين وبخفا . (انظر صفحتي ٦٧ ، ٦٨) .

المستخدمة في سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) ؛ وثالثها مجموعة اللهجات العراقية (وتشمل جميع اللهجات العربية^(١) المستخدمة في بلاد العراق) ؛ ورابعها مجموعة اللهجات المصرية (وتشمل جميع اللهجات العربية المستخدمة في مصر والسودان^(٢)) ؛ وخامستها مجموعة اللهجات المغربية (وتشمل جميع اللهجات العربية^(٣) المستخدمة في شمال أفريقيا) .

وتشتمل كل مجموعة من هذه المجموعات على طائفة كبيرة من اللهجات ؛ وتنقسم كل لهجة إلى عدة فروع ؛ وينشعب كل فرع إلى شعب كثيرة تختلف باختلاف البلاد التي تستخدمه . وإليك مثلاً مجموعة اللهجات المصرية : فهي تنقسم إلى مئات من اللهجات ، وكل لهجة من هذه اللهجات تنقسم إلى عدة فروع وشعب ، تختلف باختلاف البلاد الناطقة بها ؛ حتى إنك لتجد بين القريتين المتجاورتين المنتميتين إلى لهجة واحدة خلافاً واضحاً في كثير من مظاهر الصوت والمفردات والتراكيب والأساليب . ومع كثرة وجوه الخلاف بين هذه المجموعات الخمس فإن المتكلمين بإحداها يستطيعون ، مع شيء من الانتباه ، أن يفهموا كثيراً من حديث أهل المجموعات الأخرى ، لاتفاقها في معظم أصول المفردات والقواعد الأساسية ومنحى الأساليب . وأدنى هذه المجموعات إلى العربية الفصحى مجموعتا اللهجات الحجازية والمصرية . أما اللهجات الحجازية فلنشأتها في المواطن الأصلية للعربية الفصحى ، ولأن معظم أهل الحجاز ونجد ينتمون إلى عناصر عربية خالصة . وأما اللهجات

(١) قيدنا هذه اللهجات بالعربية لإخراج اللهجات العراقية المنحدرة من أصل غير سامي كاللهجات الكردية والمنحدرة من أصل سامي غير عربي كاللهجات الآرامية التي لا يزال يتكلم بها إلى الوقت الحاضر في بعض قرى في طور عابدين وبعض بلاد في شرق الموصل وشماله وجبال السكرد والشاطيء الشرقي لبحيرة أورميا (انظر صفحتي ٦٨ ، ٦٩) .
(٢) قيدنا هذه اللهجات بالعربية لإخراج اللهجات غير العربية المستخدمة في بعض مناطق السودان (انظر آخر صفحة ١٩٤ وأول ١٩٥ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة ») .
(٣) قيدنا هذه اللهجات بالعربية لإخراج اللهجات البربرية التي لا يزال يتكلم بها إلى الوقت الحاضر بعض عشائر في المغرب الأقصى .

المصرية فلأن صراع العربية مع اللسان القبطي الذي كان يتكلم به أهل مصر قبل الفتح العربي لم يكن عنيفاً ولم تلق في أثنائه اللغة العربية مقاومة ذات بال؛ ومن المقرر أن اللغة التي يتم لها الغلب بدون مقاومة تخرج من صراعها أقرب ما تكون إلى حالتها التي كانت عليها من قبل^(١). هذا إلى أن معظم أهل مصر منحدر من عشائر عربية الأصل. (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

وأبعد هذه المجموعات عن العربية الفصحى المجموعتان العراقية والمغربية. أما العراقية فلشدة تأثرها بالآرامية والفارسية والتركية والسكردية، حتى إن قسماً كبيراً من مفرداتها وبعض قواعدها غير عربي الأصل؛ ولذلك يجد المصري مثلاً صعوبة كبيرة في فهم حديث العراقي^(٢). وأما المغربية فهي أبعد اللهجات العامية جميعاً عن العربية الفصحى. ويرجع السبب في ذلك إلى شدة تأثرها باللهجات البربرية التي كان يتكلم بها معظم السكان قبل الفتح العربي. فقد انحرفت من جراء ذلك انحرافاً كبيراً عن أصولها الأولى في الأصوات والمفردات وأساليب النطق وفي القواعد نفسها^(٣).

ولهجات البدو في جميع هذه البلاد أفصح كثيراً من لهجات الحضر، وأقل منها في الكلمات الدخيلة، وأدنى منها إلى العربية الفصحى. ولذلك نرى أن لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر^(٤) وخاصة العشائر التي لم تبعد كثيراً عن أصلها، هي أفصح لهجات هذه البلاد. (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

حالتها البدوية القديمة ، أفصح كثيراً من لهجات المصريين ، وأكثر منها احتفاظاً بالأصوات العربية ، وأدق منها في إخراج الحروف من مخارجها . فهي لا تزال محتفظة بأصوات الذال والطاء التي انقرضت من اللهجات المصرية ؛ وأوزان كلماتها أقرب ما يكون إلى الأوزان العربية الصحيحة ، ويندر أن نعثر فيها على مفرد غير عربي الأصل .

ولهجات القرى في جميع هذه المناطق أفصح من لهجات المدن وأقل منها في الشكليات الدخيلية ، وأدنى منها إلى العربية الفصحى . ويرجع السبب في ذلك إلى ميل سكان القرى إلى المحافظة وقلة احتكاكهم بالأجانب^(١) .

(١٦) لغة الكتابة العربية

وتطورها وما استقرت عليه في العصر الحاضر

وعلى الرغم من تعدد لهجات المحادثة في هذه الأمم على الصورة التي وصفناها ، فإن لغة الآداب والكتابة فيها واحدة . وهي تمثل في جملتها اللغة القرشية التي نزل بها القرآن . ولكنها قد تطورت في تفاصيلها تطوراً كبيراً تحت تأثير العوامل المختلفة التي تكلمنا عنها بتفصيل في كتابنا علم اللغة^(٢) وأشارنا إلى بعضها في الفقرة الرابعة عشرة من هذا الفصل^(٣) . وقد اتبناها في العصر الحاضر تطورات جديدة

ترجع أهم عواملها إلى ما يلي :

٧ - اقتباس مفردات إفرنجية بعد تعريبها للتعبير عن مخترعات أو آلات

(١) انظر في اللهجات العربية العامية وما كتب فيها قديماً وحديثاً بحثاً قيماً للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف بالجزء الأول من مجلة المجمع اللغوي ص ٣٥٠ وتوابعها . وقد ذكرنا بعض هذه المؤلفات في ثبت المراجع .

(٢) انظر صفحات ١٧٠ - ١٧٣ و ٢٢٦ إلى ٣٠٠ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

(٣) تكلمنا في هذه الفقرة عن العوامل التي أدت إلى تحول اللغة الفصحى إلى لهجات عامية في المحادثة العادية . غير أن بعض هذه العوامل قد أثر في لغة الآداب والكتابة نفسها ، كالعوامل الحادية عشر والثالث عشر والرابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر من الفقرة المشار إليها (انظر صفحات ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧) .

حديثية ، أو مصطلحات علمية ، أو نظريات ، أو مبادئ اجتماعية ، أو أحزاب سياسية وهلم جرا .

٢ - ترجمة كثير من المفردات الإفرنجية الدالة على معان خاصة تتصل بمصطلحات العلوم والفلسفة والآداب وما إلى ذلك ، إلى مفردات عربية كانت تستعمل من قبل في معان عامة . فتجردت هذه المفردات من معانيها العامة القديمة وأصبحت مقصورة على المدلولات الاصطلاحية .

٣ - التأثر بأساليب اللغات الإفرنجية ومناهج تعبيرها وطرق استدلالها في المؤلفات العلمية والتقصية والأدبية وفي الصحف والمجلات

٤ - اقتباس كثير من أخيلة هذه اللغات وتشبيهاتها وحكا وأمثالها وما إلى ذلك .

٥ - إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المهجورة . فكثيراً ما لجأ الكتاب في البلاد العربية إلى هذه الوسيلة للتعبير عن معان لا يجدون في المفردات المستعملة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً ، أو مجرد الرغبة في الإغراب أو في الترفع عن المفردات التي لا كتبها الألسنة كثيراً . وبكثرة الاستعمال بعثت هذه المفردات خلقاً جديداً ، وزال ما كان فيها من غرابة ، واندجحت في المتداول المألوف .

(١٧) بين العامية والفضحي

أو مشكلة اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث

يقصد بلغة الكتابة أو لغة الآداب اللغة التي تدون بها المؤلفات والصحف والمجلات وشئون القضاء والتشريع والإدارة ، ويدون بها الإنتاج الفكري على العموم ، ويؤلف بها الشعر والنثر الفني ، وتستخدم في الخطابة والتدريس والمحاضرات ، وفي تفاهم الخاصة بعضهم مع بعض وفي تفاهمهم مع العامة إذا كانوا بصددهم موضوع يمت بصلة إلى الآداب والعلوم .

سواء يقصد بلغة الحديث اللغة العامية التي نستخدمها في شؤوننا العادية، ويجري
بها حديثنا اليومي .
ووجه المشكلة أننا في الأمور الأولى نستخدم اللغة العربية في الصورة التي
كانت عليها في بلاد نجد والحجاز وقت أن نزل القرآن، وهي الصورة التي
اصطلحنا على تسميتها بالعربية الفصحى؛ على حين أننا في شؤوننا العادية نستخدم
اللغة العربية في الصورة التي انتهى إليها تطورها الطبيعي في لهجات المحادثة، وهي
الصورة التي اصطالحنا على تسميتها باللغة العامية . أو بعبارة أخرى أننا في الأمور
الأولى نستخدم العربية على الحالة التي كانت عليها في مرحلة قديمة من مراحل
حياتها، وفي الأمور الأخرى نستخدمها على الحالة التي وصلت إليها في الوقت
الحاضر في السنة الناطقين بها .
ولما كانت هاتان الحالتان أو هاتان اللغتان تختلف كل منهما عن الأخرى
اختلافاً يبنياً في كثير من مظاهر أصواتها ومفرداتها ودلالة ألفاظها وأساليبها
وقواعدها وتصريف مشتقاتها، فقد ترتب على ذلك أننا نستخدم في تعبيرنا
وتفاهمنا أداتين لغويتين تلجأ إلى إحداها في بعض شؤوننا وإلى الثانية في الشؤون
الأخرى . وازدواج كهذا يبدو في نظر بعض الناس بمظهر حالة شاذة لا يصح
السكوت عليها وينبغي تدبير وسيلة لعلاجها . هذا إلى أن إحدى هاتين الأداتين،
وهي العربية الفصحى، لا تنتقل من السلف إلى الخلف في سن الطفولة عن طريق
التقليد، كما تنتقل العامية، وإنما تتعلمها تعليماً في مراحل دراستنا كما تتعلم لغة
أجنبية تقريباً، وتقضى سنين طويلة في سبيل الإلمام بمفرداتها ومناهج أصواتها
وقواعدها وأساليبها، ولا يتاح لنا الانتفاع بها على الوجه الكامل إلا بعد أن
نجتاز معظم مراحل التعليم . واللغة، كما نعلم، وسيلة للتفاهم والثقافة والعلم، لا غاية
مقصودة لذاتها . واضطرارنا إلى قضاء هذا الوقت الطويل، وبذل هذه الجهود
الجبارة، في سبيل الإلمام بالوسيلة، يبدو في نظر بعض الناس إسرافاً كبيراً في
الوقت والمجهود، وحالة شاذة ينبغي أن تتصافر الجهود على علاجها .

وقد اتقسم الناس في تدبير حل لهذه المشكلة إلى فريقين يرمى كل منهما إلى توحيد لغة الكتابة ولغة الحديث .

أما أحدهما فيرى أن نسمو بلغة الحديث إلى لغة الكتابة ، فنعمل بمختلف الوسائل التعليمية وغيرها على أن يتكلم جميع الناس في البلاد العربية في جميع شئونهم بالعربية الفصحى ، أو نهذب على الأقل من لغتهم حتى تقرب من العربية الفصحى . وبذلك تتوحد لغة الكتابة ولغة الحديث أو تكادان ، وتقضى على مظاهر العنت والشذوذ الناجمة عن اختلافهما ، وتصبح العربية الفصحى لغة طبيعية تنتقل من السلف إلى الخلف عن طريق التقليد ، كما كان يأخذ الطفل القرشي في القرن السادس الميلادي اللغة الفصحى عن أبويه بطريق المحاكاة ، فلا يقضى الناشء في تعلم كتابتها والإحاطة بمفرداتها وأصالتها وإساعة قواعدها إلا وقتاً يسيراً يتفرغ من بعده للانتفاع بها في الإحاطة بمقائق العلوم وشئون الثقافة . فنوفر قسطاً كبيراً من الأوقات والجهود التي نبذلها الآن في تعلم اللغة الفصحى ، والتي لا يصح أن يبذل مثلها في أمر مهما بولغ في شأنه لا يعدو أنه وسيلة للثقافة والعلم لا غاية مقصودة لذاتها .

ويرى الفريق الآخر أن نهبط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث فنستخدم العامية في الشئون التي نستخدم فيها الآن العربية الفصحى ونقضي بذلك على هذا التعدد الشاذ في أداة التفاهم ، ونسير على الطريق نفسها التي تسير عليها الأمم المتحضرة الأوروبية ، ونذل أمام جمهور الشعب سبل التعلم والثقافة ، ونوفر على المعلمين قسطاً كبيراً من الأوقات والجهود التي يبذلونها في الإحاطة بلغة غير اللغة التي انتقلت إليهم من آبائهم في مراحل الطفولة .

ومن المنتصرين لهذا المذهب الأخير الكونت كرلودى لندبرج الإسوجي ، في تقريره الذي تلاه بمجمع اللغويين في مدينة ليدن سنة ١٨٨٣ ، واللورد دوفرين السياسي الإنجليزي في التقرير الذي رفعه إلى وزير خارجية إنجلترا بشأن لهجة

مصر العامية . ومن هؤلاء ، كذلك ولهم سبتابك الألماني أمين دارالكتب بالقاهرة سابقاً (توفي سنة ١٨٨٣) الذي مهد لتحقيق هذا المشروع باستنباط حروف أفرنجية تكتب بها لهجة مصر العامية وبتأليف كتاب ألماني في قواعد الصرف والاشتقاق التي تدير عليها هذه اللهجة .

وكلا الخليلين يتعذر تحقيقه أو ينطوي على أضرار بليغة .

* * *

١ - أما الهبوط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث واستخدام العامية في الشؤون التي نستخدم فيها الآن العربية الفصحى فهو حل ساذج هدام لا يكاد يستحق عناء المناقشة ، وهو لا يقوم في الواقع إلا على مجرد الرغبة الآتمة في القضاء على أهم دعامة من دعائم الثقافة في الأمم العربية .

فاللغة العامية التي يرى القائلون بهذا الحل استخدامها في الشؤون التي تستخدم فيها الآن العربية الفصحى لغة فقيرة كل الفقر في مفرداتها ، ولا يشتمل منها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي . وهي إلى ذلك مضطربة كل الاضطراب في قواعدها ، وأساليبها ، ومعاني ألفاظها ، وتحديد وظائف الكلمات في جملها ، وربط الألفاظ والجمل بعضها ببعض . وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقاً على التعبير عن المعاني الدقيقة ولا عن حقائق العلوم والآداب والإنتاج الفكري المنظم . ولا أدل على ذلك من أننا في حديثنا العادي نفسه كثيراً ما نضطر إلى استخدام العربية الفصحى عندما نكون بصدده التعبير عن حقائق منظمة وأفكار متسلسلة : لا نفعل ذلك للمباهاة أو إظهار القدرة على التعبير الفصيح ؛ وإنما نفعله مضطرين اضطراراً ؛ لأننا نرى أن العامية لا تسعفنا في مفرداتها ولا في قواعدها بما يضبط تفكيرنا وينقله نقلاً صحيحاً إلى الأذهان .

فإذا لم نجد أمامنا - لا قدر الله - إلا اللغة العامية نستخدمها في جميع شؤون تفكيرنا وتعبيرنا لتقطع بنا أسباب الثقافة ، ونكصنا إلى الوراء قروناً

عديدة ، وقضى على نشاطها الفكري قضاء مبرماً . لأن الفكر إذا لم تسعفه أداة
مواتية في التعبير خمدت جذوته ، وضعف شأنه ، وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه ،
على توافه البحوث وسفساف التأملات . فاللغة هي القالب الذي يصب فيه التفكير ؛
فكلما ضاق هذا القالب ، واضطرت أوضاعه ، ضاق نطاق الفكر واختل إنتاجه .
هذا إلى أن اصطناع العامية في الآداب والعلوم والكتابة من شأنه أن يحول ،
عاجلاً أو آجلاً ، بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربي المدون بالعربية
الفصحى ؛ إذ تصبح هذه اللغة غير مفهومة إلا لطائفة قليلة من خاصة الناس ،
وهم الذين يتوفرون على دراستها كما يتوفر بعض علماء الفرنجة الآن على دراسة
اللاتينية أو اليونانية القديمة . ولسنا في حاجة إلى بيان الكارثة التي تصيب الثقافة
العربية بصياغ هذا التراث وعدم استطاعة الانتفاع به لمعظم المتعلمين .
وفضلاً عن هذا كله فإن اللغة العامية في بلد ما غير ثابتة على حال واحدة ،
بل هي عرضة للتطور في أصواتها ومفرداتها ودلالاتها وقواعدها ، وتطورها هذا
سريع جداً ، حتى إننا لنجد في العصر الواحد فروقاً غير يسيرة بين عامية الشبان
وعامية الشيوخ . فإذا فرضنا أننا اصطنعنا في الكتابة اللغة العامية التي نستخدمها
في العصر الحاضر ، فإننا لا نلبث بعد وقت غير طويل أن نرى أنفسنا أمام
المشكلة نفسها التي التجأنا في حلها إلى هذه الوسيلة . وذلك أن لغة الحديث سوف
تتطور وسوف يناهها كثير من التغيير في أصواتها ودلالاتها وقواعدها وأساليبها ،
ولن تزال كذلك حتى تبعد بعداً كبيراً عن لغة الكتابة ؛ فنصبح وإذا بنا نكتب
بلغة . وتتخاطب بلغة أخرى . فإذا صبرنا على هذا الأزواج ذهب كل ما عملناه
في هذا السبيل أدراج الرياح . وإذا أخذنا على أنفسنا العمل على القضاء عليه كما
ظهر باستخدام الوسيلة نفسها التي استخدمناها في المرة الأولى ، كان معنى ذلك أننا
نضطر على رأس كل خمسين سنة أو كل قرن على أكثر تقدير إلى تغيير لغة
الكتابة بلغة أخرى . وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه القوضى في
شعب إنساني .

يضاف إلى هذا كله أن اللغة العامية تختلف باختلاف الشعوب العربية ،
وتختلف في الشعب الواحد باختلاف مناطقه . فعامية العراق لا يكاد يفهمها
المصريون أو المغاربة ، وعامية المصريين لا يكاد يفهمها العراقيون ولا المغاربة ،
وعامية المغاربة لا يكاد يفهمها العراقيون ولا المصريون . وفي البلد الواحد تختلف
اللهجات العامية باختلاف طوائف الناس و باختلاف المناطق ، فعامية المنيا غير عامية
جرجا . بل إن المديرية الواحدة لتشتمل على كثير من المناطق اللغوية التي تختلف
فيما بينها اختلافاً غير يسير . فالتضام على الأزواج لا يكون إذن إلا بأن تصطنع
كل منطقة ، بل كل مدينة ، بل كل قرية ، لغة كتابة تتفق مع لغة حديثها .
وبذلك يصبح في البلاد العربية آلاف من لغات الكتابة بمقدار ما فيها من
مناطق ومدن وقرى . ولا أظن عاقلاً ينصح بمثل هذه الفوضى . وإذا لجأنا إلى جعل
لغة الكتابة في العالم العربي كله ممثلة لهجة واحدة من اللهجات العامية الحاضرة ،
كلهجة القاهرة مثلاً ، فإننا بذلك لا نكون قد قضينا على الأزواج إلا في منطقة
واحدة من المناطق ، وهي المنطقة التي جعلنا لغة الكتابة متفقة مع لغة حديثها .
أما ما عداها من المناطق فستظل مشكلة الأزواج قائمة فيها ، وذلك أنها ستكتب
بلغة غير اللغة التي يجري بها حديث أهلها .

٢ — وأما الحل الثاني وهو الصعود بلهجة الحديث إلى العربية الفصحى
فهو أمنية غالية ومثل أعلى يحقق التوحيد في صورة لا تنطوي على أي ضرر من
الأضرار التي ينطوي عليها الحل الأول الذي فرغنا من مناقشته . غير أن هذه
الأمنية ، على ما بها من فضل وسمو ، يتعذر تحقيقها لسببين رئيسيين :

السبب الأول أن لغة المحادثة لا تفرض فرضاً ولا يمكن النكوص بها إلى
الوراء ولا رجعها إلى الحالة التي كانت عليها في أدوارها القديمة ، لأن من سنتها
التطور والتبدل ، ومن طبيعتها أن تختلف في كل عصر عن الحالة التي كانت عليها

في العصر السابق له ، ولأنها لا تسير في تطورها هذا وفقاً لإرادة الأفراد أو تبعاً للأهواء
والمصادفات ، وإنما تسير وفقاً لنواميس ثابتة صارمة لا يستطيع الأفراد سبيلاً إلى
تعويقها أو التغلب عليها أو تغيير مجراها ؛ نواميس لا تقل في ثباتها واطرادها
وعدم قابليتها للتخلف عن النواميس التي تخضع لها ظواهر الطبيعة . وقد حاول
بعض الأمم من قبلنا عمل شيء من هذا القبيل ، فباءت محاولاتهم بالإخفاق المبين .
والسبب الثاني أننا إذا فرضنا جدلاً أنه قد قدر لنا النجاح في هذه المحاولة
المستحيلة فجعلنا جميع الناس في البلاد العربية يتحدثون بالعربية الفصحى أو بما
يقرب منها ، فإن هذه اللغة المصطنعة لا تلبث بعد تداولها على الألسنة أن تخضع
لجميع القوانين التي تخضع لها اللغات الطبيعية . فإدام أفراد الأمم الناطقة بها
مختلفين في أصولهم الشعبية ، وفي التكوين الطبيعي لجسومهم وأعضاء نطقهم ،
وفي الظروف الجغرافية والطبيعية والاجتماعية المحيطة بهم ، وفي قوادم الإدراكية
والموجدانية ، وما دامت سنة الطبيعة تقتضي أن يختلف كل جيل عن الجيل السابق
له في جميع هذه الأمور ، فلا بد أن تختلف هذه اللغة في مفرداتها وأصواتها ودلالاتها
وقواعدها باختلاف العصور و باختلاف الشعوب الناطقة بها ، وأن تنقسم إلى
لهجات تختلف كل واحدة منها عما عداها ، وتتفرع منها لغات عامية ، وتتسع
الهوة بين لهجاتها قليلاً قليلاً حتى تنفصل كل لهجة منها عما عداها انفصالاً تاماً ؛
أي لا بد أن تسير في المراحل نفسها التي سارت فيها العربية الفصحى من القرن
السادس الميلادي إلى الوقت الحاضر ، وتنتهي إلى النتيجة نفسها التي انتهت إليها .
وهكذا لن يمضي زمن قصير أو طويل حتى تنبعث مرة أخرى المشكلة نفسها
التي حاولنا القضاء عليها ، وحتى نرى الناس يتحدثون بلهجات تبعد بعداً كبيراً
عن لغة الكتابة .

لبنان ... * * *
فما هي الطريقة المثلى إذن لحل هذه المشكلة ؟

الطريقة المثلى هي أن ندع الأمور تجري في مجاريها الطبيعية . فلغة قوانينها ،
وللظواهر الاجتماعية نواميسها التي تسير عليها ، ومن ضياع الوقت في غير جدوى
أن نحاول تغيير مجرى هذه القوانين أو صدها عن عملها ، إذ لا نستطيع إلى تغييرها
سبيلا ، ولن نجد لسننها تبديلا .
على أن اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث لا ينطوي على شيء من
الشدوذ حتى نتلمس علاجا له ، بل هو السنة الطبيعية في اللغات . فاللاتينية القديمة
كانت إلى عهد قريب لغة الكتابة في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال ورومانيا ،
بينما كان سكان كل مملكة من هذه الممالك يجزي حديثهم بلهجة عامية متشعبة
من اللاتينية القديمة ولكنها تختلف عنها اختلافاً جوهرياً في أصواتها ومفرداتها
ودلالاتها وقواعدها ؛ واختلافها عنها في هذه الشؤون قد بلغ في العصور الحديثة
مبلغاً لا يذكر بجانبه اختلاف لغاتنا العامية عن العربية الفصحى : حتى إن الفرنسي
مثلاً الذي لم يكن قد تعلم اللاتينية ما كان يستطيع أن يفهم شيئاً يعتد به من اللغة
التي كان يكتب بها الناس في بلده وهي اللاتينية . وقد ظلت اللاتينية القديمة لغة
كتابة حتى نضجت لهجات محادثتهم وأكمل نموها ، فاستطاعت أن تفصح اللاتينية
عن وظيفتها وتحتل مكانها . فأصبحت الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية
والرومانية ، التي كانت لهجات عامية تستخدم في المحادثة العادية فحسب ، أصبحت
لغات كتابة وآداب . وقد تم ذلك حوالي القرن السابع عشر الميلادي . ولكن
ظاهرة الأزواج القديمة لم تلبث أن انبعثت مرة أخرى . وذلك أن لهجات الحديث
في هذه الممالك ، التي كانت في المبدأ متفهمة مع لغات الكتابة فيها ، قد أخذت
تتطور شيئاً فشيئاً ، وتنحرف عن أصولها الأولى ، بينما ظلت لغة الكتابة جامدة
على حالتها القديمة أو ما يقرب منها . وبذلك أصبحت لهجات الحديث في هذه الممالك
تختلف اختلافاً غير يسير عن لغات الكتابة فيها . صحيح أن الفرق بينهما لم يصل
بعد إلى مقدار الفرق بين لهجات حديثنا والعربية الفصحى ، ولكن الهوة بينهما

سيزداد اتساعها شيئاً فشيئاً ، حتى تصل هذه الأمم إلى حالة شبيهة بالحالة التي كانت عليها وقت أن كانت لغة الكتابة فيها هي اللاتينية . ^١ فاختلاف لغة الكتابة عن لغة التخاطب ليس إذن أمراً شاذاً حتى نتلمس علاجاً له ، بل هو السنة الطبيعية في اللغات ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

(١٨) اللهجة المالطية

تكلمت مالطة في العصور القديمة وفتحها العصور الوسطى لغات كثيرة من أشهرها الفينيقية والبونية (القرطاجنية)^(١) . وهكذا شأن جميع البلاد الصغيرة المستضعفة التي ينتمى أهلها إلى عدة شعوب وتقع أرضها في طريق الغزاة والفاحين ، فتصبح دولة بينهم ، ويحول ذلك كله دون أن يكون لها كيان وطني مستقر ، أو قومية واضحة . فجميع البلاد التي من هذا القبيل لا تستقر على لغة واحدة ، بل تتغير في الغالب لهجتها مع تغير الدولة المسيطرة عليها ، وينال ألسنتها كثير من مظاهر التبلبل لكثرة ما ينتقل إليها من لهجات ، وما يعتور نطقها من أساليب . وأخر لغة انتقلت إلى مالطة كانت اللغة العربية متمثلة في لهجة من اللهجات العامية المغربية السائدة في شمال أفريقيا . غير أن هذه اللهجة قد أحيطت بظروف تختلف كل الاختلاف عن الظروف التي أحاطت بسائر اللهجات العربية الأخرى ؛ فسلكت في تطورها منهجاً يختلف كل الاختلاف عن منهج أخواتها . وذلك أن انعزالها عن العالم العربي وانتشارها في بلد مسيحي ، وكثرة احتكاكها باللغة الإيطالية المجاورة لها ، وخضوع مالطة لحكم الإنجليز ، وكثرة من يفد إليها ويمر بها من الأجانب ، وانتماء هؤلاء الأجانب إلى شعوب مختلفة وتكلمهم شتى اللغات . . . كل ذلك قد وسع من هوة الخلاف بينها وبين اللهجات العربية الأخرى ، فبعدت عنها بعداً كبيراً ، وفقدت كثيراً من مقوماتها ، وتأثرت

(١) انظر صفحات ٤٠ - ٤٣ .

بطائفة كبيرة من اللغات الأوروبية وخاصة الإيطالية والفرنسية والألمانية والإنجليزية ، وانتقلت إليها مجموعة كبيرة من مفردات هذه اللغات ، وامتزجت هذه العناصر الدخيلة بالعناصر الأصلية كل الامتزاج ، فتألف من مجموع ذلك كله مخلوق عجيب في عالم اللغات : حتى إن الكلمة الواحدة فيها لتتألف أحياناً من أصلين أحدهما عربي والآخر أعجمي (من ذلك مثلاً « ليبرانا » Liberana أى نجنا وخلصنا ، فهي مؤلفة من الفعل الفرنسي Libérer بمعنى حرراً أو خلص ، والضمير العربي لجماعة المتكلمين) . ويندر أن نعثر على مثل هذا الخلط في أية لغة أخرى من لغات العالم (١) .

ولا يزال اللسان المالطي ، على الرغم من هذا كله ، محتفظاً بكثير من خصائص اللهجات المغربية التي انشعب عنها . ومن أظهر ما بقي فيه من هذه الخصائص طريقة إمالة الألف المتوسطة في معظم الكلمات (فكلمة « باب » مثلاً ينطق بها في مالطة بإمالة الألف على طريقة اللهجات المغربية baibe) .

واللهجة المالطية هي اللهجة العامية العربية الفذة التي ارتفعت إلى مصاف لغات الكتابة . وقد تم لها ذلك في القرن التاسع عشر . فبعد ذلك العهد تطبع بها الكتب والصحف والمجلات وتدون بها الرسائل ، وبالجملة تستخدم في جميع الأغراض التي تستخدم فيها لغات الكتابة . وهي كذلك اللهجة العربية الفذة التي تدون بحروف لاتينية .

ولا تكاد تستخدم هذه اللهجة إلا في القرى ؛ أما في المدن المالطية فمعظم الحديث يجري فيها بالإيطالية أو الإنجليزية (٢) .

(١) يوجد لذلك نضائر في بعض اللغات الحبشية العامية التي اشتد تأثرها باللهجات الحامية والسودانية ؛ ومن هذه اللغات الأمهرية (انظر صفحتي ٩٠ ، ٩١) .
(٢) انظر في اللهجة المالطية : De Sacy : Grammaire Arabe; et Renan, Langues Sémétiques 413, 414.

(١٩) الرسم العربي : تاريخه ومراحله

اجتاز الرسم العربي خمس مراحل :

١ - فأقدم رسم وصلت إلينا اللغة العربية مدونة به كان مشتقاً من خط المسند ، كما تدل على ذلك آثار العربية البائدة التي تقدمت الإشارة إليها^(١) . ويرجح الباحثون أن القبائل المعينية التي أشرنا فيما سبق إلى نزوحها من اليمن إلى هذه المناطق الشمالية وتكوينها بها جاليات كبيرة^(٢) هي التي حملت إليها هذا النوع من الرسم .

وقد وصل إلينا من هذا الرسم ثلاثة أنواع متقاربة : أحدهما ممثل في النقوش اللحيانية ، وثانيها في النقوش الثمودية ، وثالثها في النقوش الصفوية . فأما الخط اللحياني فلا يكاد يختلف عن خط المسند الذي اشتق منه ، ويسير مستعرضاً من اليمين إلى الشمال . وأما الخط الثمودي ، فهو مشتق كذلك من خط المسند ، غير أنه أقل من الرسم اللحياني نظاماً ورواقاً ؛ أما اتجاهاته فغير ثابتة على حال واحدة ولكنه في الغالب يتجه من أعلى إلى أسفل . وأما الخط الصفوي فيشبه كثيراً الخط اللحياني ؛ غير أنه مختلف الاتجاهات : فتارة يقرأ من اليمين إلى الشمال ؛ وأخرى من الشمال إلى اليمين^(٣) . - وحروف الهجاء في جميع هذه الأنواع كانت ترسم متفرقة . وكانت لا ترمز إلا إلى الأصوات الساكنة في الكلمة ؛ أما أصوات المد ، سواء في ذلك الطويل منها والتصير . فقد أغفلت هذه الخطوط الثلاثة الرمز إليها إغفالا تاماً . هذا إلى أنها كانت مجردة من الإعجام (النقط) ؛ فكان بعض حروفها يستخدم للرمز إلى أكثر من صوت واحد ، بدون أن تتخذ أية علامة

(١) انظر ص ٩٧ وتوابعها .

(٢) انظر آخر صفحة ٧٣ وأول ٧٤ .

(٣) انظر صفحة ٩٨ .

لتمييز الأصوات التي يرمز إليها بعضها من بعض كما يتخذ الرسم العربي في العصر الحاضر طريقة الإعجام للتمييز بين الحروف المتحددة الصورة والمختلفة النطق كالباء والتاء والثاء والنون والياء .

٢ — ثم أخذ الرسم النبطي — وهو نوع من أنواع الرسم الآرامي كما تقدمت الإشارة إلى ذلك^(١) . يتغلب في تدوين اللغة العربية على هذا الرسم القديم ، وينتقص من مناطق نفوذه ومواطن استخدامه شيئاً فشيئاً حتى قضى عليه . وذلك لأن الرسم النبطي كان يمثل حضارة من أرق الحضارات السامية في ذلك العهد وأوسعها نفوذاً وهي حضارة الآراميين . وأقدم أثر عربي وصل إلينا بعد هذا التطور هو نقش النمارة الذي تقدمت الإشارة إليه في الفقرة الثالثة من هذا الفصل^(٢) . فهو مدون بالرسم النبطي في أشكاله الحديثة التي تتصل فيها الحروف بعضها ببعض . ويتفق هذا الرسم مع الخطوط اللحيانية والصفوية والثمودية في اقتصاره على الرمز إلى الأصوات الساكنة في الكلمة وفي خلوه من الإعجام .

٣ — ثم ظهر في كتابة اللغة العربية نوع ثالث من الرسم مشتق من الرسم النبطي السابق وممثل للرسم العربي الحاضر في أقدم أدواره . وبهذا النوع من الرسم دون نقشاً زبد وحواران اللذان تقدمت الإشارة إليهما في الفقرة الثالثة من هذا الفصل^(٣) . وتقرب صورة الحروف في هذا الرسم من صورة الحروف التي نستخدمها الآن لدرجة لا يجد معها من يعرف الرسم العربي الحاضر كبير صعوبة في قراءة كلماته . ويرجح كثير من العلماء أن هذا النوع قد اجتاز مراحل كثيرة قبل أن يستقل هذا الاستقلال عن الخط النبطي وقبل أن تكمل له هذه الصورة . غير أنه لم يعثر بعد على آثار تمثل هذه المراحل .

ويتفق هذا الرسم مع النوعين السابقين في اقتصاره على الرمز إلى الأصوات

(١) انظر آخر صفحة ٦٢ وأول ٦٣ .

(٢) انظر صفحتي ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) انظر صفحات ١٠٢ — ١٠٤ .

الساكنة في الكلمة وفي تجرده من الإعجام . ويظهر أنه لم يكن ليستخدم إلا في النقوش الأثرية وما إليها .

٤ — ثم تأثر الرسم العربي بالرسم السرياني ، ودخلت فيه إصلاحات كثيرة منذ القرن السابع الميلادي . فتحول إلى خط سريع تدون به المكاتبات العادية لا النقوش وحدها كما كان شأن الرسم السابق . ودخل فيه نظام الإعجام للرمز إلى أصوات لا نظير لها في اللغات السامية الشمالية التي نشأ فيها الخط السامي القديم (ثذض ظغ) وللتمييز بين الحروف المتحددة الصورة والمختلفة النطق (بت نى ، ج ح خ ، رز ، س ش ... الخ) ولكنه ظل طوال هذه المرحلة مقتصرأ على الرمز إلى الأصوات الساكنة ومجرداً من علامة للتمييز بين الحرف المشدد والمختلف .

٥ — ثم أدخل في الرسم العربي نظام الرمز إلى أصوات المد الطويلة ، واستخدم في ذلك ثلاثة أحرف وضعت في الأصل للرمز إلى ثلاثة أصوات وسط بين أصوات المد والأصوات الساكنة ؛ وهي الهمزة والياء والواو . فأصبحت هذه الحروف مزدوجة الاستخدام : ترمز أحياناً إلى ما وضعت في الأصل للرمز إليه (أ كتب ، يكتب ، وعد) ، وأحياناً إلى أصوات المد الطويلة (كاتب ، دليل ، ملوك) . وأدخل فيه كذلك نظام الحركات ، وهي علامات تشير إلى تشديد الحرف وإلى تحركه بصوت مد قصير أو خلوه من الحركة . وقد استخدم في ذلك طريقتان . إحداهما تشبه الطريقة السريانية النسطورية ، فنستخدم النقط للرمز إلى هذه الأمور ؛ وهذه الطريقة لم يتح لها الانتشار ولا البقاء أمداً طويلاً . وثانيتهما ظهرت حوالي القرن الثامن من الميلاد وشاع استخدامها وسار العمل عليها إلى وقتنا الحاضر . وهي تشبه الطريقة السريانية يعقوبية ، فترمز إلى هذه الأمور بحروف أو أجزاء من حروف يرسم بعضها فوق الحرف وبعضها تحته (فالفتحة ألف ترسم مستعرضة فوق الحرف ، والكسرة ياء راجعة ترسم تحته ،

والضمة واو. ترسم فوقه ، والسكون هاء ترسم فوقه كذلك ؛ والشدة هي الجزء الأول من السين أو الشين ، يرسم فوق الحرف للإشارة إلى أنه يرمز إلى صوتين متحدين أولهما ساكن . وينسب مؤرخو العرب اختراع هذه الطريقة الأخيرة إلى أبي الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ الموافقة لسنة ٦٨٨ ميلادية . ومهما يكن من مبلغ الصحة في هذه النسبة ، فمن المقطوع به أن معظم هذه الإصلاحات قد دخل الرسم العربي في القرن الأول للهجرة . (١) غير أنه يظهر أن إصلاحات هذه المرحلة وإصلاحات المرحلة السابقة لم تكن قد اكتملت بعد في العهد الذي رسم فيه المصحف العثماني ، أو لم يكن استخدامها قد انتشر حينئذ كل الانتشار ، أو لم يكن الصحابة ممن رسموا المصحف على علم تام بها^(١) ، أو أنهم قد تخرجوا من إدخالها في رسم القرآن : فجاءت المصاحف العثمانية مجردة من الإيجام والشكل ؛ ورسمت فيها حروف كثيرة بصورة مضطربة خاطئة ، كزيادة الياء في « بأبيد » ، والألف في « لا أذبحنه » و « لا أوضعوا خلالكم » ، والواو في « جزاؤ الظالمين » ؛ وحذفت منها الألف في كثير من الكلمات (الرحمن ، السموات ، يُقتلونكم ، للكافرين ، ميثقكم ، بالظلمين ، استطعوا ، وهاجروا وجهدوا ، ومنفع للناس ، اليتيم ، قنتين ... الخ) ؛ ورسم فيها بعض التاءات المربوطة مفتوحة (نعمت الله ... الخ) ؛ واستبدلت فيها حروف بحروف أخرى (والله يقبض و يبسط وإليه ترجعون)^(٢) .

(١) وإلى هذا يميل ابن خلدون إذ يقول : « فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع . وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف ، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الإجادة ، بخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته صناعة الخط عند أهلها ، ثم اقتنى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسم أصحاب الرسول . . . » (مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٠ « علوم القرآن من التفسير والقراءات ») .

(٢) لكثرة ما يختلف فيه المصحف العثماني عن الرسم العادي ، وللحرص على حصر مواطن هذا الخلاف والإبقاء عليها تبركا بما رسم الصحابة ، ألف العلماء في ذلك مولفات كثيرة من أشهرها كتاب المنع لأبي عمرو الداني من علماء المغرب (انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٠ « علوم القرآن من التفسير والقراءات ») .

ولم يدخل الإعجام والشكل في رسم المصاحف إلا في عصر متأخر ، بعد أن كثرت الأخطاء وشعر الناس بشدة الحاجة إلى الضبط . وكانوا في المبدأ يتخرجون من زيادة شيء على أحرف القرآن حسب ما وردت في المصحف العثماني . ولذلك كانوا يدونون الأصل بلون من المداد ، والحركات وما إليها بلون آخر . ولكنهم لم يجدوا بأساً من رسم النقط التي تميز الحروف المتحددة الصورة (ب ت ث ... الخ) بالمداد نفسه الذي تكتب به الحروف ؛ لأن هذه النقط لم تكن معتبرة زائدة عن الأصل ، بل مجرد علامات مميزة له . وفيما عدا الإعجام والشكل ، ظلت المصاحف إلى يومنا هذا محافظة على ما ورد في رسم المصحف العثماني تبركا به (١) .

وأقدم أثر إسلامي منقوش وصل إلينا متضمناً بعض مظاهر من الإصلاحات التي أدخلت على الرسم العربي في المرحلتين الأخيرتين هو حجر كشف في مصر ومحفوظ الآن بدار الآثار العربية . وتدل عبارته على أنه كان نصباً على قبر رجل يدعى عبد الرحمن بن خير أو جبر أو جابر أو جبير الحجري أو الحجازي . ويرجع تاريخه إلى سنة ٣١ للهجرة . فمن المحتمل إذن أن يكون القبر لجندي من جنود عمرو بن العاص أو لعربي من المهاجرين الأولين إلى مصر من مسلمي العرب . وفيما يلي نص هذا النقش (٢) :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر

(١) وكان العرب حين ظهور الإسلام يكتبون على الأديم الأحمر وعسب النخل والعظام والحرف والحجر الأبيض والخشب . ثم استخدم الرق حينما اشتدت الحاجة إلى نقل المصاحف . وبعد اتصال العرب بأهل سورية استعمالوا القرطاس الشامي الذي كان من أهم مواد الكتابة في العصر العباسي . وفي نهاية القرن الثاني للهجرة شاع استعمال الورق في أشكاله القديمة . أما استعمال الورق الغربي فلم ينتشر في الشرق إلا في نهاية القرون الوسطى . (٢) نقلنا هذه الصورة عن كتاب الدكتور ولفسن « تاريخ اللغات السامية » بعد ملاحظتها بالأصل ، وإصلاح ما ورد فيها من خطأ ، ومع ملاحظة تعقيبات الأستاذ ليمان المدونة بصفحة ٢٧٩ من هذا الكتاب . ولم نزد على أصل النقش إلا إعجام الحروف التي وردت مهملة فيه .

- ٢ — لعبد الرحمن (١) بن خير (٢) الحجري (٣) اللهم اغفر له
- ٣ — وأدخله في رحمة منك واتنا معه
- ٤ — استغفر له إذا قرأ هذا الكتاب
- ٥ — وقل امين وكتب هذا
- ٦ — لكتب (الكتاب) في جمدي (جمادى) الا
- ٧ — خر (الأخرة) من سنت (سنة) احدى و
- ٨ — ثلثين (وثلاثين) .

هذا ، ويستخدم الرسم العربي في العصر الحاضر عند جميع الأمم الناطقة بالعربية ، ما عدا أهل مالطة فلهجتهم ترسم بحروف لاتينية كما تقدم بيان ذلك^(٤) . وقد استخدم الرسم العربي كذلك في تدوين لغات أخرى غير العربية : كالفارسية والتركية (قبل التغيير الأخير) ولغة مدغشقر وزنجبار وبعض اللغات الهندية . واستخدم الرسم العربي كذلك في تدوين اللغة الإسبانية عند بعض الطوائف

(١) ورد مكان هذا الاسم بكتاب الدكتور ولفنسن اسم « عبدالله » وتكرر هذا مرتين : مع أن كلمة « عبد الرحمن » واضحة في النقش كل الوضوح .

(٢) وردت هذه الكلمة وكلمات أخرى كثيرة في هذا النقش مجردة من الإعجام والرمز إلى أصوات المد الطويلة ؛ ولذلك قرئت على أوجه كثيرة . فالأستاذ فييت مدير دار الآثار العربية بمصر قرأها « خير » بفتح الحاء وتمديد الياء المكسورة ؛ ويرى الأستاذ ولفنسن أنه يمكن قراءتها « جبر » بفتح الجيم وسكون الباء ؛ ويرى الأستاذ ليمان أنه يمكن قراءتها « جابر » أو « جبار » أو « جبير » . وعقب على ذلك ليمان بما نصه : « وهذا النقش الخطير يستحق أن يبحث عن صاحبه . وكنت قد عثرت على اسم شخص معاصر لعمر بن العاص هو عبد الرحمن بن جبير في كتاب فتوح مصر لعبد الحكم . فليس بعيداً أن يكون هو صاحب هذا النقش . — انظر ص ٢٧٩ من كتاب ولفنسن « تاريخ اللغات السامية » .

(٣) قرأ الأستاذ فييت هذه الكلمة « الحجري » . ويرجح الدكتور ولفنسن أنها « الحجازي » . والسبب في هذا الخلاف هو تجرد الكلمة في النقش من الإعجام ومن الإشارة إلى أصوات المد الطويلة .

(٤) انظر آخر صفحة ١٧١ .

التي امتزج بدمائها الدم العربي أو انحدرت من سلالات عربية . ويطلقون على هذا الرسم اسم « الجاميا » أو « الجاميادو » ^(١) algamia, algamiado . وقد دونت بعض مؤلفات عربية برسم غير عربي : فدونت بعض مؤلفات اليهود العربية برسم عبري ؛ وبعض الكتب العربية القديمة برسم سرياني اشتهر باسم الهارسوني ^(٢) harsuni .

(٢٠) عيوب الرسم العربي ووجوه إصلاحه

١ - عيوب الرسم العربي :

ترجع أهم عيوب الرسم العربي إلى أمور ثلاثة :
(أحدها) أن الكلمات تدون غالباً بحسب هذا الرسم في الكتابة والطبع عارية عن حركات حروفها ، أي مجردة من الإشارة إلى أصوات المد القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) التي تلحق الأصوات المقطعية في الكلمة . وهذا النقص مشترك بين معظم أنواع الرسم السامي كما تقدم بيان ذلك . ويرجع سببه إلى أمور تتعلق بأصول الكلمات في اللغات السامية . وذلك أن للأصوات المقطعية (ونعني بها ما عدا أصوات المد) في اللغات السامية ، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق ^(٣) ، أهمية تزيد كثيراً على أهمية أصوات المد . فالعنى الأساسي للكلمة يشار إليه في هذه اللغات بالأصوات المقطعية ؛ أما أصوات المد فلا تعدو وظيفتها تحديد هذا المعنى الأساسي وتوجيهه وجهاً خاصة . فالعنى العام للعلم مثلاً تدل عليه في اللغة العربية ثلاثة أحرف مقطعية وهي العين واللام والميم ؛ أما أصوات المد الطويلة (الألف والياء والواو) والقصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) التي تلحق

(١) V. Langues du Monde p. 117.

(٢) V. Langues du Monde p. 112.

(٣) انظر صفحة ٢٠ .

جميع هذه الأصوات المقطعية أو تلحق بعضها فلا تعدو وظيفتها تحديد المعنى العام للعلم ببيان نوعه أو زمنه أو ناحية اشتقاقه أو علاقته بما عداه من عناصر الجملة... وما إلى ذلك. — هذا إلى أن الأصوات المقطعية تنال في اللغات السامية أكبر قسط من عناية المتكلم والسامع وهي لذلك أوضح في الجرس من أصوات المد وأظهر منها في السمع. ولذلك وجه الرسم السامى معظم عنايته إلى إظهار هذا النوع من الأصوات. فالأشكال القديمة للرسم السامى كانت تقتصر على هذه الأصوات وتتغفل الإشارة إلى جميع أصوات المد سواء في ذلك الطويل منها والقصير. والرسم العربى الحديث يشير إلى أصوات المد الطويلة بحروف الألف والياء والواو، ولكنه يغفل الرمز إلى أصوات المد القصيرة، أو يشير إليها بحركات ترسم فوق الحروف أو تحتها. ولا تكاد تدون هذه الحركات في العصر الحاضر إلا في الكتب الأولية التي تستخدم في تعليم النشء مبادئ القراءة والكتابة. أما فيما عدا ذلك فقد جرت العادة أن تدون الكلمات في الكتابة والطبع عارية عن الشكل. ومهما يكن من شيء بصدد الأسباب التي أدت إلى هذا العيب، فقد ترتب عليه في الوقت الحاضر أضرار كثيرة أهمها ما يلي:

١ — أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصاً عربياً قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلاً صحيحاً إلا إذا كان ملماً بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها إنمافاً تاماً، وكان فاهماً من قبل معنى ما يقرؤه. ففي معظم اللغات الأوروبية، كما يقول قاسم أمين، يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم، وتتخذ القراءة وسيلة للفهم، أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا أولاً ما نريد قراءته.

٢ — أن النص العربى الواحد عرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن اللغة الفصحى. وذلك لأنه قد حدث تناوب واسع النطاق في أصوات المد القصيرة في اللهجات العامية، حتى أننا لا نكاد نجد كلمة باقية في هذه اللهجات على وزنها

العربي الصحيح^(١). فالنص العربي المجرد من الشكل عرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهجهم في وزن الكلمات .

٣ — أنه من المتعذر في هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام (أسماء الأمكنة والبلاد والجبال والبحار والأناسى ... الخ) قراءة صحيحة إلا إذا كان القارئ يحفظ الكلمة وضبطها من قبل . ولذلك تضطر بعض المعجمات إلى تهجئ حروف الكلمات التي من هذا القبيل والنص على حركة كل حرف منها . فيقول مثلاً : « صفين » بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء الموحدة بالكسر .

٤ — أن رسماً كهذا من شأنه أن يشيع اللحن ، ويعمل على انحلال العربية الفصحى ، ويحول دون تثبيت ملكتها في النفوس ، ويحمل على الاستهانة بقواعدها ، ويصرف كثيراً من خاصة الناس أنفسهم عن الإلمام بضوابطها النحوية والصرفية ، لأن في استطاعتهم بفضل هذا الرسم المعيب ، أن يكتبوا ويؤلفوا ، بدون أن يكونوا ملهمين بأصول هذه اللغة ، ولا مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر في كتاباتهم أي أثر لقصورهم هذا .

(وثانيها) أن للحرف الواحد بحسب هذا الرسم صوراً مختلفة : فله صورة إذا كان مفرداً ، وأخرى إذا كان متصلاً بغيره ؛ وله صورة إذا كان في أول الكلمة ، وأخرى إذا كان في وسطها ، وثالثة إذا كان في آخرها . وقد ترتب على ذلك أضرار كثيرة من أهمها ما يلي :

١ — أن تعدد هذه الصور من شأنه أن يحدث الارتباك والحيرة عند المبتدئين من المتعلمين ويطيل زمن تعلمهم للكتابة .

٢ — أنه يكلف المطابع نفقات باهظة في الحصول على عدة نماذج لكل حرف من حروف الهجاء .

٣ — أنه يخلق صعوبات في الطبع ؛ ويرهق العمال القائمين على صف

(١) انظر صفحتي ١٥١ ، ١٥٢ .

الحروف من أمرهم عسرا ، إذ يتردد الواحد منهم بين أكثر من ثلاثمائة صندوق مختلفة في صور ما تشتمل عليه من نماذج ، فضلا عن صناديق الشكل وعلامات الترقيم ؛ بينما لا يتردد العامل القائم على صف الحروف الإفرنجية إلا على نحو مائة صندوق .
٤ - أن كثرة الصناديق وتعدد الصور للحرف الواحد ، كل ذلك يجعل عمل هؤلاء العمال عرضة للزلل . ومن أجل هذا تكثر الأخطاء المطبعية في الكتب العربية ؛ بينما تندر جداً في الكتب الأفرنجية . مع أن جامعي الكتب الأولى ومصلحي تجارها يبذلون من الجهد في الجمع والإصلاح أضعاف ما يبذله زملاؤهم في الكتب الثانية .

(وثالثها) أن رموز هذا الرسم تنقسم إلى طوائف تشتمل كل طائفة منها على حروف متحدة في صورتها ، ولا يمتاز بعضها عن بعض إلا بالإعجام والإهمال أو بعدد النقط (ب ت ث ن ي ، ج ح خ ، د ذ ، ر ز .. الخ) .
وقد ترتب على ذلك أضرار كثيرة من أهمها ما يلي :

١ - أن رسم الكلمة العربية يقتضى الكاتب بعد الفراغ من كتابتها أو في أثناءها أن يضع ما يجب وضعه من نقط فوق معظم حروفها أو تحتها . وفي هذا إسراف في المجهود وإكثار في العمليات التي يقوم بها القلم وفي نوعها .

٢ - أن القلم كثيراً ما ينزل في تدوين هذه النقط ، فيغفل بعضها ، أو ينقص من عددها أو يزيده ، أو ينحرف بها عن مواضعها وخاصة في الرسم السريع ؛ فتصبح الكلمة عرضة لأن تقرأ على وجوه متعددة ، ويقع القارئ في الحيرة ، أو يضطر في تمييز هذه الحروف المتشابهة بعضها من بعض إلى الاعتماد على فراسته وفهمه لسياق الكلام .

٣ - إن كثرة الحروف المنقوطة وخروج النقط عن هيكل الكلمة ، كل ذلك يجهد القارئ ويوقع نظره في الارتباك . فيقرأ الكلمة على غير وجهها ، حتى مع صحة كتابتها ورسم نقطها في مواضعها . ولا تقاء ذلك تضطر بعض الكتب

والمعجمات إلى النص على نوع الحروف التي يخشى فيها اللبس ، فتقول مثلاً « حمل »
بالجيم المعجمة التحتية ، و « حمل » بالحاء المهملة ، و « بيت » بالباء الموحدة التحتية
فالياء المثناة التحتية ، فالتاء المثناة الفوقية .

* * *

ولا يكاد يخلو من مثل هذه العيوب ، بل مما هو أشد منها ، أي نوع من أنواع
الرسم . فاللبس الذي يحدثه أحياناً الرسم العربي ليس شيئاً مذكوراً بجانب اللبس الذي
يحدثه الرسم الإنجليزي مثلاً ، وخاصة في النطق بأصوات المد a, e, i, o, u : Vowels
ie, io, ei, oi, ea, ee ... etc . فكثيراً ما يختلف النطق بالصوت
الواحد من هذا النوع وغيره تبعاً لاختلاف الكلمات التي يرد فيها . حتى إنه
لا يستطيع قراءة معظم الكلمات الإنجليزية قراءة صحيحة بمجرد النظر إلى حروفها ؛
بل لا بد في ذلك أن يكون القارئ قد عرف نطق الكلمة من قبل عن طريق
سماعها من إنجليزي ؛ كما أنه لا يستطيع كتابتها كتابة صحيحة بمجرد سماعها بل
لا بد في ذلك أن يكون قد حفظ حروفها من قبل عن ظهر قلب . وإذا كان
الأوروبيون يقرءون قراءة صحيحة ، فليس سبب ذلك راجعاً إلى أن رسمهم يعبر
تعبيراً دقيقاً عن أصوات الكلمة ؛ وإنما هو راجع إلى أن لغة كتابتهم لا تكاد
تختلف عن لغة حديثهم ؛ فيكفي أن يُرمز للكلمة على أية صورة لينطق بها
الواحد منهم على وجهها الصحيح .

* * *

ولسكن وجود هذه العيوب أو ما يشبهها في الرسم الأوروبي أو غيره لا يبرر
إغفال علاجها في الرسم العربي . وخاصة لأن اتقاق لغة الحديث مع لغة الكتابة
عند الأوربيين يخفف كثيراً من آثار هذه العيوب في رسمهم ، على حين أنها
تنطوي على أضرار بليغة في الرسم العربي في العصر الحاضر الذي انحرفت فيه
اللهجات العامية أو لهجات الحديث انحرافاً كبيراً عن اللغة الفصحى التي
تستخدمها في الكتابة .

٠٢- ما اقترحه الباحثون من قبل لإصلاح الرسم العربي :

هذا ، وقد قدمت عدة اقتراحات لسد مواطن النقص السابق ذكرها . وترجع هذه الاقتراحات إلى قسمين رئيسيين : يكتب أصحاب القسم الأول منها بإصلاحات شكلية لا تمس جوهر اللغة ولا صورة الرسم الحاضر ؛ ويرى أصحاب القسم الثاني إلى إدخال تغيير جوهري في اللغة نفسها أو في صورة رسمها .

أما اقتراحات القسم الأول فمن أهمها ما يلي :

١ - أن يلتزم شكل الكلمة التي من شأنها أن تثير اللبس عند أوساط المتعلمين إذا تركت من غير شكل . أما الكلمات التي يدل السياق على شكلها . أو يكفي المام بمبادئ القواعد العربية للنطق بها على وجهها الصحيح ، أو لا يمكن أن ينطق بها في صورة أخرى ، فمن العبث الالتجاء فيها إلى الشكل . وغنى عن البيان أن هذا الاقتراح لا يقضى إلا على قليل من عيوب الرسم العربي ، ولا يبقى إلا من بعض الأضرار التي أشرنا إليها آنفاً ، ولا تكاد تظهر ثمرته إلا لدى الملمين بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها .

٢ - أن يلتزم شكل جميع الحروف في المطبوع والمكتوب . فتوضع فوق كل حرف أو تحته الحركة التي تدل على صوت المد القصير الذي يلحقه ؛ كما يتبع ذلك في تعليم النشء مبادئ القراءة والكتابة .

وهذا الاقتراح لا يعالج إلا ناحية واحدة من نواحي المشكلة ، وهي الناحية المتعلقة بالرمز إلى أصوات المد القصيرة ، ويغفل ما عداها إغفالا تاماً . هذا إلى أنه يعالج هذه الناحية في صورة تنطوي على كثير من الإسراف في نفقات المطابع والورق وجهود القائمين على شؤون الطبع ، وترهق الكاتب والقارئ من أمرها عسراً . وفضلاً عن هذا كله فإن رسم الشكل فوق الحرف أو تحته مع اتصال

الحروف بعضها ببعض وضيق الحيز الذي يشغله كل حرف منها ، يجعل هذا الشكل عرضة للانحراف ، فيحدث الارتباك ، ويوقع في الخطأ والخيرة . على أن التجارب قد دلت على أن القلم كثيراً ما يزل في تدوين هذه العلامات الخارجة عن هيكل الكلمة وأن النظر كثيراً ما يتخطاها عند القراءة ؛ فلا شك أن تؤدي الغرض المقصود منها .

٣ — واقترح بعضهم ادخال الشكل في بنية الكلمة حتى لا يتخطاه نظر القارئ . وذلك بأن تختار حروف للرمز إلى أصوات المد القصيرة (التي يرمز إليها الآن بالفتحة والكسرة والضمة) وتدون هذه الحروف في صلب الكلمة في مواضعها . فلتدوين كلمة (كتب) مثلاً يرسم بعد كل من الكاف والتاء والباء الحرف الذي سيختار للإشارة إلى ما تشير إليه الفتحة في رسمنا الحاضر . وهذا هو المنهج الذي يسير عليه الرسم الأوربي Kataba . وينتصر لهذا الاقتراح عدد كبير من الباحثين على رأسهم أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد باشا^(١) .

وهذه الطريقة لا تعالج كذلك إلا ناحية واحدة من نواحي المشكلة وهي الناحية المتعلقة بالرمز إلى أصوات المد القصيرة ، وتغفل ما عداها إغفالا تاماً . هذا إلى أنها تخلق لنا رسماً يختلف في كثير من الوجوه عن رسمنا الحالي . فتقطع بذلك الصلة بين ماضينا وحاضرنا . ومن ثم توجه إليها معظم المآخذ التي سنوجهها إلى المقترحات التالية .

(١) نشر هنا الرأي في مجلة الموسوعات سنة ١٨٩٨ ، ثم عاد فأشار إليه في مجلة الشؤون الاجتماعية بعدد فبراير سنة ١٩٤١ . غير أنه عقب عليه في صفحة ١١ من هذه المجلة الأخيرة بما نصه : « ولست متمسكا بالطريقة التي اقترحتها منذ زمان بعيد . ولكنني راض بأية طريقة تؤدي إلى الغاية التي ننشدها من توحيد لغة الكتابة ولغة الكلام في الجملة ليسهل تعليمها من ناحية ولوجود حد مشترك من اللغة بين المتعلمين وغير المتعلمين » . غير أنه يظهر لنا أن هذه الغاية التي يبغيها معالي أستاذنا لا يكاد يتحقق شيء منها بما تضمنه اقتراحه من إدخال الشكل في رسم الكلمة ؛ وذلك أن الفائدة التي يحققها هذا الإصلاح لا تكاد تعدو تسهيل القراءة واثقاء الخطأ في ضبط الكلمة حسب وزنها في اللغة الفصحى .

وأما اقتراحات القسم الثاني . وهي التي ترمى إلى إدخال تغيير جوهري في اللغة نفسها أو في صورة رسمها ، فيرجع أهمها إلى ما يلي :

١ — أن تستبدل الحروف اللاتينية ومناهج الرسم اللاتيني (التي ترمز إلى أصوات المد القصيرة بحروف تدون في صلب الكلمة) بالحروف العربية ومناهج الرسم العربي . وعلى رأس القائلين بهذا الاقتراح في الوقت الحاضر معالي الأستاذ العلامة عبد العزيز فهمي باشا . وقد نشر بشأنه منذ عهد قريب كتاباً قيماً عنوانه : « الحروف اللاتينية للرسم العربي » .

ولا شك أن تطبيق هذا الاقتراح — بعد تنقيح في بعض التفاصيل التي ذهب إليها القائلون به — كفيل بالقضاء على جميع عيوب الرسم العربي واتقاء أضرارها السابق ذكرها .

غير أنه ينطوي على ضرر آخر بليغ . وذلك أن من شأنه أن يحول ، عاجلاً أو آجلاً ، بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربي المدون برسمنا الحاضر . حقاً إنه يمكن اتقاء ذلك بالالتجاء إلى إحدى محاولتين ؛ ولكن كليهما توقع في صعوبة تزيد كثيراً على الصعوبة التي نعمل على إزالتها . أما إحداها فإن يتعلم كل فرد نوعين من الرسم العربي : الرسم القديم الذي يتيح له الانتفاع بنتائج الفكر العربي من النشأة إلى العصر الحاضر ؛ والرسم الحديث الذي يقرأ به ما يدون بعد هذا الإصلاح ويستخدمه في كتابته . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الارتباك ، وإطالة الزمن الذي تعلم فيه القراءة والكتابة ، وانفرادنا من بين سائر الأمم بأعجوبة في ميادين الرسم والتعليم . وأما الأخرى فإن يعتمد إلى جميع ما كتب أو طبع بالرسم العربي في مختلف أنحاء العالم فيعاد تدوينه أو طبعه وفق هذا الرسم الحديث . ولا يخفى أن مشروعاً هذا شأنه تنوء به الجهود الإنسانية وتعجز الخزائن عن تمويله .

٢ — واقترح آخرون أن يكون لكل حرف من حروف الهجاء العربي

أربع صور مختلفة : صورة في حالة تحركه بالفتح ؛ وأخرى في حالة تحركه بالكسر ؛
وثالثة في حالة تحركه بالضم ؛ ورابعة في حالة تسكينه . وهذا في مجمله هو المنهج
الذي يسير عليه الرسم الحبشي .

وتفضل هذه الطريقة الطريقة السابقة بأنها تحقق الغرض المنشود مع إبقاء
عدد حروف الكلمة على ما هي عليه ؛ فتوفر بذلك قسطاً كبيراً من الوقت والجهد
والنفقات المادية في الورق وأجور العمال ... وما إلى ذلك من الأمور التي تقتضيها
الطريقة السابقة . فكلمة « كتب » مثلا ترسم ثلاثة أحرف حسب هذه
الطريقة ؛ على حين أنها ترسم ستة حسب الطريقة السابقة .

ولكنها تشتمل على الضرر البليغ نفسه الذي أشرنا إليه في تقدنا للاقتراح
السابق ، وهو قطع الصلة بين الماضي والحاضر ، وتعويق الأجيال القادمة عن
الانتفاع بالتراث العربي المدون بالرسم الحالي . هذا إلى أن عدد حروف الهجاء
يصبح بحسب هذه الطريقة أربعة أضعاف عددها الحاضر . ولا يخفى أن ذلك
يكلف المطابع نفقات باهظة ، ويرهق العمال القائمين على صف الحروف ،
ويجعل عملهم عرضة للزلل ، ويشيع الأخطاء المطبعية ، ويحدث الارتباك والخيرة
عند المبتدئين من المتعلمين ، ويطيل زمن تعلمهم للهجاء .

٣ — واقترح بعضهم إلغاء الأعراب وإلزام السكون أو آخر الكلمات ،
حتى تضيق مسافة الخلف بين رسم الكلمة ونطقها في اللهجات العامية المستخدمة
في المحادثة ، فتسهل على الناس القراءة ، ويتخلص الرسم من بعض عيوبه .
وقد كفانا أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد باشا مؤونة الرد على هذا الاقتراح بما
عقب به عليه في مجلة الشؤون الاجتماعية إذ يقول : « وهذا الرأي مطعون فيه
من وجهين : أما الأول فإنه لا يحل من المسألة إلا بعضها دون البعض الآخر ،
لأن ضبط حركات الحروف ليس ضرورياً في الإعراب فحسب ، بل هو أشد
ضرورة في بنية الكلمة . وهذا الضبط من جوهر اللغة ، فإذا أهملنا الشكل ولم

نأت بطريقة تقوم مقامه ظل الناس يلفظون الكلمات على غير وجهها الصحيح كما هم الآن يفعلون . وأما الوجه الثاني فإن في هذا الرأي إهداراً لصورة اللغة العربية وقضاء على أهم مميزاتها ، وذلك مالا نظن أحد يرضاه متى أمكن تسهيل اللغة وشيوعها من غير الالتجاء إلى العبث بسلامتها ومميزاتها^(١) .

٣ — رأي في إصلاح الرسم العربي :

هذا ، وقد دعاني نقص الاقتراحات السابقة وعدم كفايتها إلى التفكير في طريقه تخلص الرسم العربي من عيوبه الثلاثة جميعاً ، بدون أن تضطر القلم والنظر إلى الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقي القارئ والكاتب شرور الانحرافات المترتبة على هذا الصعود والهبوط ، وبدون أن تقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، بل تتيح للأجيال القادمة الانتفاع بترائنا المدون بالرسم الحالي . فاهتديت إلى طريقة يمكن تلخيص أصولها في المبادئ الأربعة الآتية^(٢) :

(المبدأ الأول) أن ترسم حروف الكلمة مفردة منفصلاً بعضها عن بعض . وبذلك يكون لكل حرف صورة واحدة لا تتغير ؛ ويتخلص الرسم من أحد عيوبه الثلاثة السابق ذكرها^(٣) .

(المبدأ الثاني) أن تكتب الحروف المتحددة الصورة (ب ت ث ... الخ) بصور مختلفة يؤخذ بعضها من صورة الحرف منفرداً وبعضها من صورته متصلاً

(١) مجلة الشؤون الاجتماعية عدد فبراير سنة ١٩٤١ . هذا وكنا نود لو اقتصر أستاذنا الجليل على ما تقدم ، ولم يعقب عليه بما قد يفهم منه بعض الناس أن مثل هذه الاعتبارات لا ينبغي أن تحول دون تحقيق التيسير الذي يتضمنه هذا الاقتراح .

(٢) قدمت هذه الطريقة إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، ونشرتها بمجلة الرسالة في عددها الصادر في ٦ / ١٢ / ٤٤ . ثم أدخلت عليها بعض تعديلات وزيادات ، ونشرتها بصورتها الجديدة في مجلة الشرق الجديد في أعدادها الثلاثة الأولى الصادرة في أبريل ومايو ويونية سنة ٤٥ . ثم خُطر لي فيما بعد تعديلات وزيادات يسيرة أخرى . وقدمت الطريقة في آخر صورة لها (وهي الصورة التي أثبتتها في هذا الكتاب) إلى المجمع في ٢٧ / ١ / ٤٦ .

(٣) هو العيب الثاني الذي تكلمنا عليه في آخر صفحة ١٨٠ وأول صفحة ١٨١ .

بغيره، أو يؤخذ بعضها من صورته في خط الرقعة وبعضها من صورته في خط النسخ أو الثلث . وبذلك يتميز الحرف عن غيره بصورته لا بإمجامة أو إهماله أو عدد نقطه كما هو الحال الآن ؛ ويتخلص الرسم العربي من عيب آخر من عيوبه الثلاثة التي أشرنا إليها فيما سبق^(١) ، بدون حاجة إلى اختراع أشكال جديدة للحروف تبعدها عن أشكالها الحالية وتقطع الصلة بين قديمنا وحديثنا . ويمكن في هذه الحالة أن يستغنى عن النقط ، لأن صورة الحرف ستكون كافية في تمييزه . ولكنني مع ذلك أفضل الاحتفاظ بالنقط أو بما يحل محلها في خط الرقعة توثيقاً للصلة بين الرسمين القديم والحديث .

وفيما يلي أتمودج للحروف الهجائية العربية وفق هذا الاقتراح . ولست متمسكاً بهذا التمودج ؛ ولكنني راض بأية طريقة أخرى تحقق هذا الغرض وتقتبس صور حروفها من الرسم الحالي نفسه :

أ (لهمزة القطع)^(٢) ا (لهمزة الوصل) س (للألف اللينة)^(٣) ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع ف ق ك ل (لللام التي ينطق بها) ل (لللام الشمسية التي لا ينطق بها) م ن ه (للهاء) ة (للتاء المربوطة) و (لواو المد) و (لواو التي ليست بحرف مد) ي (لياء المد) ي (لياء التي ليست حرف مد) .

(المبدأ الثالث) أن يرسم عقب كل حرف ، لا فوقه أو تحته ، ما يرمز إلى سكونه^(٤) أو حركته أو تنوينه أو تشديده^(٥) ؛ ما عدا الحرف المتحرك بالفتحة

- (١) هو العيب الثالث الذي أشرنا إليه في السطر التاسع وتوابعه من صفحة ١٨١ .
 (٢) ترسم همزة القطع بهذه الصورة أياً كانت حركتها وحركة ما قبلها وأياً كان موضعها في الكلمة . فهجزة أحمد وفتة وفؤاد ترسم كلها بهذه الصورة .
 (٣) ترسم الألف اللينة بهذه الصورة مهما كان أصل الكلمة وعدد حروفها . فكلمات: دعا ، رمى ، إلى ... الخ ، ترسم ألفها على هذه الصورة .
 (٤) تقصد بالحرف الساكن ما يكون ساكناً بطبعه ، لأن الحرف المتحرك إذا سكن في النطق لعارض كالوقف عليه مثلاً في آخر الكلمة يكون حكمه حكم الحرف المتحرك .
 (٥) تقصد بالحرف المشدد ما يكون مشدداً بطبعه أو مشدداً في النطق لوقوعه بعد لام شمسية .

فلا يرمز إلى حركته لكثرة دوران الفتحة في الكلمات العربية ، ويكون رسم الحرف غير متبوع بأية حركة علامة على أنه مفتوح ؛ وما عدا الحرف الممدود في رسم غير متبوع بما يدل على حركته لأن حرف المد المدون بعده يدل على هذه الحركة : فالألف اللينة تدل على فتح ما قبلها ؛ وياء المد تدل على كسره ؛ ووواو المد تدل على ضمه .

ويستخدم في الرمز إلى الكسرة والضمة والسكون والتنوين والتشديد بدون التنوين أو مع التنوين العلامات نفسها التي يستخدمها الرسم الحالي ، مع تمييز الفتحتين عن الكسرتين بنبرة يسيرة تتصل بإحدهما . وبذلك يتخلص الرسم العربي من ثالث عيوبه وأهمها ، وهو عدم الرمز إلى حركات الحروف ؛ بدون أن يكون في طريقته الجديدة خروج على أوضاعه المتعارفة .

(المبدأ الرابع) ترسم علامات الترقيم وفق صورها المتعارفة الآن ، ؛ . . : ؟ ! « » () ما عدا الشرطتين اللتين تحصران بينها الجملة المتعرضة فيستبدل بها القوسان () حتى لا تلتبسا بالكسرة إن رسمتا بصورتهم العادية .

- وتمتاز هذه الطريقة عن جميع الطرق المقترحة من قبل بالأمور الآتية :
- ١ — أنها تخلص الرسم العربي تخليصاً تاماً من عيوبه الثلاثة الرئيسية التي أشرنا إليها فيما سبق وتخلصه من جميع آثارها الضارة ، وتحقق جميع الفوائد المقابلة لها .
 - ٢ — أنها تعفي القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقي القارئ والكتّاب شرور الانحراف المترتب على هذه الحركات وأوضاعها . وذلك أن طريقتنا ترسم الحركات في صلب الكلمة نفسها .
 - ٣ — أنها لا تقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، ولا تحول بين الأجيال

القادمة والانتفاع بالتراث العربي المدون بالرسم القديم ، لأنها تستخدم الصور والأشكال نفسها التي يستخدمها هذا الرسم فيما عدا الفتحتين اللتين تلتصق بأولهما نبرة يسيرة تمييزاً لهما عن الكسرتين . فالعالم بهذه الطريقة يستطيع مع شيء يسير جداً من التأمل والمران أن يقرأ الكتب المدونة بالرسم الحالي .

ولا يؤخذ على هذه الطريقة إلا أمران :
(أحدهما) أنها تطيل رسم الكلمة قليلاً بالنسبة إلى رسمها القديم . ولكن ضرر هذه الإطالة ليس شيئاً مذكوراً بجانب ما تحققه من جليل الفوائد للعربية وأهلها . على أن معظم عيوب الرسم القديم قد نشأ عن مبالغته في الاختزال والتعمية وإغفال الرمز إلى كثير من الأصوات التي ينطق بها في الكلمة . فلا يرجى له إصلاح جدي إلا بالقضاء على اختزاله وتعميته واعتماده على فراسة القارئ . وهذا يستلزم حتماً أن يطول رسم الكلمة حتى تكون رموزها معبرة تمام التعبير عن جميع أصواتها . هذا إلى أننا لم نأل جهداً في تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الاقتصاد في مجهود القارئ والكتاب والطابع^(١) مع عدم الإخلال بالعرض المقصود وذلك بما تضمنته طريقتنا من الأصول المشار إليها في مبدئها الثالث .

(وثانيهما) أنها ترسم حروف الكلمة متفرقة . ولكن رسم الحروف متفرقة أسلوب سليم لا غبار عليه ولا غرابة فيه . فقد سار عليه معظم أنواع الرسم السامي (الفينيقي والعبري والآرامي والحبشي واليمنى ...) ، وسار عليه الرسم العربي نفسه في أقدم صورهِ ، ويسير عليه الآن الرسم الأوروبي في الطباعة ؛ بل لقد أخذ هذا الأسلوب ، منذ أمد غير قصير ، ينفذ إلى أقلام الكتّابين باللغات الإفريقية ،

(١) تبلغ صناديق المطبعة بحسب الطريقة القديمة ٣٦٦ قسماً للحروف البسيطة غير المشكّلة ؛ وأكثر من ضعف ذلك للحروف المشكّلة (قاعدة شامية) بينما تبلغ بحسب طريقتنا ٥٤ فقط للحروف والشكل والترقيم معاً (٣٤ للحروف و ١٢ للشكل و ٨ لعلامات الترقيم) . فالصناديق في طريقتنا تقل أقسامها حتى عن صناديق المطابع الأفرنجية نفسها التي تبلغ أقسامها ١٠٩ .

وأخذت مدارس كثيرة تسير عليه في تعليم الهجاء الإفرنجي وتأخذ تلاميذها به في كتاباتهم . وقد رأيت بعد تفكير طويل أن هذا الأسلوب وحده هو الكفيل بتخليص الرسم العربي من عيوبه وتحقيق الغايات التي نرمى إليها على أحسن وجه وأكمله . ففضله نستطيع أن نرمز إلى أصوات المد القصيرة (الحركات) بعلامات ترسم في هيكل الكلمة لا فوق حروفها أو تحتها ؛ وفضله يصبح لكل حرف صورة واحدة لا تتغير مهما كانت حركته وكان موضعه في الكلمة ؛ وفضله تختلف أشكال الحروف بعضها عن بعض فيتميز كل حرف منها عن غيره بحسب صورته لا بحسب إعجامه أو إهماله أو عدد نقطه .

صحيح أن من اعتاد الرسم والقراءة على الطريقة القديمة التي تقوم على الاختزال ووصل الحروف بعضها ببعض سيعانى بعض العنت في السير على هذه الطريقة المرسلة المتفرقة الحروف . ولكن قليلا من المران كفيلا بتخفيف هذا العنت وإزالته . على أن عبأه سيكون مقصوراً على أهل الجيل الحاضر ممن تعلموا على الطريقة القديمة . وأمر كهذا لا يقام له وزن بجانب ما تحقته الطريقة المقترحة من تقويم للألسنة والأقلام ، وصيانة للعربية الفصحى ، وتسهيل في طرق تعلمها وتعليمها ، وتثبيت للمكتبة في النفوس ، وتمكين كل فرد من قراءة أية عبارة قراءة صحيحة مهما كانت درجته في العلم ضئيلة ، ومهما كان ضعيفاً في مبلغ إلمامه بقواعد اللغة .

(٢١) مخارج الأصوات العربية وصفاتها

للأصوات العربية نحو خمسة عشر مخرجا ، وهي :
(١-) الخارج الجوفية والحلقية ؛ وعددها أربعة مخرج . — الجوف مع الحلق لأحرف المد الثلاثة ؛ فهي تخرج من الصدر والحلق وتنتهي إلى خارج الفم . — وأقصى الحلق للهمزة والهاء ؛ والهمزة أدخل في ذلك من الهاء . — ووسط

الحلق للعين والحاء ؛ والعين أدخل في ذلك من الحاء . — وأدنى الحلق للعين والحاء ؛
والعين أدخل في ذلك من الحاء .

فالصدر مع الحلق يتكون منهما مخرج لثلاثة أصوات ، والحلق وحده يشتمل
على ثلاثة مخارج لكل مخرج منهما صوتان .

(٥-١٣) المخارج اللسانية ؛ وهي تسعة مخارج . — أقصى اللسان مع ما فوقه
من الحنك للقاف والكاف ؛ غير أن الكاف أسفل من القاف وأقرب منها إلى
الفم . — ووسطه مع ما يقابله من أعلى الحنك للجيم والشين والياء التي ليست
حرف مد ؛ غير أن الجيم أبعدا عن الفم والياء أقربها إليه . — وجانبه مع الأضراس
الطواحن الثلاث للضاد . — وجانب طرفه الواقع بعد مخرج الضاد إلى منتهاه مع
ما يقابل هذا الجانب من الحنك للام . — وظهر طرفه مع لثة الثنيتين العليين
للراء . — وظهر طرفه مع لثة الثنيتين العليين ومع الخيشوم للنون (فالخارج اللساني
للراء والنون واحد ، غير أن الراء أدخل في ظهر اللسان من النون ولا تعتمد على
الخيشوم كما تعتمد عليه النون) . — وفوق طرفه مع أصول الثنيتين العليين
للتاء والذال والطاء . — وفوق طرفه مع طرف الثنيتين العليين للتاء والذال
والطاء . — وفوق طرفه مع الثنيتين السفليين للصاد والسين والزاي .
فلسان ثمانية عشر صوتاً موزعة على تسعة مخارج .

(١٤، ١٥) المخارج الشفوية ؛ وعددها مخرجان . — باطن الشفة السفلى مع
طرف الثنيتين العليين للفاء . — وما بين الشفتين للباء والميم والواو التي ليست
حرف مد ؛ غير أن الواو تخرج من بين الشفتين مع انفتاحهما ، والميم والباء
تخرجان مع انطباقهما . وتختلف الميم عن الباء في أن الأولى تعتمد على الخيشوم
في حين أن الثانية لا تعتمد عليه .

هذا ، والوسيلة السريعة لمعرفة مخرج أي صوت هي أن تأتي بهمزة قبله ثم

ينطق به سا كناً أو مشدداً ، فحيث ينقطع الصوت يكون مخرج الحرف (١) .

وأما صفات الأصوات العربية فترجع إلى ثلاث عشرة صفة :
(١ ، ٢) الجهر والهمس . ويقصد بالجهر قوة اعتماد الصوت على مكان خروجه فيمتنع جريان النفس معه ؛ ويقصد بالهمس ضد ذلك ، أى ضعف اعتماد الصوت على مكان خروجه فيجربى معه النفس . والأصوات المهموسة عشرة يجمعها قولك : « فحنته شخص سكت » . والأصوات المجهورة ما عداها وهى تسعة عشر صوتاً .
(٣ — ٥) الشدة والرخاوة والتوسط بينهما . ويقصد بالشدة تمام انحصار الصوت عند إسكانه ، وبالرخاوة تمام جريه عند إسكانه ، والتوسط هو منزلة بين تمام الانحصار وتمام الجرى . وحروف الشدة ثمانية يجمعها قولك . « أجذك قطبت » . ومن هذه الحروف الثمانية خمسة حروف تسمى أحرف القلقله إذا كانت ساكنة ويجمعها قولك « قطبجد » . وحروف التوسط ثمانية كذلك ، يجمعها قولك « لم يروعنا » . وحروف الرخاوة ما عدا ذلك .

(٦ و ٧) الإطباق والانفتاح . الإطباق هو انحصار الصوت بين اللسان وما يحاذيه من الحنك نتيجة لانطباق اللسان على الحنك . والانفتاح ضد الإطباق ، وأحرف الإطباق أربعة وهى الصاد والضاد والطاء والظاء . وأحرف الانفتاح ما عدا ذلك .

(١) استخدم المحدثون للوقوف على مخرج الحروف فى صورة دقيقة أجهزة خاصة تكلمنا عنها بتفصيل فى صفحات ٣٨ — ٤١ من الطبعة الثالثة لكتابنا « علم اللغة » .
أنظر كذلك فى موضوع مخرج الحروف ، وسبب حدوث الصوت ، وتفسير الحنجرة واللسان ، والأسباب الجزئية لكل حرف من حروف العرب ، ولبعض الحروف غير العربية وما يشبه الحروف من الأصوات التى تحدثها الأفعال عند وقوعها ، انظر فى هذا كله بحثاً طريفاً للرئيس ابن سينا عنوانه « أسباب حدوث الحروف » (نسخه وصححه ووقف على طبعه الأستاذ محب الدين الخطيب تقلا عن نسخة المتحف البريطانى والحزارة التيمورية وطبع فى المطبعة الساقية ، الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ) .

(٨، ٩) الاستعلاء والانخفاض أو الاستفال . الاستعلاء هو الصعود والارتفاع في أعلى الحنك ، والانخفاض أو الاستفال ضده . وحروف الاستعلاء هي حروف الإطباق والحاء والعين والقاف . وحروف الانخفاض هي ما عدا ذلك .
(١٠، ١١) الذلاقة والصمت أو الإصمات . الذلاقة هي خفة الصوت والصمت ضده . وحروف الذلاقة ستة يجمعها قولك : « مر بنفل » . والسبب في خفة هذه الحروف أن ثلاثة منها من طرف اللسان وهي اللام والراء والنون ، وثلاثة من الشفة وهي الفاء والباء والميم^(١) . وحروف الصمت هي ما عدا ذلك .
(١٢) الصغير وهو صوت يشبه صفيح الطائر يحدثه الهواء الخارج من الفم عند النطق بحروف الصاد والسين والزاي .
(١٣) اللين وهي صفة حروف المد الثلاث (الألف والياء والواو) .

(٢٢) العلاقات بين أصوات الكلمات العربية ومعانيها

محاكاة الأصوات ، الاشتقاق وأنواعه

تبدو في اللغة العربية بعض روابط بين أصوات كثير من الكلمات وما تدل عليه . وترجع أهم هذه الروابط إلى الطائفتين الآتيتين :

١ - روابط طبيعية أساسها محاكاة الأصوات . فكثير من الكلمات الدالة على أصوات الإنسان والحيوان والأشياء ، وبعض الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره ، تحاكي أصواتها في صورة ما أصوات الظواهر التي تعبر عنها .
(١) فمن الكلمات الدالة على أصوات الإنسان : القهقهة ، والتمطق (حكاية صوت المتذوق إذا صوت باللسان) ، والدندنة (كلام تسمع نغمه ولا تفهمه) ، والتغمغم (الصوت بالكلام الذي لا يبين) ، والضوضاء (اختلاط الأصوات) ،

(١) لا توجد كلمة عربية الأصل رباعية أو خماسية خالية من حروف الزيادة إلا وهي مشتتة على حرف أو أكثر من حروف الذلاقة . فتمى وجدت كلمة من هذه الطائفة مجردة من حروف الذلاقة حكم بأنها دخيلة في كلام العرب .

والصراخ ، والزعقة ، والنحنحة ، والتنحنح ، والمهممة (صوت يخرج منه تردد الزفير) ،
والرنين (الصوت الرقيق يخرج منه المبيض) ، والزفير ، والشهيق ، والتأوه ،
والحشجة ، والفخوخ (الصوت الضعيف للنائم) ، والغطيط (صوته القوى) ،
والشخير ، والاصطكاك ، والقرقة ، والكريز (صوت يخرج منه الجهود والمخفق) ،
والقرقرة (صوت يخرج من الأمعاء) ... وما تصرف من هذه الكلمات وما إليها
مثل قهقهة وندن وتنحنح وزفر وشهق وتأوه وغط ... وهلم جرا .

(ب) ومن الكلمات الدالة على أصوات الحيوان : رغاء الناقة وبغابها ،
وهدير الجمل وقرقرته ، وصهيل الفرس وضبحه إذا عدا وحممته عند الجوع
والاستئناس ، وشحیح البغل ، ونهيق الحمار ، وخوار البقر ، وثغاء الغنم ، وزئير
الأسد ، وعواء الدئب وتضوره وتلعله عند جوعه ، ونباح الكلب وضغائه إذا
جاع ، ووقوفته إذا خاف ، وهريره إذا أنكر شيئاً أو كرهه ، وضباح الثعلب ،
ومواء الهرة ، وصرصرة البازي ، وقعقة الصقر ، وهدير الحمام ، وسجع القمري ،
وزقزقة العصفور ، ونعيق الغراب ، وفحيح الحيات بفيها ، وكشيشها بجملدها ،
وحفيفها عند تحرش بعضها ببعض إذا انسابت ، وتقيق الضفدع ، وطنين الذباب ،
والبعوض ... وما تصرف من هذه الكلمات وما إليها ، مثل هدر وقرقر وصهل
وحمم ونهق وزأر وعوى وتلعلع ونبح وزقزق ونعق ... وهلم جرا .

(ج) ومن الكلمات الدالة على أصوات الأشياء : الخريز للماء ، والقرقرة
(صوت الآنية إذا استخرج منها الشراب) ، والنشيش (صوت غليان الشراب) ،
والشخب (صوت اللبن عند حله) ، والحسيس والمعمعة (صوت النار) ، والأزير
(صوت الرجل عند الغليان) ، وهزير الريح ، وهزيم الرعد ، وجعجعة الرحي ،
وصرير القلم والباب ، وقلقلة القفل ، وخفق النعل ... وما تصرف من هذه
الكلمات مثل خر وقرقر وجعجع وخفق ... وهلم جرا .

(د) ومن الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره : القطع

والقطف والقطم والقضم والقطم والقذ ، والفري والفرز ، والكسر والدق والقرع
والهد ... وما تصرف من هذه الكلمات مثل قطع وقطف وقضم وقطم ودق وكسر
وقرع وهد ... وهلم جرا^(١) . - وقد لوحظ أن المعنى العام في كثير من هذه
الأفعال وما إليها يتوقف على صوتين فقط من أصوات الفعل الثلاثة وأن الصوت
الثالث تقتصر وظيفته على تحديد هذا المعنى العام وتوجيهه وجهات خاصة . فالمعنى
العام للفرقة مثلاً يؤدي في العربية بصوتى الفاء والراء ؛ ويضاف إلى هذين الصوتين
صوت ثالث يشار به إلى نوع التفرقة والمادة التي حدثت فيها : فري ، فرم ،
فرض (فرض الخشبة حزها) ، فرص (للفضة) ، فرث (للكروش وما إليه) ،
فرج ، فرق ، فرز ... الخ . والمعنى العام للقطع يؤدي بصوتى قاف وطاء (أو
صوت قريب من الطاء كالذال والضاد) ؛ ويضاف إلى هذين الصوتين صوت
ثالث يشار به إلى نوع القطع والمادة التي حدثت فيها : قطع ، قطف ، قطم ، (عض
وذاق أو قطع) ، قضم ، قط (قط القلم قطع رأسه عرضاً) ، قد (قد القميص
قطعه) ... الخ . والصوتان اللذان يدلان على المعنى العام في هذه الطائفة من
الأفعال يمثلان في الغالب ، في صورة ما ، صوت الفعل ، أى ما يحدثه الفعل نفسه
من صوت عند وقوعه^(٢) .

* * *

والعلاقة الطبيعية التي توجد في هذه الطوائف الأربع بين أصوات الكلمة
العربية ومدلولها يوجد مثلها في جميع اللغات . ويرجع السبب في هذه العلاقة إلى
النشأة الأولى للغة الإنسان . فالرأى الراجح أن اللغة الإنسانية قد نشأت من
محاكاة الإنسان للأصوات التي تصدر من الحيوانات والأشياء وللأصوات التي

(١) انظر أمثلة أخرى لهذه الطائفة والطوائف الثلاث السابقة في الباب العشرين من

كتاب فقه اللغة للثعالبي صفحات ٢٠٢ - ٢١٦ .

(٢) انظر صفحة ١٧ . انظر في اللغة العربية كتاب اللغات للثعالبي (٤)

تحدثها الأفعال عند وقوعها^(١). فلا غرابة إذن أن يبقى في كل لغة بعض كلمات

تمثل الأصل الأول الذي انحدرت منه اللغات .

٢ — علاقة وضعية غير مؤسسية على محاكاة الأصوات . وتبدو هذه العلاقة

في مظاهر كثيرة من أهمها ما يلي :

(١) الاشتقاق العام : يرتبط كل أصل ثلاثي في اللغة العربية بمعنى عام

وضع له ؛ فيتحقق هذا المعنى في كل كلمة توجد فيها الأصوات الثلاثة مرتبة حسب

ترتيبها في الأصل الذي أخذت منه . فالمعنى العام للعلم مثلا وهو إدراك الشيء

وظهوره ووضوحه يرتبط بأصوات العين واللام والميم ، فيتحقق في كل كلمة توجد

فيها هذه الأصوات الثلاثة مرتبة على هذه الصورة مهما تخللها أو سبقها أو لحقها

من أصوات أخرى لينة أو ساكنة ، فيتحقق في كلمات : عِلْمٌ ، عَلِمْنَا .. أَعْلَمُ ، نَعْلَمُ ..

اعْلَمْ ، اعلمى ... ، عِلْمٌ ، عَلِمُوا ... ، يُعَلِّمُ ، نَعْلَمُ ... ، تَعَلَّمَ ، تَعَلَّمُوا ... ، تعالِم ، تعالِموا ... ،

عِلْمٌ ، يُعَلِّمُ ... ، عِلْمٌ ، عَلِمٌ ، علامة ، معلم ، أعلام ، علامات ، عالم ، عليم ،

علامة ، علماء ، عالمون ، علوم ... ، مُتَعَلِّمٌ ، مُتَعَلِّمَةٌ ، مُعَلِّمٌ ، مُعَلِّمَةٌ ، مُعَلِّمٌ ،

معلوم ، عالم ، عالمون ... وهلم جرا .

وعلى هذه الرابطة يقوم أكبر قسم من متن اللغة العربية . ويطلق علماء

الصرف اسم الاشتقاق على ناحية من نواحي هذه الرابطة ، وهي الناحية التي تبدو

فيما يسمونه بالمشتقات (أفعال الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول

واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة ...) . ويطلق بعض الباحثين في فقه اللغة

العربية على هذه الناحية نفسها اسم الاشتقاق الأصغر لتمييزها من الاشتقاقيين

الكبير والأكبر اللذين سنتكلم عنهما^(٢) .

ومن أنواع هذا الاشتقاق نوعان لم يتوسع فيهما العرب كل التوسع ؛

(١) انظر صفحات ٩٥ — ٩٧ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

(٢) لم يعن أحد بوضع اسم لجميع نواحي هذه الرابطة . والأفضل عندي أن يطلق عليها

اسم الاشتقاق العام كما سميتها في عنوان هذه الفقرة .

ولكن رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية استخدامها قياساً لشدة الحاجة إليهما
في مصطلحات العلوم والفنون معتمداً في ذلك على مذهب بعض النحاة واللغويين:
(أحدهما) الاشتقاق من أسماء الأعيان . وقد استخدمه العرب في مئات من
الألفاظ ، كاشتقاقهم من أسماء الذهب والفضة والجص والزفت ... كلمات مذهب
ومفضض ومجصص ومزفت ...؛ وكاشتقاقهم من أسماء الحجر والناقة والنسر
والأسد وبغداد ... كلمات استحجر الطين (إذا يبس وصار كالحجر) ، واستنوق
الجل (إذا حاكى الناقة) ، واستنسر البغاث (إذا حاكى النسور) ، واستأسد
الرجل (أى حاكى الأسد) ، وتبعدد (انتسب إلى بغداد أو تشبه بأهلها) ... ؛
وكاشتقاقهم من أسماء التاج والحناء والباب والبحر والعفريت والشيطان والنمر
والقوس والنعل والتراب والحصباء والحطب والخشب والسماد والجورب والغل
واللجام والجنين ... كلمات توجه (إذا ألبسه التاج) ، وحناه (خضبه بالحناء) ،
وبوّب الكتاب (جعله أبواباً) وباب له يبوب (صار بوّاباً له) وتبوب بوّاباً
(اتخذته) ، وأبحر (ركب البحر) ، وتعفرت وتشيطان (صار كالعفريت أو الشيطان) ،
وتنمر (تشبه بالنمر) ، وتقوس (صار معه قوس) وتقوس ظهره (إذا انحنى كالقوس) ،
وتنعل وانتعل (لبس النعل) ، وترب المكان (كثر فيه التراب) وتربت يده
وأترب (إذا افتقر والتصق بالتراب) والمتربة (الفقر المدقع) ، وحصبه (رماه
بالحصباء) ، وحطب واحتطب (جمع الحطب) ومكان حطيب (يكثر فيه الحطب) ،
وتخشب (صار كالخشب) ، وسمد الأرض (وضع فيها السماد) ، وجوربه (ألبسه
الجورب) ، وغله السجان (وضع الغل في يده أو رقبته) وغلت يداه ويد مغلولة ،
وألجم الدابة ، وتجنن اللبن (صار كالجنين) ... وهلم جرا .

ولكثرة استخدام العرب لهذا النوع من الاشتقاق ، وشدة الحاجة إليه في
العلوم والفنون أجاز مجمع فؤاد الأول استخدامها قياساً عند الضرورة . وفيما يلي نص

قراره بهذا الصدد: « اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان^(١) . والجمع يميز

هذا الاشتقاق للضرورة في العلوم^(٢) » .

(وثانينهما) المصدر الصناعي ، وهو ما يتكون بزيادة ياء النسب والتاء على

اللفظ للتعبير عن المعنى الحاصل بالمصدر . ولم يستخدم العرب هذا المصدر إلا في

بضع عشرات من الكلمات منها الجاهلية والأعرابية واللوصوية والرجولية

والربوبية والألوهية والرهبانية والفروسية والأريحية . وتوسع فيه من بعدهم الفلاسفة

والعلماء وبخاصة أرباب اللغة منهم كابن سيده والزحشرى وغيرهما .

ولشدة الحاجة إلى هذا المصدر في التعبير عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم

والفنون ، رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية أن يكون قياسياً وأصدر قراره التالي :

« إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزداد عليها ياء النسب والتاء^(٣) » .

(ب) الاشتقاق الكبير . ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض

المعاني ارتباطاً مطلقاً غير مقيد بترتيب ، فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبط

بها كيفما اختلف ترتيب أصواتها .

فمن ذلك مثلاً أصوات : ج ب ر ، ق س و ، ن ج د ، ر ك ب ، س ل م . . .

وهلم جرا .

فأصوات : ج ب ر تدل على القوة والشدة كيفما اختلفت ترتيبها في الكلمة .

(١) أورد أستاذنا المغفور له الشيخ أحمد الاسكندري في مجلة المجمع ثمان من أسماء

الأعيان التي اشتق منها العرب (الجزء الأول ٢٣٦ — ٢٦٨) ؛ وقد ذكرنا طرفاً من هذه

الأسماء فيما سبق . انظر الجزء الأول من مجلة المجمع ٣٦ ، ٢٣٢ — ٢٦٨ . وعلى أساس هذا

القرار يجوز مثلاً أن نشق من أسماء النحاس والزرنيخ والبلور والكهرباء والمغناطيس

والنشا . . . كلمات منجس ومزرنج ومبلر أو متبلر ومكهرب وممطس ومنشا . . . وأن نشق من

كلمات الماء والماس والجص . . . كلمات استماه البخار إذا تحول إلى ماء واستماس الفجيم ، أي

الكربون (إذا صار من ضغط طبقات الصخور ماساً) واستجص الحجر (إذا صار بالحرق

جصاً) . . . وهلم جرا . انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٥ ، ٢١١ — ٢١٥ .

فيوجد هذا المعنى في جميع تراكيبها الستة وهي : جبر (جبرت العظم والفقير إذا قويتها ، والجبروت القوة ، والجبر الأخذ بالقهر والشدة ...) ؛ وجرب (ومنه رجل مجرب إذا مارس الأمور فاشتدت شكيمته ، ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه ، والشئ إذا حفظ قوى واشتد) ؛ ويجر (ومنه الأجر والبجرة وهو القوى السرة) ؛ ويرج (ومنه البرج لقوته ومناعته ، والبرج وهو نقاء بياض العين وصفاء سوادها ومن الواضح أن ذلك يكسبها قوة) ؛ ورجب (ومنه رجبت الرجل إذا عظمته وقويت أمره ، ومنه رجب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه ، ومنه كذلك الرُّجبة وهو ما تسند إليه النخلة لتدعيمها وتقويتها ، والترجيب وهو ضم أعذاق النخلة إلى سفاتها وشدها بالخصوص : أنا عُدِّيَها المرَجَّب ...) ؛ ورج (ومنه الرُّجبي وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله فهو يعظم نفسه ويقوى أمره) .

وأصوات ق س وتدل على القوة والاجتماع كيفما اختلف ترتيبها . فيوجد هذا المعنى في تراكيبها الخمسة المستعملة ، وهي : قسو (ومنه القسوة وهي شدة القلب واجتماعه) ؛ وقوس (ومنه القوس لشدها واجتماع طرفيها) ؛ ووقس (ومنه الوقس وهو ابتداء الجرب لأنه يجمع الجلد ويفلحه) ؛ ووسق (ومنه الوسق للحمل ، وذلك لاجتماعه وشده ، ومنه كذلك استوسق الأمر أي اجتمع ، « والليل وما وسق » أي جمع) ؛ وسوق (ومنه السُّوق لأنه استحثاث وجمع المسوق بعضه إلى بعض ، ومنه كذلك السُّوق لما فيه من جمع واختلاط وشدة) .

وأصوات ن ج د تفيد القوة كيفما اختلف ترتيبها في الكلمة . فيتحقق هذا المعنى في تقاليبها الخمسة المستعملة وهي : نجد (النجد والإنجاد الإعانة ، والنجد الشجاع الماضي فيما يعجز غيره ، والنجد ما أشرف من الأرض وارتفع ، وفي ارتفاعه قوة ولولم ن عليه ، والنجد القتال وفيه قوة ، والنجدة كذلك الفزع ، والفزع يغلب عنده المرء ففيه قوة) ؛ وجند (الجند العسكر والأعوان وبهم تكون القوة) ؛ وجدن (الجدن حسن الصوت وهو مما يفتخر به ويؤثر في النفس وفي

هذا قوة ، وأجدن استغنى بعد فقر ، وفي الاستغناء قوة) ؛ ودنج (الدناج إحكام الأمر ، وإحكام الأمر يقوى به صاحبه ، وتراب دناج أى تثيره الرياح ، وإذا أثارته أثر فيها وغيرها وفي ذلك قوة) ؛ ودجن (الدجن المطر الكثير وفيه قوة ، والدجنة الظلمة ، والظلمة ترهب ففيها قوة) .

وأصوات ركب تدل على الإجهاد والمشقة كيفما اختلف ترتيبها . فيوجد هذا المعنى فى جميع تراكيبها الستة ، وهى : ركب (ركب الفرس وركب متن الأخطار وركبه الدين ... تتضمن جميعها معنى الإجهاد والمشقة) ؛ وركب (كربه الأمر غمه وأحزنه ، كرب الأرض قلبها ففيه معنى المشقة وبدل الجهد) ؛ وبرك (برك الجمل استناخ وفى ذلك مشقة وجهد) ؛ وربك (ربك فى الطين فارتبك إذا غرسه فيه فلم يستطع التخلص منه وفى ذلك مجاهدة وإرغام) ؛ وبكر (بكر بكور الغراب ، وبكر إلى الأمر ، وبكر تبكيرا أسرع وبادر وفيه معنى الجهد والمشقة) ؛ وكبر (كبر الأمر عظم ، وفى كبر الشئ وجسامته إزعاج للنفس ومشقة لها) .

وأصوات سلم تدل على الإحجاب والملاينة كيفما اختلف ترتيبها . فيتحقق هذا المعنى فى تراكيبها الخمسة المستعملة ؛ وهى : سلم (ومنه السلامة والسليم ، وذلك أن السليم ليس فيه عيب يعترض النفس) ؛ وملس (ومنه الأملس والملساء . ولا يخفى ما فى هذه المادة من معنى الملاينة) ؛ ولمس (ومنه اللمس وهو لا يتحقق إلا إذا مرت اليد على الملموس ولم يعترضها حائل ، فمعنى الملاينة واضح فيه كل الوضوح) ؛ وسمل (السمل الثوب الخلق ، وذلك لأنه ليس عليه من الوبر ما على الجديد ، فإذا مرت اليد لم يستوقفها عنه حدة المنسج ولا خشونة اللمس . والسمل الماء القليل ، وفيه معنى الملاينة والضعف عن قوة المضطرب) ؛ ومسمل (ومنه المسمل والمسيل وهو ما يجرى فيه الماء ، ولا يخفى ما فيه من معنى الملاينة والاعتقاد) . ويرجع الفضل فى توضيح هذه الطائفة من الروابط إلى ابن جنى ؛ وقد عقد لها

فصلا على حدة في كتابه الخصائص ، وأطلق عليها اسم «الاشتقاق الأكبر^(١)» .
ولكن كثيراً من محدثي الباحثين يؤثرون تسميته بالاشتقاق الكبير ، ويطلقون
اسم الأكبر على النوع التالي .

وقد بالغ بعضهم في هذا النوع من الاشتقاق فزعم أنه يطرد في معظم المواد .
والحق أنه لا يبدو في صورة واضحة إلا في طائفة يسيرة من المواد . ومحاولة
تطبيقه في غيرها يقتضى كثيراً من التكلف والتعسف ، أو الخروج باللفظ عن
مدلوله الأصلي ، أو التشبث بملاسات ضعيفة واهية . وقد وضع هذا الأمر في
نصابه جلال الدين السيوطي في كتابه «المزهر» إذ يقول : « وهذا الاشتقاق
ليس معتمداً في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب . . . هذا إلى
أن حروف اللغة العربية قليلة وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تنتهي . . . فلو خصوا
كل معنى بحروف معينة فلم يدلوا مثلاً على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس
فيه شيء من حروف الإيلام والضرب لمنافتهما لها لضاق نطاق الأمر ولاحتاجوا
إلى ألوف حروف لا يجدونها^(٢) . . . ففي اعتبار المادة دون هيئة التركيب من
فساد اللغة ما بينت لك . ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين بعض التراكيب
المتحدة معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها ؛ ولكن التحيل على ذلك
في جميع مواد التركيبات كطلب لعنقاء مغرب . ولم تحمل الأوضاع البشرية إلا على

(١) انظر الخصائص صفحات : — ١٥ ، ٥٢٥ ، ٥٣١ . وقد اعترف ابن جنى
أن أستاذه أبا علي الفارسي (المتوفى سنة ٣٧٧ هـ) قد فطن من قبله إلى هذه الروابط ولكنه
لم يتوسع في شرحها ولم يضع لها اسماً خاصاً ، وفي ذلك يقول : « هذا موضع لم يسمه أحد من
أصحابنا ، غير أن أبا علي رحمه الله كان يستعين به ويخلد إليه مع إغواز الاشتقاق الأصغر ، أسكنه
مع هذا لم يسمه . . . وإنما هذا التلقيب لنا نحن . . . الخ » . ويظهر أن الخليل نفسه (المتوفى
سنة ١٧٥ هـ) قد فطن إلى هذا من قبل الفارسي .

(٢) الصواب أن يقول : « فلو خصوا كل معنى بحروف معينة ، فلم يدلوا مثلاً على معنى
الإكرام والتعظيم إلا بكلمة لا تجتمع حروفها الثلاثة في أي أصل يدل على معنى آخر مناف لهذا
المعنى لضاق نطاق الأمر ولاحتاجوا إلى ألوف حروف لا يجدونها » . — وذلك لأن وجود
حرف أو حرفين من كلمة تدل على معنى ما في كلمة أخرى تدل على معنى آخر لا يتعارض مع
نظريته ابن جنى .

فهوم قريبة غير غامضة على البديهة . فذلك أن الاشتقاقات البعيدة جداً لا يقبلها المحققون^(١) . «

(ح) الاشتقاق الأكبر: ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطاً غير مقيد بنفس الأصوات بل بنوعها العام وترتيبها فحسب ، فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبطة به متى وردت مرتبة حسب ترتيبها في الأصل ، سواء أبقيت الأصوات ذاتها أم استبدل بها أو ببعضها أصوات أخرى متفقة معها في النوع . ونعني بالاتفاق في النوع أن يتقارب الصوتان في المخرج أو يتحداهما في جميع الصفات ما عدا الإطباق^(٢) .

فمن أمثلة التقارب في المخرج تناوب الميم والنون في مثل امتقع لونه وانتقع ؛ واللام والنون في مثل أسود حالك وحنالك وفلان خامل الذكر وخامنه ؛ والراء واللام في مثل هدر الحمام وهدل ؛ والواو والميم في مثل أوشاج وأمشاج أي ضروب مختلطة متداخلة ؛ والباء والميم في مثل ضربة لازب وضربة لازم وكبحت الفرس وكحته ؛ والباء والدال في مثل قاب قوسين وقاد قوسين ؛ والهمزة والهاء في مثل درأ عنه ودره^(٣) ؛ والعين والحاء في مثل بعثت المتاع وبحثته ؛ والقاف والكاف في مثل القهبة والكهبة (وهي البياض الضارب إلى الغبرة) وكشط الجلد وقشطه ؛ والسين والثاء في مثل ساخت الأرض وثاقت ؛ والفاء والثاء في مثل فوم وثوم^(٤) ، وثروة وفروة أي مال كثير ؛ والصاد والضاد في مثل ناض وناصر إذا تحرك^(٥) . ومن أمثلة الاتفاق في الصفات ما عدا الإطباق تناوب الصاد والسين في مثل ساطع وصاطع ، والصراط والسرراط ، وسخره في العمل وصخره ، وخطيب مسقع

(١) المزهر جزء أول صفحتي ١٦٤، ١٦٥ بتلخيص وتصرف في العبارة . انظر كذلك في

هذا الموضوع مجلة المجمع اللغوي الجزء الأول ٣٨١ وتوابعها والجزء الثاني ١٩٩-٢٠١، ٢٤٥-٢٥٥ .

(٢) انظر في مخارج الحروف وصفاتها صفحات ١٩١ - ١٩٤ .

(٣) ومن هذا أخذ المدره وهو لسان القوم ونائبهم الذي يتكلم عنهم بذلك .

(٤) وقد قرئ بها قوله تعالى « وفومها وعدسها . . . » الآية .

(٥) ومنه قوله تعالى ولات حين مناص .

ومصقع ، وصقر وسقر ، والصدغ والسدغ^(١) .
ويرجع السبب في كثير من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف القبائل في
النطق بأصوات الكلمة . فمادة كشط مثلا كانت تنطقها قريش بالكاف على
حين أن أسداً وتيماً كانت تنطقها بالقاف .
وقد يختلف في هذا الباب مدلول الكلمتين أحدهما عن الآخر بعض
الاختلاف مع بقاء المعنى العام للمادة مشتركا فيهما . فمن ذلك أز وهز ؛ وعسف
وأسف ؛ وقرم وقلم ؛ وجرف وجلف وجنف ؛ وغرب وغرف ؛ وجبل وجبن
وجبر ؛ وغدر وختل ... وهلم جرا . — فالأز معناه الإزعاج والإقلاق^(٢) ، فهو
مشترك مع الهز في المعنى العام للمادة ؛ وإن كان أقوى منه في الدلالة على هذا
المعنى وأعظم منه وقعا في النفس عندما يراد التعبير عن آثار نفسية ذات بال . —
والأسف يشترك مع العسف في أنه يعسف النفس وينال منها ؛ ولكنه أقوى
في هذا المعنى من العسف . — والقرمة الفقرة تُحزّز على أنف البعير ؛ وقريب
منه قلمت الظفر ، لأن هذا انتقاص للظفر وذلك انتقاص للجلد . — وجرف الشيء
كسحه وأزاله ؛ وجلف القلم أزال جلفته ؛ وجنف جنفا ظلم ومال عن الحق ؛ ففي
هذه المواد معنى الانحراف والميل ، وإن اختلف بعضها عن بعض في مواطن
استعمالها وما تطلق عليه . — وغرف الماء واغترفه إذا أخذه من مكانه ؛ والغرب
دلو عظيمة يعرف بها من الماء : فالكلمتان تشتركان في المعنى العام لهذه المادة . —
وتستعمل ترا كيب جبل وجبن وجبر في معاني الالتئام والتماسك ، وأن اختلفت
المعاني الخاصة باختلاف الترا كيب : فالجبل فيه معنى الشدة والقوة والالتئام ؛
وجبن الرجل إذا استمسك وتوقف وتجمع ؛ والجبن الماء كقولهم فيه تماسك العناصر
وتجمعها والتئامها ؛ وجبرت العظم ونحوه إذا لأمته فالتأم وتماسكت أجزاءه . والغدر

(١) وذلك لانفاق السين والصاد في الهمس والصفير والرخاوة . وقد كثر في العربية هذا

التناوب إذا وقع بعد السين خاء أو طاء أو عين أو غين أو قاف .

(٢) ومن هذا قوله تعالى « . . . إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » .

والختل يتفقان في معنى الخيانة والخداع ، وإن اختلف استعمال كل منهما ومدلوله عن الآخر بعض الاختلاف .

وقد أطلق المحدثون من علماء اللغة على هذا الباب جميعه اسم « الاشتقاق الأكبر » . ووقف عليه ابن جنى نحو فصلين من فصول كتابه الخصائص وضرب له أمثلة كثيرة ولكنه لم يضع له اسماً على حدة . وقد أدخله تحت قانون عام سماه « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني » أو « الكلمات المتصاقبة الحروف متصاقبة المعاني » ، أى أن تقارب الحروف في كلمتين يدل على تقارب معناها ، أو « الحرفان المتقاربان يستعمل أحدهما مكان صاحبه »^(١) .

(٢٣) النحت في اللغة العربية

وهو أن تنتزع أصوات كلمة من كلمتين فأكثر أو من جملة للدلالة على معنى مركب من معاني الأصول التي انتزعت منها .

وقد جاء النحت في اللغة العربية على عدة وجوه أهمها الوجوه الثلاثة الآتية :

١ — نحت من جملة للدلالة على التحدث بهذه الجملة ، نحو بسمل وحمدل وحوقل وحسبل وسعمل وحيعل ودمعز وطلبق وجعقد وبأبأ ... ، إذا قال باسم الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبنا الله ، والسلام عليكم ، وحي على الصلاة حي على الفلاح ، وأدام الله عزك ، وأطال الله بقاءك ، وجعلت فداءك ، وبأبى أنت .. ؛ ونحو البسمة والحمدلة والحوقلة ... وهلم جرا . ولم يرد هذا النوع إلا في كلمات قليلة معظمها مستحدث في الإسلام .

٢ — نحت من علم مؤلف من مضاف ومضاف إليه (مركب إضافي) للنسب إلى هذا العلم أو للدلالة على الاتصال به بسبب ما ، نحو عبشمى وعبدرى وعبقسى وتيملى ومرقسى في النسب إلى عبد شمس وعبد الدار وعبد القيس وتيم

(١) انظر الخصائص ٤٧٨ — ٤٨٢ ، ٥٣٧ — ٥٤٣ .

اللوات وامرىء القيس ؛ ونحو تعبشم الرجل وتعبقس ... إذا ارتبط بعبد شمس أو بعبد قيس بحلف أو جوار أو ولاء ... وما إلى ذلك .

وهذا النوع قليل كذلك في اللغة العربية ، ولم يكذب يسمع إلا في الأمثلة السابقة .

٣ — نحت كلمة من أصلين مستقلين أو من أصول مستقلة للدلالة على

معنى مركب في صورة ما من معاني هذين الأصلين أو هذه الأصول .

وهذا النوع شائع أيما شيوع في اللغات الهندية — الأوروبية ، وخاصة

الحديث منها ، حتى أن ما يرجع من مفردات هذه اللغات إلى أصل واحد لقليل

بالنسبة إلى ما يرجع منها إلى أصلين أو عدة أصول . ولكنه نادر جداً في فصيلة

اللغات السامية على العموم . وهذا من أهم الفروق التي تميز هاتين الفصيلتين إحداهما

عن الأخرى كما ذكرنا ذلك بتفصيل في كتابنا « علم اللغة »^(١) .

ولا تختلف في ذلك اللغة العربية عن أخواتها السامية . فالمفردات العربية

المنزعة من أصلين مستقلين أو من أصول مستقلة لا تتجاوز بضع عشرات ؛

ومعظمها لم يظهر فيه النحت إلا عن طريق ظني يبدو فيه أحياناً كثير من

صنوف التعسف والتحايل . . وفيما يلي بعض أمثلة من هذه المفردات :

ذهب الخليل إلى أن « لن » منزعة من « لا » و « أن » وأنها تصممت بعد

تركيبها معنى لم يكن لأصلها مجتمعين .

وكان الفراء يقول في « هلم » إن أصلها « هل » (هل لك في كذا ؟)

و « أم » (بمعنى اقصد وتعال)^(٢) . وقيل إنها مركبة من « هاء التنبيه » و « أم »

بمعنى ضم .

وقال بعض العلماء في « أيان » إنها منزعة من « أي آن » فحذفت همزة

آن وجعلت الكلمتان كلمة واحدة متضمنة معناها^(٣) ؛ وفي « لماً » الجازمة إن

(١) انظر صفحة ٢٠٢ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

(٢) الصاحبى لابن فارس ص ١٤٦ .

(٣) انظر الصاحبى لابن فارس ص ١١٤ .

أصلها «لا» و «ما» فحذفت الألف وشدت الميم؛ وفي «لكن» إنها منتزعة من «لا» و «كاف الخطاب» و «إن» الخفيفة أو الثقيلة؛ فحذفت همزة إن وجعلت الكلمات الثلاث كلمة واحدة للدلالة على معنى الاستدراك^(١)؛ وفي «ليس» إن أصلها «لا» و «أيس» (وأيس هو فعل الكينونة في كثير من اللغات السامية وإن كان قد انقرض في العربية).

وزعم قوم أن كثيراً من الكلمات الرباعية والخماسية تألفت على هذا النحو^(٢). فقالوا مثلاً في «دحرج» إن أصلها «دحر فجرى»؛ وفي «هرول» إن أصلها «هرب وولى»، وفي «بحثر» أو «بعثر» إن أصلها «بجت» أو «بعث» و «أثار».

ولا يخفى ما في هذا المذهب من تحايل وتعسف وتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها اللغات الإنسانية بصدد الكلمات الدالة على الحدث وتصرّيفها بعضها من بعض^(٣).

(٢٤) اختصاص بعض الأوزان العربية

بالدلالة على أمور خاصة

يكثر ورود بعض الأوزان في اللغة العربية، أو يطرد ورودها فيها، للدلالة على معان خاصة. فمن ذلك أوزان أفعال الماضي والمضارع والأمر وأوزان اسم الفاعل وصيغ المبالغة^(٤) والصفة المشبهة واسم المفعول وأفعال التفضيل والتعجب

(١) انظر الصحابي لابن فارس ص ١٤١.

(٢) من هؤلاء ابن فارس، انظر الصحابي ص ٢٢٧.

(٣) انظر في موضوع النحت المزهري للسيوطي ٢٣٢ - ٢٣٤ والصحابي لابن فارس ٢٢٧.

(٤) رأى مجمع نؤاد الأول للغة العربية قياسية صيغة من صيغ المبالغة وهي صيغة فاعل

بتشديد العين؛ ونص قراره بهذا الصدد ما يلي: «يصاغ فاعل للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثي

اللازم والمتعدى». انظر الجزء الثاني من مجلة المجمع ص ٣٥، ٥٣ - ٦٢.

واسم الآلة^(١) والمصدر واسم الزمان والمكان وجموع التكسير . . . « ك » لينة أ
ومن هذه الأوزان ما لا يقتصر على الإشارة إلى مجمل مدلول الكلمة ، بل
يشير كذلك إلى بعض تفاصيل تتعلق بهذا المدلول . وسندكر فيما يلي بعض أمثلة
من هذه الأوزان الخاصة :

يحيء مصدر « فعالة » من الثلاثي للدلالة على الحرفة أو شبهها كالصناعة
والحياكة والتجارة والإمارة والسفارة والنقابة . وقد رأى مجمع فؤاد الأول للغة
العربية قياسية هذا المصدر معتمداً في ذلك على مذهب سيبويه والأخفش وابن
مالك ومتابعيهم ، فأصدر في دورته الأولى القرار التالي : « يصاغ للدلالة على الحرفة
أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن فعالة بالكسر^(٢) » .
ويحيء مصدر « فعلان » من الثلاثي للدلالة على التقلب والاضطراب
كالغليان والغشيان والخفقان والطيران والدوران والجولان . وقد رأى مجمع فؤاد
الأول للغة العربية قياسية هذا المصدر في بعض الأفعال معتمداً في ذلك على مذهب
سيبويه والأخفش وابن مالك ومتابعيهم ، فأصدر في دورته الأولى القرار التالي :
« يقاس المصدر على وزن فعلان لفعل اللازم مفتوح العين إذا دل على تقلب
واضطراب^(٣) » .

ويحيء مصدر « فعيل وفعال » من الثلاثي للدلالة على المرض كالوجع والسقم
والبرص ؛ وكالسعال والزكام والمشاء . وقد رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية قياسية

(١) رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية قياسية ثلاثة الأوزان الشهيرة في اسم الآلة وهي
مفعل ومفعلة ومفعال (بكسر فسكون ففتح فيها جميعاً) . وإليك نص قراره بهذا الصدد :
« يصاغ قياساً من الفعل الثلاثي على وزن مفعول ومفعلة للدلالة على الآلة التي يعالج بها
الشيء . — ويوصى الجمع باتباع صيغ المسموع من أسماء الآلات ، فإذا لم يسمع وزن منها لفعل
جاز أن تصاغ من أي وزن من الأوزان الثلاثة المتقدمة » (انظر الجزء الأول من مجلة المجمع
ص ٣٥ ، ٢١٧ — ٢٢١) .

(٢) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٣) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

فَعَالٌ للمرض في بعض الأفعال معتمداً في ذلك على مذهب سيبويه والأخفش وابن مالك ومتابعيهم ، فأصدر في دورته الأولى القرار التالي : « يقاس من فَعَلٍ اللازم المفتوح العين مصدر على وزن فَعَالٍ للدلالة على المرض ^(١) » ، ويرى بعض النحويين واللغويين أن مصدر فَعَلٍ من الثلاثي مكسور العين قياسي كذلك في الدلالة على المرض ^(٢) .

ويجىء مصدر « فَعَالٌ وفَعِيلٌ » للدلالة على الصوت كالصراخ والدعاء والمواء والعواء ؛ وكالعويل والضجيج والصهيل والزئير . وقد قرر جمع فؤاد الأول للغة العربية بهذا الصدد أنه « إذا لم يرد في اللغة مصدر لفَعَلٍ اللازم مفتوح العين الدال على صوت يجوز أن يصاغ له قياساً مصدر على وزن فَعَالٍ أو فَعِيلٍ ^(٣) » .

ويجىء مصدر « فَعِيلٌ » أحياناً للدلالة على السير كالرحيل والذميل والرقيل . ويجىء مصدر « فَعَالٌ » للدلالة على الامتناع كالإباء والجحاح والشراد .

وتأتى أحياناً بعض مصادر الثلاثي على وزن « تَفَعَالٌ » بفتح أوله للدلالة على كثرة الحدث والمبالغة فيه نحو التطواف والترداد والتسيار والتجوال والتهدار .

وتدل المصادر الرباعية المضعفة على معنى التكرار نحو الزعرمة والقلقلة والصلصلة والتقعقة والجرجرة والقرقرة ^(٤) .

وتأتى « الفَعْلَى » في المصادر والصفات للدلالة على معنى السرعة نحو البشكى والجمزى والولقى ^(٥) .

ويدل مصدر « فَعَلَةٌ » من الثلاثي على الوحدة كضرب ضربة وأكل أكلة . ويدل مصدر « فَعَلَةٌ » من الثلاثي على الهيئة كجلس جلسة الأسد ، و « إذا

قتلتهم فأحسنوا القتلة » .

(١) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحة ٢١٠ .

(٣) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

(٤) انظر الخصائص لابن جني ص ٥٤٤ .

(٥) انظر الخصائص لابن جني صفحتي ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

وتجىء صيغة « فَعَّال » في غير المبالغة من اسم الفاعل للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء كالزجاج والبقال والنجار والحداد . وقد رأى مجمع فؤاد الأول لغة العربية قياسية هذه الصيغة في هذا المعنى ، معتمداً في ذلك على رأى المبرد ، فأصدر قراره الآتي : « يصاغ فَعَّال قياساً للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء . فإذا خيف لبس بين صانع الشيء وملازمه كانت صيغة فعال للصانع وكان النسب بالياء لغيره فيقال زجاج لصانع الزجاج وزجاجى لبائعه »^(١) .

وتجىء في الغالب صيغة « مُفَعَّلٌ وَفُعَّالَةٌ » في الأسماء للدلالة على فضلات الأشياء وما يرفض منها ويلقى ، نحو الفتات والبصاق والخمار (وهو بقية الشُّكْر) والرفات والحطام والرذال ؛ وكذلك النخاعة والنخامة والقوارة (وهو اسم لما يقع عند التقوير) وخشارة الشيء (وهو ما يبقى منه) وقلامة الظفر والكساحة والكناسة والسباطة والقمامة والزبالة والحثالة (الردىء من كل شيء) والنفاية (وهو ما يبقى بعد الاختيار) ، والبراية (ما برى من العود وغيره) ، والنفاضة (ما سقط من الوعاء وغيره إذا نفض) ، والسكداة (ما بقي في أسفل القدر) ، والصبابة (بقية الماء) والعفافة (ما بقي في الضرع من اللبن) والثمالة (بقية الماء أو غيره) والسحالة (ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما) ... وهلم جرا^(٢) .

وتجىء صيغة « مَفْعَلَةٌ » من أسماء الأعيان الثلاثية للدلالة على المكان الذي يكثر فيه الشيء حيواناً كان أم نباتاً أم جماداً ، كالمأسدة والمسبعة والمذابة والموعلة للموضع الكثير الأسد والسباع والذئباب والوعول . وقد رأى مجمع فؤاد الأول لغة العربية قياسية هذه الصيغة معتمداً في ذلك على مذهب الأخفش وظاهر مذهب سيبويه ، فأصدر قراره الآتي : « تصاغ مَفْعَلَةٌ قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية

(١) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) انظر المزهرة للسيوطي الجزء الثاني صفحتي ٦٤ ، ٦٥ ، والمصباح المنير ص ١٠٧٤ ، والمعجم في بقية الأشياء لأبي هلال العسكري . — وقد جاء لفظ « النقاوة » (وهو المختار من الشيء) على هذا الوزن من باب حمل الشيء على ضده كما أشار إلى ذلك المصباح ص ١٠٧٤ .

الأصول للمكان الذي تكثر فيه هذه الأعيان سواء أكانت من الحيوان أم من
النبات أم من الجماد^(١) .

وتجىء صفة « فَعْلَان » للدلالة على أمور تتصل بالجوع والعطش وأضدادها
وملحقاتها مثل جوعان وعطشان وغرثان وريان وسكران .

وتجىء صفة « أفعل » للدلالة على الألوان نحو أحمر وأبيض وأسود وأزرق
وأخضر ... وهلم جرا .

وتجىء صفة « فَعِيل » للدلالة على الأوصاف الثابتة اللازمة للنفوس
كشريف ونبيل وكبير وحقير ووضع وصغير .

وتبدل صيغة جمع التكسير التي على وزن « أَفْعُلْ وَأَفْعَالٌ وَأَفْعِلَةٌ وَفَعْلَةٌ »
على جمع قليل العدد كأذرع وأثواب وأعمدة وصبية .

وتبدل بقية صيغة جمع التكسير على جمع كثير العدد كُحْمَرٌ وَعُمُدٌ وَعُرْفٌ
وَحِجَجٌ وَقِضَاةٌ وَسِحْرَةٌ وَقَتْلَى وَدِبْبَةٌ وَرَكْعٌ وَقِرَاءٌ وَصَعَابٌ وَنُمُورٌ وَغُلْمَانٌ وَحُمَلَانٌ
وَجِبْنَاءٌ وَأَغْنِيَاءٌ وَجَوَاهِرٌ وَصَحَائِفٌ وَمَوَامٍ (جمع موماة للفلاة الواسعة) ويتامى
وسكاري وبرائن ومخارج ومفاتيح^(٢) .

وتجىء صيغة « فَعِلٌ يَفْعَلُ » وما تصرف منها في الأمور الدالة على الفرح

(١) انظر الجزء الثاني من مجلة المجمع صفحات ٣٥ ، ٥٠ ، ٥٣ .

(٢) اختلف في الفرق بين جموع الكثرة والقلة . فقليل لأنها مختلفان مبدأ وغاية ؛ فالقلة
من ثلاثة إلى عشرة ، والكثرة من عشرة إلى مالا نهاية . وقيل إنها مختلفان غاية لا مبدأ ؛
فالقلة من ثلاثة إلى عشرة فقط والكثرة من ثلاثة إلى مالا نهاية . وهذا إذا كان الاسم ثلاثياً
وله صيغة الجمع . أما إذا كان زائداً على الثلاثة أو ثلاثياً وليس له إلا جمع واحد نحو أسباب
وكتب فجمعه مشترك بين القليل والكثير . وكثيراً ما تستعمل صيغة القلة في العدد الكثير ؛
وقد تستعمل صيغة الكثرة في القليل نحو ثلاثة قروء . وأما جمع السلامة مذكرة ومؤنثة فيرى
بعضهم أنه جمع قلة ؛ وإلى هذا ذهب ابن السراج ، ويقال إنه مذهب سيبويه . والصحيح أنه
مشترك بين القليل والكثير ؛ وقد ورد بها في القرآن : قال تعالى « واذكروا الله في أيام معدودات »
والمراد بها أيام التشريق وهي قليلة ؛ وقال كتب عليكم الصيام ... أياما معدودات » وهذه
كثيرة . انظر بعض تعليقات طرفة في هذا الموضوع بمعجم المصباح المنير صفحات ١٠٧٥-١٠٧٧ .

والحزن وتوابعهما ، والامتلاء والخلو وملحقاتهما ، والألوان ، والعيوب ، والحلية ،
والخوف ، والمرض : كفرح وطرب واطر وأشر وغضب وحزن ؛ وكشبع ورزوى
وسكر وعطش وظمى وصدى ؛ وكحمر ؛ وكعور وعمش ؛ وكغيد وهيف ولى ؛
وكفزع وفرق (خاف) ؛ وكمرض وسقم ... الخ .
وتجىء صيغة « فَعْلُ يَفْعُلُ » وما تصرف منها في الأمور الدالة على الأوصاف
الثابتة كشرف وحسن ووسم وحلم وكبر وجرو وسهل وصعب وجبن وصغر وسفه
وقبح وحقر ووضع ... وهلم جرا .

وتجىء صيغة « أَفْعَلُ » المزيد وما تصرف منها للدلالة على معان كثيرة أهمها
التعدية كأقمت محمداً وأقعدته وأقرأته ؛ وملكية الشيء كألبن وأتمر وأفلس (صار
ذا لبن وتمر وفلوس) ؛ والدخول في المكان والزمان كأشام وأغرق وأصبح
وأمسى (دخل في الشام والعراق والصبح والمساء) ؛ والاستحقاق كأحصد الزرع
(أى استحق الحصاد) ؛ وتعريض الشيء لأمر ما كأرهننت المتاع وأبعته (عرضته
للرهن والبيع) ؛ والتمكن كأحفرته الأرض أى مكنته من حفرها . وقد رأى
مجمع فؤاد الأول للغة العربية أن هذه الصيغة قياسية في المعنى الأول وهو التعدية
معتمداً في ذلك على مذهب سيبويه والأخفش والفراسي ، فأصدر قراره الآتى :
« يرى المجمع أن تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسية »^(١) .

وتجىء صيغة « فاعل » المزيد وما تصرف منها للدلالة على المشاركة في الفعل
بين اثنين فأكثر كقاتل وضارب ؛ وعلى الموالاة كتابع الصوم والبيتة .
وتجىء صيغة « فَعَلَّ » وما تصرف منها للدلالة على معان كثيرة أهمها التكثير
في الفعل كقتل وطوف وعلق ؛ والتعدية كعلم وفرح ؛ وصيرورة الشيء شيئاً
بشيء آخر كقوس محمد وحجر الطين أى صار شبه القوس في الانحناء وشبه
الحجر في الصلابة ؛ ونسبة الشيء إلى أصل الفعل كزكيت فلاناً وعدلته وفسقته

(١) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع ، صفحات : ٣٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

وكفرته أى نسبه إلى الزكاة والعدالة والنسق والكفر؛ والتوجه إلى الشيء كشرقت وغربت؛ واختصار حكاية الشيء كهلل وسبح ولبي وأمن؛ وقبول الشيء كشفعته أى قبلت شفاعته. « انفعَل » صيغة « انفعَلَ » فتحة راء وتجيء صيغة « انفعَلَ » وما تصرف منها للدلالة على المطاوعة كتقطعته فاقطع وكسرتة فانكسر. وقد رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية قياسية هذه الصيغة في المعنى السابق فأصدر قراره الآتى: « كل فعل ثلاثى متعد دال على معاملة حسية فمطاووعه القياسى « انفعَلَ »؛ ما لم تكن فاء الفعل واوياً أو لاماً أو نوناً أو ميماً أو راءً وتجمعها قولك « ولنمر » فالقياس فيها افتعل^(١) ».

وتجيء صيغة « افتعل » وما تصرف منها لعدة معان أهمها الاتخاذ كاختتم واختدم (أى اتخذ خاتماً وخادماً)؛ والاجتهاد والطلب كما كتسب واكتتب (أى اجتهد وطلب الكسب والكتابة)؛ والتشارك كاختصم فلان وفلان واختلفاً؛ والإظهار كاعتظم (أى أظهر العظمة)؛ والمبالغة فى معنى الفعل كاقندر (بالغ فى القدرة)؛ ومطاووعة الثلاثى كعدلته فاعتدل وجمعه فاجتمع. وقد رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية قياسية هذه الصيغة فى مطاوعة الثلاثى المتعدى الدال على معان حسية إذا كانت فاؤه واوياً أو لاماً أو نوناً أو ميماً أو راءً. وقد ذكرنا قراره بهذا الصدد فى الصيغة السابقة.

وتجيء صيغة « تفعل » وما تصرف منها للدلالة على معان كثيرة أهمها مطاوعة فعل مضعف العين كنبهته فتنبهه وكسرتة فتكسر؛ والاتخاذ كتوسد ثوبه أى اتخذه وساده؛ والتكلف كتصبر أى تكلف الصبر؛ والتجنب كتخرج وتهد أى تجنب الحرج والمهجود؛ والتدرىج كتجرع الماء وتحفظ العلم أى شرب الماء جرعة بعد أخرى وحفظ العلم مسألة مسألة. — وقد رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية قياسية هذه الصيغة فى مطاوعة فَعَلَ ما لم يكن تضعيفه للتعدية

(١) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع، صفحات: ٣٦، ٢٢٢، ٢٢٣.

فقط ، فأصدر قراره الآتي : « قياس المطاوعة لفعل مضعف العين « تفعل »
والأغلب فيما ضعف للتعديّة فقط أن يكون مطاوعه ثلاثيه^(١) .
وتجىء صيغة « تفاعل » وما تصرف منها للدلالة على معان كثيرة أهمها التشريك
بين اثنين فأكثر كتجاذباً وتخاصماً ؛ والتظاهر بالفعل كتجاهل وتغابي ؛ وحصول
الشيء بالتدريج كزيادة النيل وتواردت الإبل ؛ ومطاوعة فاعل كباعده فتباعده .
وقد أصدر مجمع فؤاد الأول للغة العربية بصدد هذه الصيغة القرار الآتي : « فاعل
الذي أريد به وصف مفعول له بأصل مصدره مثل باعده يتكون قياس مطاوعه
تفاعل كتباعده^(٢) .
وتجىء صيغة « استفعال » وما تصرف منها للدلالة على معان كثيرة أهمها
الطلب كاستغفر الله أى طلب غفرانه ؛ والضرورة الحقيقية أو المجازية كاستحجر
الطين واستنسر البغاث ؛ واعتقاد صفة الشيء كاستحسن كذا واستصوبه ؛
واختصار حكاية الشيء كاسترجع إذا قال إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ والقوة
كاستهتر واستكبر إذا قوى هتاره وكبره . — وقد رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية
قياسية هذه الصيغة في المعنيين الأولين فأصدر قراره التالي : « يرى المجمع أن
صيغة استفعال قياسية لإفادة الطلب والضرورة^(٣) .
وتجىء صيغة « تفاعل » وما تصرف منها للدلالة على معان كثيرة منها
مطاوعة فعلل وما ألحق به كدحرجته فتدحرج وجلببته فتجلبب . وقد رأى مجمع
فؤاد الأول للغة العربية قياسية هذه الصيغة في المعنى المذكور فأصدر قراره التالي :
« فعلل وما ألحق به قياس المطاوعة منه على تفاعل نحو دحرجته فتدحرج
وجلببته فتجلبب^(٤) .

(١) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٢) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٤) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحتي ٣٧ ، ٢٢٥ .

وأكثر ما تجيء صيغتا « افعلّ وافعالّ » للمبالغة في الألوان والعيوب نحو
أحمر وأحمار وأعور وأعوار .

وتستخدم في الغالب صيغة « افعوعل » وما شاكلها في الأفعال للدلالة على
المبالغة والتوكيد نحو اخشوشن الرجل في معيشته إذا بالغ في خشونة مأكله وملبسه
ونحوها ، واعشوشبت الأرض إذا كثرت عشبها وعما فلم يترك بها مكاناً خالياً ،
واحلولى الزمان إذا ذهبت منغصاته وبدت مسراته .

وتجيء صيغة « فَعَال » المبني على الكسر للدلالة على الأمر (اسم فعل الأمر)
كحذار ونظار وحضار وشتات ودراك وتراك^(١) .

(٢٥) الاشتراك اللفظي في اللغة العربية

تكلمنا بتفصيل فيما سبق عن الترادف وهو إطلاق عدة كلمات على مدلول
واحد^(٢) . وسندكر هنا كلمة فيما يقابل الترادف ، وهو الاشتراك اللفظي ، وذلك
بأن يكون للكلمة الواحدة عدة معان تطلق على كل منها على طريق الحقيقة
لا المجاز . وذلك كلفظ « الخال » الذي يطلق على أخى الأم ، وعلى الشامة في
الوجه ، وعلى السحاب ، وعلى البعير الضخم ، وعلى الأكمة الصغيرة ... ؛ وكلفظ
« إنسان » الذي يطلق على الواحد من بنى آدم ، وعلى ناظر العين ، وعلى الأنملة ،
وعلى حد السيف ، وعلى السهم ، وعلى الأرض التي لم تزرع ... ؛ وكلفظ
« الأرض » الذي يطلق على ما يقابل السماء ، وعلى النفضة والرعدة ، وعلى الزكام .
وقد اختلف الباحثون في مبلغ ورود المشترك اللفظي في اللغة العربية .

فذهب بعضهم إلى إنكاره بتاتا ، وعمل على تأويل أمثلته تأويلا يخرجها
من هذا الباب ، كأن يجعل إطلاق اللفظ في أحد معانيه حقيقة وفي المعاني الأخرى

(١) انظر المزهري للسيوطي الجزء الثاني ص ٧١ وتوابعها .

(٢) انظر ص ١٣٦ وتوابعها .

مجازاً . وعلى رأس هذا الفريق ابن درستويه^(١) .
وذهب فريق آخر إلى كثرة وروده وضرب له عدداً كبيراً من الأمثلة .
ومن هؤلاء الأصمعي والخليل وسيبويه وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وابن فارس
وابن مسعدة والنعالبي والمبرد والسيوطي . وقد وقف بعض أفراد هذا الفريق على
سرد أمثلة المشترك مؤلفات على حدة^(٢) .
والحق أن كلا الفريقين قد تنكب جادة الحق فيما ذهب إليه .
فمن التعسف محاولة إنكار المشترك إنكاراً تاماً وتأويل جميع أمثله تأويلاً
يخرجها من هذا الباب . وذلك أنه في بعض الأمثلة لا توجد بين المعاني التي يطلق
عليها اللفظ الواحد أية رابطة واضحة تسوغ هذا التأويل ، كما يظهر هذا من التأمل
في الأمثلة التي أوردناها في صدر هذه الفقرة .

غير أنه لم يكثر ورود المشترك في اللغة العربية على الصورة التي ذهب إليها
الفريق الثاني . وذلك أن كثيراً من الأمثلة التي ظن هذا الفريق أنها من قبيل
المشترك اللفظي يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها من هذا الباب .
فمن هذه الأمثلة ألفاظ نقلت عن معناها الأصلي إلى معان مجازية أخرى
لعلاقة ما ، فاعتبرت لذلك من المشترك وهي ليست منه ، وإليك مثلاً لفظ «الهلال»
الذي يطلق على هلال السماء ، وهلال الصيد (وهو آلة تشبه الهلال يعرقل بها
حمار الوحش) ، وهلال النعل (ذؤابته المشبهة للهلال) ، وهلال الإصبع المطيف
بالظفر ، والحية إذا سلخت ، والجمل الهزيل من كثرة الضراب ، وبقاى الماء في
الحوض . فمن الواضح أنه قد وضع في الأصل للدلالة على المعنى الأول ، وأن
إطلاقه على ما عداه من المعاني من قبيل المجاز لوضوح علاقة المشابهة بينها وبين
هلال السماء في صورته أو ضالته . وكل ما هنالك أنه قد كثر استخدامه في هذه

(١) انظر الجزء الأول من مزهر السيوطي ص ١٨٥ .

(٢) من أشهر من وقف على المشترك مؤلفات خاصة من القدماء الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد .

المعاني ، فلم يلاحظ فيها وجه المجاز وأصبح إطلاقه عليها في قوة استخدام الشيء في حقيقته^(١) . وما قيل في لفظ الهلال يقال مثله في كثير من الأسماء الأخرى التي ظن هذا الفريق أنها من قبيل المشترك اللفظي^(٢) ، ويقال مثله كذلك في الحروف التي تحمل أكثر من مدلول واحد ، وفي أفعال الماضي والمضارع التي تستعمل في الخبر تارة وفي الدعاء تارة أخرى . ومن الأمثلة التي ذكرها هذا الفريق ألفاظ أخرى جاءها الاشتراك من عوارض تصريفية . وذلك كأن تؤدي القواعد الصرفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة واحدة ، فينشأ عن ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة تؤدي إلى جعلها من قبيل المشترك وهي ليست منه إلا في الظاهر . وإليك مثلاً لفظ «وجد» : فإنه يجيء ماضياً من الوجدان بمعنى العلم بالشيء أو العثور عليه (فيقال وجدت الضالة إذا عثرت عليها ، ووجدت زيدا كريماً إذا علمته كذلك) ؛ ومن الموجدة بمعنى الغضب (فيقال وجدت عليه إذا غضبت) ؛ ومن الوجد بمعنى الحب الشديد (فيقال وجد به جداً إذا هوي به وتفانى في حبه) . ولفظ « الغروب » : فإنه يجيء مصدراً غربت الشمس مثلاً ؛ وجمعاً للغرب وهو الدلو العظيمة .

* * *

فإذا نحن حذفنا من قائمة الأمثلة التي ذكرها هذا الفريق ما يمكن أن يحذف على ضوء الملاحظات السابقة وما إليها ، فربما لا يبقى في باب الاشتراك اللفظي بمعناه الصحيح إلا مفردات قليلة .

(١) وفي ذلك يقول أبو علي الفارسي على ما رواه عنه ابن سيده : « اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب وتصير بمنزلة الأصل » . (المخصص لابن سيده ج ١٣ ص ٢٥٩) .
 (٢) من ذلك مثلاً لفظ « الحوت » الذي يطلق على السمك وعلى برج من بروج السماء (شكله على صورة الحوت) ؛ ولفظ « العين » الذي يطلق على الحاسة وعلى عين الماء وعلى أفضل الأشياء وأحسنها وعلى النقد من الذهب والفضة ؛ ولفظ « الحمل » الذي يطلق على الجذع من ولده الضأن وعلى برج من بروج السماء وعلى السحاب الكثير الماء وهلم جرا .

وقد نشأ الاشتراك بمعناه الصحيح في اللغة العربية من عوامل كثيرة أهمها
العاملان الآتيان :

١ — اختلاف اللهجات العربية القديمة . فبعض أمثلة المشترك جاءها الاشتراك
من اختلاف القبائل العربية في استعمالها ، ثم جاء جامعو المعجمات فضموا هذه
المعاني بعضها إلى بعض بدون أن يعنوا في كثير من الأحوال برجع كل معنى إلى
القبيلة التي كانت تستخدمه . وبعض أمثلته كانت تختلف معانيه كذلك في
الأصل باختلاف القبائل ، ولكن معانيه المختلفة قد انتقلت فيما بعد إلى لغة قريش
على النحو الذي شرحناه في الفقرات السابقة^(١) ، فأصبح يطلق فيها على جميع
هذه المعاني .

٢ — التطور الصوتي . فقد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير
أو الحذف أو الزيادة وفقاً لقوانين التطور الصوتي التي تكلمنا عنها بتفصيل في
في كتابنا « علم اللغة »^(٢) ، فيصبح هذا اللفظ متحدداً مع لفظ آخر يختلف عنه
في مدلوله .

(٢٦) التضاد في اللغة العربية

وهو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده ، كلفظ « الجون » الذي يطلق على
الأبيض والأسود ؛ و « الجلال » المستعمل في الجليل والهين ؛ (هذا مصاب جمل ؛
كل مصيبة تخطأتك جمل . فهو في المثال الأول بمعنى العظيم وفي الثاني بمعنى
الهين) و « أسر » المستعمل في الإخفاء وضده (فأسرَّها يوسف في نفسه ولم
يبيدها لهم ، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب : فهو في المثال الأول بمعنى الإخفاء
ويحتمل المعنيين في المثال الثاني) ؛ و « الصارخ » للمستغيث والمغيث ؛ و « البين »
بمعنى الفراق والوصل ؛ و « الخشيب » من السيوف الذي لم يصقل ، وهو أيضاً

(١) انظر ص ١١٢ وتوابعها وآخر صفحة ١٣٩ ، وصفحتي ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) انظر صفحات ٢٦٠ — ٢٨٥ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

الذي أحكم عمله وفرغ من صقله ؛ و « المسجور » الذي يطلق على المملوء والفارغ ؛
و « الزاهق » الذي يطلق على المتناهي في السمن وعلى شديد الهزال ؛ و « البسل »
بمعنى الحلال والحرام ؛ و « الرجاء » المستعمل في الرغبة والخوف ... وهلم جرا .
فالتضاد نوع خاص من أنواع الاشتراك اللفظي السابق ذكره ؛ ولذلك اختلف
الباحثون بصدده وروده اختلافهم في المشترك اللفظي .

فقال قوم بعدم وروده في العربية وعملوا على تأويل أمثله تأويلاً يخرجها
من هذا الباب . ومن أشهر هؤلاء ابن درستويه ؛ فقد جحد الأضداد جميعها وكتب
في ذلك تأليفاً خاصاً سماه « إبطال الأضداد ^(١) » . وروى ابن سيدة في كتابه
« المخلص » أن أحد شيوخه كان كذلك « ينكر الأضداد التي حكاهها أهل
اللغة وأن تكون لفظاً واحدة لشيء وضده ^(٢) » .

وذهب فريق آخر إلى كثرة وروده ، وضرب له عدداً كبيراً من الأمثلة .
ومن هؤلاء الخليل وسيبويه وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وابن فارس وابن

سيدة وابن دريد والثعالبي والمبرد والسيوطي ^(٣) . فقد أحصى كل من السيوطي
وابن سيدة من الأضداد ما ينيف على المائة . بل إن بعض أفراد هذا الفريق

قد وقف مؤلفات على حدة لسرد أمثلة التضاد . ومن هؤلاء قطرب والأصمعي
وابن السكيت والصغاني وأبو بكر بن الأنباري والتوزي وأبو البركات بن الأنباري

وابن الدهان ^(٤) . ومن أشهر هذه المؤلفات وأنفسها كتاب الأضداد لابن الأنباري

(١) لم يصل إلينا لسوء الخط هذا الكتاب ، ولذلك لم نقف على وجه اليقين ، على الأسس
التي اعتمد عليها ابن درستويه في مذهبه .

(٢) المخلص لابن سيدة ج ١٣ ص ٢٥٩ س ٨ .

(٣) انظر المخلص لابن سيدة ج ١٣ ص ٢٥٨ — ٢٦٧ ؛ ونقح اللغة للثعالبي الفصل
السادس عشر من الباب الثلاثين ص ٣٢٨ ؛ والمزهر للسيوطي جزء أول ١٨٦ — ١٩٤ .

(٤) انظر كتاب « الأضداد » لقطرب ، و « الأضداد » للحسن بن محمد بن الحسن
الصغاني (كلاهما في مخطوطات مكتبة برلين) ، و « كتاب الأضداد » للأصمعي ، « الأضداد »
لابن السكيت (كلاهما في مخطوطات مكتبة فيينا) ، و « كتاب الأضداد » لأبي بكر بن الأنباري
(وهو مطبوع متداول ومن أنفس ما وصل إلينا في هذا الموضوع) . وذكر المبرد والسيوطي
كتاباً في الأضداد أعيد الله بن محمد بن هارون التوزي . وذكر السيوطي في كتابه المزهر كتاباً
في الأضداد لأبي البركات بن الأنباري ولابن الدهان .

الذي أحصى فيه من هذا النوع ما زاد على الأربعمائة .
 وكلا الفريقين قد تنكب جادة القصد فيما ذهب إليه .
 فمن التعسف إنكار التضاد ومحاولة تأويل أمثله جميعاً تأويلاً يخرجها عن
 هذا الباب كما فعل الفريق الأول . وذلك أن بعض أمثله لا تحتمل أى تأويل
 من هذا القبيل ؛ حتى إن ابن درستوية نفسه ، وهو على رأس المنكرين للتضاد ،
 قد اضطر إلى الاعتراف بوجود النادر من تلك الألفاظ إذ يقول : « وإنما اللغة
 موضوعة للإبانة عن المعانى ، فلو جاز لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين
 أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تعميمه وتغطية ؛ ولكن قد يجيء
 الشيء النادر من هذا لعل ... »^(١) .

غير أنه لم يكثر وروده في اللغة العربية على الصورة التي ذهب إليها الفريق
 الثانى . وذلك أن كثيراً من الأمثلة التي ظن هذا الفريق أنها من قبيل الأضداد
 يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها عن هذا الباب .

ففي بعض الأمثلة قد استعمل اللفظ في ضد ما وضع له مجرد التفاؤل كالمفازة
 في المكان الذي تغلب فيه الهلكة ، فقد سميت بذلك تفاعلاً بالسلامة^(٢) ؛
 وكالسليم للمدوغ^(٣) ؛ وكالريان والناهل للعطشان .

وفي بعضها قد استعمل اللفظ في ضده مجرد التهمك أو لانتقاء التلفظ بما يكره
 التلفظ به أو بما يمجج الذوق أو بما يؤلم المخاطب . وذلك كإطلاق لفظ العاقل
 على المعتوه أو الأحمق ، والخفيف على الثقيل ، والأبيض على الأسود ، والملائن
 على الفارغ^(٤) ، والمولى على العبد ، والبصير على الأعمى ... وهلم جرا .

(١) الزهر للسيوطى الجزء الأولى ص ١٨٥ .
 (٢) هذا على أنها مأخوذة من فاز إذا نجا وسلم ، ويصح أن تكون مأخوذة من فوز
 بتشديد الواو إذ مات لأنها مظنة الموت (انظر المصباح المنير) .
 (٣) من هذا ما نستخدمه في الإخبار عن شخص مريض إذ نقول ، « إنه في عافية » .
 (٤) يقال في مصر بعد شرب القهوة وما إليها إذ يطلب رفع الكوب الفارغ « خذ الملائن » .

وقد يحىء التضاد في الظاهر من انتقال اللفظ عن معناه إلى معنى آخر مجازي
لنكتة بلاغية أو لعلاقة ما . وذلك كما في قوله تعالى : « نسوا الله فأنسيهم » ؛
فالفعل الثاني غير مستعمل في معناه الأصلي ، لأن الله لا يجوز عليه السهو ، بل
مستعمل في معنى الإهمال والترك المقصود على سبيل الاستعارة ؛ وقد حسن هذه
الاستعارة ما تحققه من مشاكلة بين اللفظين وتجانس بين الجزاء والعمل . ومن
هذا القبيل كذلك لفظ « الكأس » الذي يطلق على الطرف وعلى المظروف
أى على الإبناء وما يملؤه . وقد يكثر استخدام الكلمة في ضد مدلولها عن هذا
الطريق فيتناسى فيها وجه الجواز ، ويصبح إطلاقها على ما يقابل مدلولها الأصلي في
قوة استخدام اللفظ في حقيقتها^(١) .

وقد يحىء التضاد في الظاهر من دلالة الكلمة في أصل وضعها على معنى
عام يشترك فيه الضدان ، فتصلح لكل منهما لذلك المعنى الجامع . وهذا ما يسميه
أحياناً علماء الأصول بالمشترك المعنوي . وقد يغفل بعض الناس عن ذلك المعنى
الجامع فيظن الكلمة من قبيل التضاد . ومثال ذلك « القرء » في إطلاقه على
الحيض والطمهر ؛ لأن معناه في الأصل الوقت المعتاد ، ومن ثم يستعمل في الحيض
والطمهر لأن كليهما وقت معتاد للمرأة ؛ و « الزوج » في إطلاقه على الذكر والأنثى ؛
و « الصريم » في إطلاقه على الليل والنهار (لأن معناه في الأصل ما ينصرم عن
شيء آخر وهذا يصدق على الليل والنهار لأن كليهما ينصرم عن صاحبه) ؛
و « شري » و « باع » في إطلاق كل منهما على البيع والشراء (لأن أصل
معناها المبادلة وهي متحققة في كلا الإجراءين) ؛ و « السرر » في إطلاقها على
أوائل الشهر وأواخره (لأن معنى « السرار » ما يصل بين الشهر السابق والشهر
اللاحق ؛ وهذا يصدق على أوائل الشهر وعلى أواخره) ؛ و « الصارخ » في
إطلاقه على المغيث والمستغيث (لأن المغيث يصرح بالإغاثة والمستغيث يصرخ

(١) وقد فطن إلى ذلك أبو علي الفارسي كما تقدم بيان ذلك في فقرة المشترك اللفظي
(انظر التعليق الأول بصفحة ٢١٧) .

بالاستغناء ، فعنى اللفظ متحقق في كليهما) . واعل من هذا القبيل لفظ « الجون »
في إطلاقه على الأبيض والأسود . فالظاهر أنه معرب لفظ « كون » الفارسي ،
ومعناه في الأصل اللون ، وهذا يصدق على الأبيض كما يصدق على الأسود (١) .
واعل منه كذلك لفظ « الجلل » في إطلاقه على العظيم والحقير . فالظاهر أنه
موضوع للعناية في الشيء فيصدق على الأمرين معاً ، كما ذهب إلى ذلك
ابن حبيب البصري .

وقد يجيء التضاد في الظاهر من اختلاف مؤدى المعنى الواحد باختلاف المواقع .
وذلك مثل كلمة « فوق » التي قالوا إنها قد تستعمل في ضد معناها الأصلي
فتأتى بمعنى دون ، كما في قوله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة
فما فوقها » أى فما دونها . والحق أنها في هذا المثال وما إليه تدل على معناها الأصلي ؛
إذ تفسير الآية ما يفوق الذبابة حقارة . فهي لم تستخدم بمعنى دون ، وإنما جاءها
هذا المدلول من مؤدى معناها الأصلي في مثل هذه الآية . ومن هذا القبيل قولنا
« فتحت القنطرة » إذ يزيد به أحياناً التعبير عن فتحها لمرور السفن وأحياناً التعبير
عن قفلها بعد مرورها ؛ وقولنا « قفلت القنطرة » إذ يزيد به أحياناً التعبير عن
قفلها بعد مرور السفن وأحياناً التعبير عن فتحها لمرورها . وذلك أن فتح القنطرة
للسفن يستلزم قفلها في وجه المارة ؛ كما أن قفلها بعد مرور السفن يستلزم فتحها في
وجههم . فاستعمال « فتح » في القفل و « قفل » في الفتح في مثل هذين التعبيرين
ليس من استعمال اللفظ في ضد معناه ، وإنما هو استعمال اللفظ فيما يؤدى إليه معناه
الأصلي وما يترتب عليه بالنسبة للمارة .

وقد تأتي بعض الأضداد من عوارض تصريفية . وذلك بأن تؤدى القواعد

(١) انظر القاموس المحيط جزء ٤ ، والألفاظ الفارسية المعربة للسيد أدى شيرازي ص ٤٩ .
هذا ، ويذهب الأب مرمجى - الدومنيكي إلى أن « هذه الكلمة من السريانية
Gawna ومعناها اللون من باب الإطلاق ، فنقلت إلى العربية بطريق التقييد ، فجاءت عند قبيل
بدلالة اللون الأبيض وعند فريق فحوى اللون الأسود » ، انظر كتابه « هل العربية منطوقية » ص ١٤٤ .

الصرفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة صرفية واحدة ، فينشأ عن ذلك لبس في معنى الصيغة المشتركة يؤدي إلى عدها من باب الأضداد وهي ليست منه في شيء . فمن ذلك لفظ « مرتد » الذي يقال للذي يرتد للشيء وللشيء يرتد . فمثل هذا اللفظ ينبغي أن يخرج من عداد الأضداد ، لاختلاف الأصل الذي اشتق منه . فهو إذا كان للفاعل فأصله مرتد بالكسر ، وإن كان للمفعول فأصله مرتد بالفتح ؛ واتحاد اللفظين جاء من الإدغام . ومن هذا القبيل ألفاظ المزداد والمختار والممتاز والمبتاع والمصطاد ... وهلم جرا .

فإذا نحن حذفنا من قائمة الأضداد التي ذكرها ابن الأنباري وأضرابه ممن بالغوا في إثبات التضاد ما يمكن أن يحذف على ضوء الملاحظات السابقة وما إليها ، فربما لا يبقى في باب التضاد بمعناه الصحيح إلا مفردات قليلة .

وقد نشأ التضاد بمعناه الصحيح في اللغة العربية من عوامل كثيرة أهمها

العوامل الثلاثة الآتية :

١ - اختلاف اللهجات العربية . فبعض الألفاظ قد جاءها التضاد من اختلاف القبائل في استخدامها ، وذلك كلفظ « وثب » المستعمل عند مضر بمعنى طفر وعند حمير بمعنى قعد^(١) ؛ وكلفظ « السدفة » : فإنها كانت عند تميم بمعنى الظلمة وعند قيس بمعنى الضوء ؛ وكلفظ « سجد » : فإن معناه انتصب عند قبيلة طيء وانحنى وتطامن إلى الأرض عند باقي القبائل ؛ وكلفظ « لمق » : ففي لغة

(١) يروون بهذا الصدد قصة طريفة في ذاتها ، وإن كان الظاهر أنها من صنع اللغويين . وملاحظتها أن رجلاً من بني كلاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة (وفي رواية أنه زيد ابن عبد الله بن دارم) وفد على ذي جدين ملك حمير ، فألقاه في متصيد له على جبل مشرف ، فلم عليه فقال له الملك : « ثب » يريد اجلس . فظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل . فقال : « ليعلم الملك أنني سامع مطيع » ؛ ثم وثب من الجبل فهلك . فقال الملك : « ما شأنه » . فقالوا له : « أبيت اللعن ، إن الوثب في كلام نزار الطفر » . فقال الملك : « ليست عربيتنا كعربيتهم » . (انظر الصحاح لابن فارس ص ٢٢ ؛ والمزهر للسيوطي الجزء الأول ص ١٩١) .

بني عقيل يقال لمقت الشيء ألمقه لمقا إذا كتبتة ، وفي لغات سائر قيس يقال
لمقته إذا محوته .

٢ — التطور الصوتي . قد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير أو
الحذف أو الزيادة وفقاً لقوانين التطور الصوتي التي تكلمنا عنها بتفصيل في
كتابنا « علم اللغة »^(١) ، فيصبح متجداً مع لفظ آخر يدل على ما يقابل معناه .

٣ — رجوع الكلمة إلى أصلين . وقد يكون السبب في ذلك راجعاً إلى
انشعاب الكلمة من أصلين : فتكون في دلالتها على أحد الضدين منحدره من
أصل ؛ وفي دلالتها على مقابله منحدره من أصل آخر . وفي هذه الحالة نكون
بصدد كلمتين لا كلمة واحدة . ويرجح هذا التأويل أو يحتمل الصدق في طائفة
كبيرة من الأضداد . فمن ذلك مثلاً « هجد » بمعنى نام وسهر : فمن المحتمل أن
تكون في معنى النوم منحدره من هداً إذا سكن ؛ وفي معنى السهر من جدّ
إذا جهد ، لما في السهر من الاجتهاد في منع النوم . ومن ذلك أيضاً « أبض »
بمعنى سكن وتحرك : فمن المحتمل أن تكون في معنى السكون منشعبة عن بض
في بضا وباض ... الخ ، بمعنى أقام وسكن ؛ وفي معنى التحرك منحدره من أب
الشيء إذا حرّكه . ولعل من ذلك أيضاً « سجد » بمعنى انحنى وانتصب :
فتكون في معنى الانحناء مأخوذة من سج بمعنى رمى ؛ وفي معنى الانتصاب من
سد ، لأن ما يسد شيئاً يرتفع فوقه فكأنه منتصب^(٢) .

(١) انظر صفحات ٢٦٠ — ٢٨٥ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

(٢) حاول الأب مرمرجي الدومنيكي أن يرجع إلى هذا العامل عدداً كبيراً من الأضداد .
وهو في ذلك يبحث عن الأصول الثنائية للكلمات ؛ لأنه يرى أن الأصول الأولى للكلمات العربية ثنائية
لا ثلاثية (انظر كتابه « هل العربية منطوية ، أبحاث ثنائية ألسنية » صفحات ١٣٥ — ١٤٤ ؛ وكتاب
« المعجمية العربية » ص ٢٢٩) . — وانظر في موضوع التضاد على العموم كلمة له مرحوم محمد الحضري
بك في كتابه الأصول صفحتي ١٧٤ ، ١٧٥ ؛ والمحاضرة التي القاها في مؤتمر اللغة والآداب العربية
الذي انعقد في تونس عام ١٣٥٠ هـ السيد محمد طاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي بالديار
التونسية (نشرت في الجزئين ٦ ، ٧ من المجلد السادس لمجلة الهداية التي تصدر في القاهرة) =

(٢٧) المجاز والكناية والنقل

واستخدام الجمل في غير أبوابها في اللغة العربية

يكثر في اللغة العربية استعمال الألفاظ والتراكيب في غير ما وضعت له لأغراض بلاغية ، كتوضيح المعنى والمبالغة في تقريره والإيابة عنه ، أو الإشارة إليه في قليل من اللفظ ، أو عرضه في صورة جذابة ... وهلم جرا . ويبدو هذا الاستعمال في عدة مظاهر يرجع أهمها إلى الأبواب الأربعة المدونة في عنوان هذه الفقرة .

١ — فيستخدم اللفظ أحياناً في غير ما وضع له لتشبيه أمر بأمر في صفة ما . ويسمى هذا « مجازاً بالاستعارة » . وهو استعارة « تصريحية » إن كانت في الاسم وذكر المشبه به مثل « يخرجهم من الظلمات إلى النور » ؛ و « مكنية » إن حذف المشبه به ورمز إليه بخاصة من خواصه مثل « يغمر كرمه المعوزين » ؛ و « تبعية » إن كانت في غير الاسم مثل « يلتهم العلم التهاما » .

ويستخدم اللفظ أحياناً في غير ما وضع له لعلاقة أخرى غير المشابهة بين المعنيين كعلاقة السببية والمسببية والمجاورة والكلية والجزئية واعتبار ما كان عليه الشيء أو ما يؤول إليه ... وهلم جرا ؛ ويسمى هذا « مجازاً مرسلًا » ، نحو « له

== عامي ١٣٥٢ ، ١٣٥٣) ؛ وكلمة تقيسة للأستاذ الدكتور منصور فهمي بك (باشا) مدير دار الكتب الملكية وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية (نشرها بالجزء الثاني من مجلة المجمع صفحات ٢٢٨ — ٢٤٤) . ومن أشهر من كتب في هذا الموضوع من المستشرقين العلامة الألماني « ردسلوب » الذي ألف رسالة نشرها عام ١٨٧٣ في جوتنجن بعنوان :
Th.M.Redslob : Die Arabischen Wörter mit en tgegengesetzten Bedeutungen.
والعلامة فردريك جيز F . Giese الذي كتب بحثاً في الأضداد ، جمع فيه ما ورد من ألفاظ الأضداد في الشعر الجاهلي ، وعنوانه :

Untersuchungen über die Addád auf grund von Stellen in Altarabischen Dichtern

على يد « أى نعمة سببها اليد ، و « ينزل لكم من السماء رزقا » أى مطراً يتسبب عنه الرزق ، و « إني أراني أعصر خمراً » أى عنباً يؤول إلى خمر ...
ويستخدم التركيب أحياناً في غير ما وضع له لتشبيه حالة بحالة ، كأن تقول « رمى عصفورين بحجر واحد » قاصداً التعبير عن تحقيقه غرضين بعمل واحد ، و « هو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى » قاصداً التعبير عن تروده بين الإقدام والإحجام في أمر ما ، و « هو ينفخ في غير فم ، ويخط على الماء » قاصداً التعبير عن عقم أعماله وعدم جدواها . ويسمى هذا المجاز في عرف علماء البيان « استعارة تمثيلية » .

وقد يسند الفعل إلى غير محدثه الحقيقي لغرض بلاغي ، ويسمى هذا في عرف علماء البيان « المجاز العقلي » ، وذلك كقولك « بنى الأمير المدينة » و « قتل القائد خمسين ألفاً من جيوش الأعداء » .

٢ — وتطلق العبارة أحياناً ويراد بها ما يترتب على مدلولها ويلزمه . ويسمى هذا « كناية » في عرف علماء البيان ، وذلك كقولك في الكناية عن الرقة وشدة التأثر : « مس الحرير يدمى بنانه » ، وعن الترف : « نؤوم الضحى » ، وعن الكرم : « اليمن يتبع ظله » ، وعن العظمة : « المجد يمشى في ركابه » ، وعن الفاقة : « يفترش الغبراء ويلتحف السماء » ، وعن الندم : « يقلب كفيه » (١) .

٣ — وقد يغلب استعمال اللفظ في غير ما وضع له على طريق من الطرق السابقة حتى ينسلخ عن معناه الأصلي أو يكاد ، ولا ينصرف الذهن عند إطلاقه إلا إلى هذا المعنى الجديد ، ويطلق علماء البيان على هذه الظاهرة اسم « النقل » .
ويبدو النقل في العربية في عدة صور أهمها الصور الأربع الآتية :

(١) أن يغلب استعمال اللفظ في معنى على سبيل المجاز لعلاقة المشابهة أو غيرها حتى يصير المعنى المجازي هو الذى ينساق إليه الذهن عند إطلاق اللفظ ؛ وذلك

(١) انظر تفاصيل الأمور السابقة جميعها في مؤلفات علم البيان .

ككلمة « الفصاحة » : فإن معناها الأصلي صفاء اللبني وذهاب رغوته ، ثم شاع استعمالها في صفاء القول وحسن بيانه لعلاقة المشابهة بين المعنيين ، حتى أصبح المعنى المجازي هو المتبادر من اللفظ عند إطلاقه .

(ب) أن يغلب استعمال اللفظ الموضوع في الأصل لمعنى كلي يتناول عدة جزئيات في جزئي خاص من هذه الجزئيات ، حتى يصير هذا المعنى الجزئي هو المتبادر منه عند الإطلاق ؛ وذلك ككلمة « الرث » : فإن معناها الأصلي الخسيس من كل شيء ، ثم غلب استعمالها في الخسيس مما يلبس ويفرش ، حتى أصبح هذا المعنى وحده هو الذي ينساق إليه اللفظ عند إطلاقه .

(ح) أن يغلب استعمال اللفظ الدال على معنى خاص في مدلول عام على طريق التوسع ، حتى يصير هذا المعنى العام هو المتبادر من اللفظ عند إطلاقه ؛ وذلك كلفظ « البأس » : فإن معناه الأصلي الحرب ، ثم غلب استعماله في كل شدة ، حتى أصبح هذا المعنى العام هو المتبادر إلى الذهن .

(د) أن ينقل اللفظ نقلاً مقصوداً من معناه الأصلي اللغوي إلى معنى اصطلاحى علمى أو مدنى لعلاقة ما بين المعنيين ، فلا يتجه الذهن عند استخدامه في هذه الشؤون الإصطلاحية إلى غير معناه الحديث . ومن ذلك ألفاظ الصلاة والصوم والزكاة والحج .. عند الفقهاء ؛ والفاعل والمفعول والظرف والجار والمجرور والحال والتمييز ... عند النحويين ؛ والإبدال والقلب والإعلال ... عند علماء الصرف ؛ والمقدمة والنتيجة والقضية والقياس ... عند المنطقيين^(١) .

٤ — وكثيراً ما تتحول الجمل عن أبوابها الأصلية لأغراض بلاغية . فتستخدم الجمل الإخبارية في أمور أخرى غير الإخبار كالاتماس أو الأمر نحو « تبيئني غداً » ؛ أو العتاب أو التأنيب نحو « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » ؛ أو التحسر أو الفخر أو المدح أو الاسترحام ... وهلم جرا . — وتتحول جمل

(١) انظر في موضوع النقل صفحات ٢٩٢ — ٢٩٤ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

الأمر والنهي عن أبوابها فتستخدم مثلاً في الدعاء أو التهديد أو التعجيز... وما إلى ذلك ؛ كقوله تعالى : « ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا » ، « اعملوا ما شئتم » ، « ايتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » . — وتتحول جمل الاستفهام عن بابها فتستخدم مثلاً في الأمر أو التهديد أو الاستبطاء أو الإنكار أو التعجب أو التهكم أو الفخر أو المدح أو تقرير المعنى وتوكيده... وما إلى ذلك ؛ كقوله تعالى : « فهل أتم منتهون ؟ » ، « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ » و « اصطفى البنات على البنين ؟ » ؛ وكقول الشاعر : « وهل بفتى مثلى على حاله نكر ؟ » ، وكقول الآخر :

« أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟ »

وتتحول الجمل الدعائية عن بابها فتستخدم للدلالة على التعجب أو زيادة التنبية أو توكيد الكلام... وما إلى ذلك ، نحو « قاتله الله ما أشعره » ، « ومن يعيش ثمانين حولاً لا أبلك يسأم » ، و « شكلك أمك ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم » ، « فهو لا يُنمى رَمِيته رميته ماله لا عدَّ من نفره » ،

« هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب ^(١) »

* * *

وقد كان للأبواب السابقة جميعاً فضل كبير في سمو الأساليب العربية ، وشدة تأثيرها في النفوس ، وقوة بلاغتها ، وحسن بيانها ، ومرونة تعبيرها ، ومطابقتها لمقتضيات الأحوال ، وما وصلت إليه من مكانة منقطعة النظير في ميادين

(١) انظر تفصيل ذلك في كتب « علم المعاني » فقد جرت العادة بالكلام عنه في هذا العلم ، مع أنه بموضوعات علم البيان ألصق .

هذا ، وأما ما يسمونه « التشبيه » الذي يتحقق في العبارات التي يذكر فيها المشبه والمشبه به مع إبقاء أداة التشبيه أو حذفها ، نحو فلان كالأسد أو فلان أسد ، فهو خارج عن هذا الباب كله ، إذ ليس فيه استخدام للكلمات ولا للجمل في غير ما وضعت له . (١)

الشعر والخطابة والنثر الفنى ومختلف فروع الآداب .
والمجاز والنقل على الأخص أثر جليل فى اتساع العربية ونموها وقدرتها على
التعبير على المعقولات المحضة ومعنويات الأمور . فكثير من الألفاظ العربية
الدالة على المعانى الكلية والظواهر النفسية منقولة فى الأصل من الأمور الحسية
عن طريق المجاز ، ثم شاع استعمالها فى معانيها الجديدة حتى أصبح إطلاقها عليها
من قبيل الحقيقة اللغوية .

وبفضل المجاز والنقل اتسعت اللغة العربية للعلوم والفنون على اختلاف
أنواعها وللحضارة على كثرة مظاهرها ، فهضت بالعلوم الشرعية واللغوية والطبيعية
والرياضية وعلوم النفس والاجتماع ، وصارت لسان الفلسفة والسياسة والقصاص
والصناعة والفن ومختلف ضروب المعاملات : وبالجملة لم تقف أمام أى مظهر من
مظاهر العلم أو الحضارة وقفة المتعثر الحائر ، بل خاضت فى مختلف مناحى القول ،
وقويت على التعبير عن شتى مظاهر التفكير .

هذا ، وقد اختلف العلماء فى شأن المجاز ومبلغ وروده فى اللغة العربية .
فذهب فريق على رأسه أبو إسحاق الأسفراينى إلى إنكاره بالمعنى الذى شرحناه ،
وزعم أن العرب قد وضعت الألفاظ لمختلف المعانى التى استخدمت فيها ، سواء فى
ذلك المعانى التى نسميها حقيقية والمعانى التى نسميها مجازية . فالعرب فى نظر
هؤلاء قد وضعت كلمة « الأسد » للحيوان المفترس وللرجل الشجاع ، ووضعت كلمة
« الغيث » للنبات كما وضعتها للمطر . وحجة هذا المذهب أن المجاز تجوز باللفظ
عن وضعه الأصلى إلى غيره ، « وهذا يستدعى منقولا عنه متقدما ومنقولا إليه
متأخرا . وليس فى لغة العرب تقديم وتأخير ؛ بل إن العرب قد نظقت فى كل
زمان ومكان بالحقيقة كما نظقت بالمجاز ... فجعل أحد المعانى حقيقة والآخر مجازا
ضرب من التحكم^(١) » . — وهذا المذهب ظاهر الفساد ؛ وقد بلغ دليله فى الوهن
والمغالطة درجة لا يستحق معها عناء المناقشة^(٢) .

(١) قلا عن المزهر للسيوطى جزء أول صفحتى ١٧٤، ١٧٥ مع بعض تصرف فى العبارة .

(٢) عنى بالرد عليه — مع أنه لا يستحق عناء ذلك — السيوطى فى مزهره . انظر

الجزء الأول ص ١٧٤ وتوابعها .

وذهب فريق آخر ، على رأسه ابن جنى ، إلى أن التجوز هو الغالب في اللغة العربية . وقد لجأ هذا الفريق إلى التعسف في تأييد مذهبه ، فعمد إلى كثير من التراكيب العربية الواردة عن طريق الحقيقة واحتال في تأويلها على صورة متكلفة تجعلها من قبيل المجاز . وإليك مثلاً مما وصل إليه ابن جنى في هذا السبيل إذ يقول : « إعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة ، ألا ترى أن نحو « قام زيد » معناه كان منه هذا القيام ، أي هذا الجنس من الفعل . ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام . وكيف يكون ذلك وهو جنس ، والجنس يطلق على جميع الماضي وجميع الحاضر وجميع الآتى من كل من وجد منه القيام . ومعلوم أنه لا يجتمع لإنسان واحد ، في وقت واحد ولا في أوقات ، القيام كله الداخل تحت الوهم : هذا محال . فحينئذ « قام زيد » مجاز لا حقيقة على وضع الكل موضع البعض للاتساع والمبالغة وتشبيه القليل بالكثير ... ومن ذلك أيضاً قولك : « خرجت فإذا الأسد » . ذلك أنك لا تريد أنك خرجت وجميع الأسد التي يتناولها الوهم على الباب : هذا محال . وإنما أردت فإذا واحد من هذا الجنس على الباب ، فوضعت لفظ الجماعة على الواحد مجازاً ... ومن ذلك أيضاً « جاء الليل » و « انصرم النهار » وكذلك « ضربت زيدا » ؛ لأن المضروب بعضه لا جميعه ... »^(١) . — ولا يقل هذا المذهب فساداً عن المذهب السابق ؛ والحجج التي اعتمد عليها أنصاره في تأييده والتي تقدم لك مثال منها ، تحمل هي نفسها دليل تعسفه و بطلانه .

والحق أن المجاز بالمعنى الذي شرحناه قد كثر وروده في اللغة العربية ، خلافاً لما يزعمه الفريق الأول ، وأن العرب قد توسعوا فيه ، وخاصة في الشعر والنثر الفنى والخطابة وفي لغة الآداب على العموم . ولكن من التعسف المبالغة في

(١) نقلاً عن المزهري للسيوطي الجزء الأول صفحتي ١٢٠ ، ١٧١ .

مبلغ وروده ومحاوله إدخال معظم التراكيب العربية في باب المجاز كما فعل الفريق الثاني .

*** * * * * *

وقد اختلف العلماء كذلك في قياسية المجاز والنقل . فبعضهم بالغ في تضيق الدائرة ، فلم يباح استعمال لفظ في معنى مجازي إلا إذا كان العرب قد استعملوه في هذا المعنى . فبمقتضى هذا المذهب لا يجوز لنا نقل لفظ من معناه الأصلي إلى معنى مجازي لم ينقله إليه العرب ، وإن كان بين المعنيين علاقة من تلك العلاقات المقررة في علم البيان . فلا يجوز أن نستعير لفظ « الغضنفر » مثلاً للرجل الشجاع إلا إذا ثبت أن العرب استعاروه له كما استعاروا له لفظ « الأسد » .

ولا يخفى ما في هذا المذهب من فساد ، وما يترتب على الأخذ به من تضيق مجال القول ، وإيصاد لمناحي البيان ، وقضاء على العربية بالمجود والعجز عن التعبير عما يجد في شئون الحضارة والاجتماع والعلوم والفنون .

ومعظم العلماء يرى قياسية المجاز والنقل . فيبيح استعمال اللفظ في غير ما وضع له على طريق المجاز ، أو نقله من معناه الأصلي إلى معنى اصطلاحى متى تحقق بين المعنيين علاقة من العلاقات المقررة في علم البيان والتي جرت عادة العرب أن يعتمدوا عليها في تعبيرهم المجازي .

وعلى هذا المنهج سار القدامى من العلماء والأدباء ، وتابعتهم المحدثون في مختلف العصور وشتى الأمم الناطقة بالضاد . وبفضل هذا المنهج اتسع فن البيان العربي ، وأحرزت اللغة ثروة كبيرة ، واتسعت للعلوم والفنون ومختلف مظاهر الحضارة كما سبق بيان ذلك^(١) .

ويزيد هذا المذهب تأييداً ما يسلكه أئمة اللغة فيما جمعه من المعجمات . « فإنهم يقصدون في كتبهم لبيان المعاني الحقيقية . ولو كان استعمال اللفظ على

(١) انظر آخر صفحة ٢٢٨ وأول صفحة ٢٢٩ .

سبيل المجاز موقوفاً على النقل لدعاهم الإحتفاظ بهذا الفن من البيان أن يلتزموا ،
بعد بيان المعانى الحقيقية ، ذكر المعانى التى استعمل فيها العرب اللفظ على وجه
المجاز ؛ وما رأيناهم يفعلون . ولا يقصد الزمخشري بتعرضه فى كتاب « أساس
البلاغة » للمعانى المجازية بعد الحقيقية أن يقصر المجاز على تلك الألفاظ ، ولا أن
يحجر على الناس التصرف فى تلك الألفاظ بنقلها إلى معان لم ينقلها إليها العرب ؛
وإنما قصده التنبيه على جانب عظيم من أساليب البلاغاء وتصرفاتهم فى المعانى
ليقتدى بهم الناشئون ^(١) .

غير أن صحة استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لا تتوقف على وجود العلاقة
فحسب ، بل تتوقف كذلك على توافر الشروط التى يشترطها علماء البيان بصد
هذه العلاقة إن كانت لهم شروط بصددها . فهم لا يكتفون مثلاً « فى إطلاق
اسم الشئ على ضده بعلاقة التضاد ، حتى يفيد معنى لطيفاً ، كالتبهم فى تسمية
قبيح المنظر قرأ ، أو التفاؤل كتسمية الصحراء مفازة ، أو اللسع سليماً . ولا
يجيزون تسمية الشئ باسم ما كان له ثم انقطع حتى صار الشئ متلبساً بصد
ما كان عليه ، كمن صار إلى الشيخوخة ، ليس لك أن تطلق عليه اسم الطفل
مراعياً علاقة أنه كان طفلاً . فإن سميت طفلاً لصغر عقله أو قلة تجاربه ، فقد
خرجت من علاقة التضاد إلى علاقة المشابهة . ولا يكتفون فى إطلاق الجزء على
الكل بعلاقة الجزئية ، حتى يكون للجزء مزيد اختصاص بالمعنى الذى يقصد
من الكل ، نحو « عين » تستعمل فى الجاسوس ، لأن للعين مزيد اختصاص
بجرفة التجسس ^(٢) .

وللدوق السليم كذلك « مدخل فى الحكم على بعض الاستعمال المجازى بالرد

(١) من مقال للأستاذ الخضر حسين بالجزء الأول من مجلة المجمع اللغوى ص ٢٩٥ .

(٢) انظر المرجع السابق صفحتى ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

أو القبول . فإطلاق الحلواء على البنين لا يخلو من علاقة المشابهة ، ولكن الذوق
يُمجّه كما يُمجّع استعارة ماء الملام^(١) .

هذا ، وقد كثر استخدام العرب لبعض المفردات في غير ما وضعت له ،
فاشتبه أمرها على كثير من جامعي المعجمات ، فعدوا بعض المعاني المجازية من
قبيل الحقائق اللغوية . ولم يعن بالترقية بين معاني الكلمة الحقيقية ومعانيها
المجازية إلا عدد قليل من أشهرهم الرمحشري في كتابه « الأساس^(٢) » .

(٢٨) أساليب اللغة العربية

واختلافها باختلاف الموضوعات ، الخيال في العربية ومادته

تسير أساليب اللغة وفقاً لقواعد كثيرة يرجع أهمها إلى ثلاث طوائف :

إحداها القواعد المتعلقة باستخدام المفردات والتراكيب في معانيها الأصلية
وإخراجها عن هذه المعاني ؛ وهي القواعد التي يسير عليها الأسلوب العربي بصدد
الحقيقة والتشبيه والمجاز والكناية والنقل ... وما إلى ذلك . ولشرح هذه النواحي
ومواطن استخدام كل منها وشروطه أنشئ علم خاص هو « علم البيان » . وقد
عرضنا لمسائله في الفقرة السابقة بالقدر الذي يتصل بموضوع هذا الكتاب .

وثانيتها القواعد المتعلقة بمطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال ؛ وهي القواعد
التي يسير عليها الأسلوب العربي بصدد تأكيد الكلام وإطلاقه ، والإطناب في

(١) المرجع السابق ص ٢٩٦ . وقد استخدم المجاز الأول المتنبي في قوله :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل

واستخدم المجاز الثاني أبو تمام في قوله :

صب قد استعذبت ماء بكائي

لا تسقى ماء الملام فاني

(٢) انظر في موضوع المجاز والنقل والكناية الجزء الأول من مجلة المجمع اللغوي صفحات

٢٩١ — ٣٠٣ ، والصاحبي لابن فارس ١٦٧ — ١٧٠ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ؛ والمزهر للسيوطي

الجزء الأول ١٦٩ — ١٧٧ ، ٢٠٤ — ٢٠٩ .

القول والابحاز فيه ومساواته لما يراد التعبير عنه ، وطرق استخدام الجمل الإخبارية والإنشائية ، وفصل الجمل بعضها عن بعض أو وصلها ، وقصر الحكم وتخصيصه ، وذكر جميع عناصر العبارة وحذف بعضها ، وتقديم بعض هذه العناصر على بعض ، وتعريفها وتنكيرها ... وهلم جرا . ولشرح هذه القواعد وأسباب تحقيقها لبلاغة الكلام ومطابقته لمقتضى الحال أنشئ علم خاص هو « علم المعاني » .

وثالثها القواعد المتعلقة بما تتضمنه العبارات العربية أحياناً من محسنات لفظية ومعنوية لا تتصل باستخدام الألفاظ والجمل فيما وضعت له وفي غير ما وضعت له ولا تتوقف عليها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؛ وذلك كالقواعد الخاصة بالجناس والمقابلة والتورية والطباق وحسن التعليل وتوكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه وتجاهل العارف .. وهلم جرا . ولشرح هذه القواعد ومواطن استخدامها ووجوه تجميلها للعبارة أنشئ علم خاص هو « علم البديع ^(١) » .

وإن إلمامة بهذه الطوائف من القواعد لكافية في الدلالة على سمو الأساليب العربية ، ودقتها في الإفادة ، ومرونتها في التعبير ، وحرصها على جمال اللفظ وبلاغة القول ، وتوجيهها الوصول إلى الغرض عن أقرب الطرق ، وأوضحها بياناً ، وأشدّها أثراً في النفوس ، وأكثرها ملاءمة لمقتضيات الأحوال .

هذا ، وتختلف الأساليب العربية تبعاً لاختلاف فنون القول وما يمتاز به كل فن منها : الشعر ؛ النثر الأدبي ؛ الرسائل ؛ الخطابة ؛ القصة ؛ التاريخ ؛ القانون ؛ تدوين العلوم ... الخ . وذلك أن كل فن من هذه الفنون يختلف عما عده في طبيعته وموضوعاته وأغراضه البيانية ، وخطته في الاستدلال ، وصلته بمناحي الإدراك والوجدان ، ومبلغ نشاط المشتغلين به ، وما يخترعونه من اصطلاحات ،

(١) يذهب فريق من العلماء إلى أن المحسنات البديعية يتصل بعضها بموضوع علم البيان ، وبعضها الآخر بموضوع علم المعاني ، ولذلك رأى عدم الحاجة إلى علم البديع وتوزيع موضوعاته بين هذين العلمين .

وينشئونه من مناهج ، ويقتبسونه من اللغات الأخرى من طرق وأفكار ...
وهلم جرا . وغنى عن البيان أن الاختلاف في هذه الأمور وما إليها يؤدي حتماً إلى
اختلاف كل فن من هذه الفنون عما عداه في أساليبه . وقد اتسعت في اللغة
العربية مسافة الخلف بين هذه الفنون ، وخاصة في العصور الحديثة ، حتى تميزت
أساليب كل منها تميزاً واضحاً عن أساليب ما عداه : فبمجرد سماع عبارة عمرية
يستطاع بسهولة ، على ضوء أسلوبها ، معرفة الفن الذي تتصل به ، والحكم
عليها إن كانت شعراً أم خطابة أم رسالة أم مقالا صحفياً أم بحثاً علمياً ... إلى
غير ذلك .

ومن أهم هذه الفنون ما يسمونه « فنون الأدب » وهي فنون الشعر والنثر
الفني والرسائل والقصة والخطابة وما إلى ذلك . وتمتاز هذه الفنون عما عداها بأن
ما يتخذها غيرها مجرد وسيلة تتخذها هي من أهم غاياتها ، وتوجه نحوه أكبر قسط
من العناية . ففي جميع الشعب الأخرى (العلوم ، الفلسفة ، التاريخ ...) يتخذ
الكلام مجرد وسيلة للتعبير عن الحقائق . أما في هذه الشعبة فيتخذ البيان نفسه
غرضاً في ذاته ويوجه إلى تجويده أكبر قسط من الجهود . فأهم ما يقام له وزن
في « فنون الأدب » هو جمال القول ، ورقة الأسلوب ، وحسن البيان ،
وبلاغة التعبير .

وتنقسم « فنون الأدب » نفسها أقساماً كثيرة ، أهمها الشعر وملحقاته ،
والنثر الفني ، والرسائل ، والخطابة ، والقصة . ويختلف كل فن من هذه الفنون
عن إخوته في طبيعته ، وموضوعاته ، وأغراضه ، ومواطن استخدامه ، ومقدار
صلته بالوجدان والإدراك ، ومبلغ نشاط المشتغلين به ، وما ناله على أيديهم من
تطور وتجديد . وقد ترتب على ذلك أن كان لكل فن منها أساليبه الخاصة ،
ومميزاته اللغوية ، وخصائصه في النظم والوزن ، والتأليف والموسيقى ، وجرس
الألفاظ ، وتركيب الجمل ، وطريقة الاستدلال ، وعرض الحقائق .

وأهم ما يمتاز به الشعر عن إخوته أنه يتجه أولاً بالذات إلى مخاطبة الوجدان
والعواطف لا الإدراك والتفكير ، وأن غرضه الأساسي هو الإيحاء بالحقائق
والإحساسات لا شرح المسائل وتقريبها إلى الأذهان . ولذلك يسيطر على أساليبه
الخيال ، ويكثر في عباراته التشبيه واستخدام الكلمات والعبارات في غير ما وضعت
له عن طريق المجاز والسكنانية ، ويبدو فيه النفور من تحليل الحقائق ، وكره
التعمق في الشرح والاستدلال . أما نظم العبارات في أوزان خاصة فليس شرطاً
أساسياً في الشعر : فإذا توافرت الصفات السابقة في كلام منشور اعتبر شعراً في
الاصطلاح الأدبي ؛ وإن جنح كلام منظوم إلى الشرح والاستدلال والتعمق في
توضيح الحقائق ، وتغلبت فيه وجهة الدلالة على وجهة الإيحاء والتأثير ، فإنه لا يعد
شعراً على الرغم من أوزانه وقوافيه .

* * *

هذا ، ومما تقدم في هذه الفقرة وفي الفقرة السابقة يتبين مبلغ ارتفاع الأساليب
العربية بالخيال ، ومدى استخدامها في مختلف الموضوعات ، وأثره في دلالة الألفاظ .
أما مادة هذا الخيال ، أي المعين الذي تقتبس منه عناصره ، فقد اختلفت
باختلاف البيئات والأمم والعصور : فتأثرت في كل بيئة بمقوماتها الطبيعية
والاجتماعية ، وما تشتمل عليه من شئون ، وتوحى به من اتجاهات ؛ وفي كل أمة
بنظمتها الخاصة ، وأساليب حياتها ، وما وصلت إليه في سلم الارتقاء المادي
والمعنوي ؛ وفي كل عصر بنزعاته العامة ، ودرجة حضارته ، وما جرى فيه من
أحداث ... كما ترى ذلك مفصلاً في كتب « أدب اللغة العربية » و « تاريخ
الأدب العربي » .

(٢٩) الدخيل في اللغة العربية

المعرب والأعجمي المولد

يراد بالدخيل ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية ، سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم ، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين . وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري (ويسمون هذه العصور « بعصور الاحتجاج » كما سبقت الإشارة إلى ذلك)^(١) ، وأن المولدين هم من عدا هؤلاء ولو كانوا من أصول عربية . ويطلق على القسم الأول من الدخيل ، وهو ما استعمله فصحاء العرب إسم « المعرب » ؛ وعلى القسم الثاني منه ، وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعربها فصحاء العرب ، اسم « الأعجمي المولد » .

والعامل الرئيسي في دخول هذه المفردات يرجع إلى ما أتيج للشعوب الناطقة بالعربية من قبل الإسلام ومن بعده من فرص للاحتكاك المادى والثقافى والسياسى بالشعوب الأخرى ، وما نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعى للحضارة العربية من ظهور مستحدثات لم يكن للعرب ولا للغتهم عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد والصناعة والزراعة والتجارة والعلوم والفلسفة والآداب والدين ومختلف مناحى السياسة والاجتماع^(٢) .

فقد توثقت العلاقات المادية والسياسية منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم الآراميين في الشمال عن طريق التجارة والهجرة والرحلات وامتزاج بعض قبائل أرامية بالعالم العربى في الحجاز نفسه أو على تخومه . وكان من آثار ذلك أن انتقل

(١) انظر ص ١٣٩ .

(٢) انظر النواميس العامة التى يخضع لها انتقال المفردات من لغة إلى لغة فى صفحات

إلى اللغة العربية كثير من مفردات اللغة الآرامية، وخاصة المفردات المتصلة بمظاهر الحياة الحضرية وما إليها من الأمور التي لم تكن مألوفة في البيئة العربية الأولى، والألفاظ المتعلقة بمنتجات الصناعة وشئون التفكير الفلسفي وما وراء الطبيعة كما تقدمت الإشارة إلى ذلك^(١).

ولم يكن ما أتيح للعرب من فرص للاحتكاك بجيرانهم الآراميين في الشمال شيئاً مذكوراً بجانب ما أتيح لهم من فرص للاحتكاك بجيرانهم اليمنيين في الجنوب. فقد كانت العلاقات الثقافية والاقتصادية والدينية على أقوى ما يكون بين الشعبين. وقد هاجر، فضلاً عن ذلك، إلى بلاد العرب، منذ عصور سحيقة في القدم، كثير من القبائل اليمنية، وخاصة قبائل معين وخزاعة والأوس والخزرج، وتآلفت منهم هناك جاليات قوية امتزجت بالعرب كل الامتزاج. وكانت الرحلات العربية إلى بلاد اليمن للتجارة وغيرها لا يكاد يخلو منها فصل من فصول السنة. ومع أن هذا الاحتكاك قد انتهى بتغلب العربية على اليمنية، فقد انتقل في أثناءه إلى اللغة الغالبة كثير من مفردات اللغة المغلوبة^(٢).

وقد نشأ بين الأحباش والعرب، وخاصة عرب اليمن في الجنوب، منذ أقدم العصور روابط وثيقة في ميادين السياسة والثقافة والاقتصاد، وأتيح للشعبيين ولغتيهما مجال واسع للاحتكاك والتبادل الثقافي. فانتقل عن هذا الطريق كذلك إلى اللغة العربية عدد غير يسير من مفردات اللغة الحبشية.

ثم أدت الفتوح العربية بعد الإسلام إلى احتكاك العرب وامتزاجهم بكثير من الشعوب التي لم يتصلوا بها من قبل أو كان اتصالهم بها ضيق النطاق محدود الآثار. وقد نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعي للحضارة العربية أن ظهرت مستحدثات كثيرة لم يكن للعرب عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والإنتاج الفكري. فانتقل من جراء ذلك إلى اللغة العربية

(١) انظر ص ١٢٤.

(٢) انظر ص ١٢٤.

(٢) انظر ص ١٢٥.

وإلى اللغات العامية المتفرعة منها عدد كبير من مفردات اللغات الفارسية والسريانية واليونانية والتركية والكردية والقبطية والبربرية والقوطية . وقد ظهرت آثار اللغات الثلاثة الأولى في أسنة فصحاء العرب أنفسهم في العصور التي اصطلاح على تسميتها « بعصور الاحتجاج » . وكان أظهرها أثراً الفارسية فالسريانية ، وأقلها أثراً اللغة اليونانية ، إذ لم ينتقل منها إلى العربية بشكل مباشر في هذه العصور إلا قليل من المفردات ، وإن كان قد انتقل إليها كثير منها عن طريق اللغة السريانية (انجيل ، اسطوانة ، اسقف ، ناموس ، اسفنج ... الخ) . أما اللغات الخمس الأخيرة فلم تسكد تظهر آثارها بصورة واضحة إلا في لغات المولدين وفي اللهجات العامية المنسعبة عن العربية في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب . وقد أتيح للغة العربية ولهجاتها العامية في أثناء الحروب الصليبية فرص للاحتكاك باللغات الأوروبية الحديثة . فانتقل إليها على أثر ذلك بعض مفردات من هذه اللغات . وفي العصور الحاضرة كثرت فرص هذا الاحتكاك وتنوعت أسبابه تبعاً لتوثق الروابط الاقتصادية والسياسية والثقافية بين شعوب أوروبا والأمم الناطقة بالعربية ، وتبادل البعثات العلمية ، وكثرة عدد الجاليات الأوروبية في الشرق ، وترجمة منتجات الفرنجة إلى اللغة العربية . فانتقل من جراء ذلك إلى لغة الكتابة العربية وإلى اللهجات العامية مجموعة كبيرة من مفردات اللغات الأوروبية في شئون السياسية والاجتماع ومنتجات الصناعة ومصطلحات العلوم والفنون ... وما إلى ذلك .

هذا ، وكثير من الكلمات الأعجمية التي دخلت اللغة العربية يوجد لها نظائر في مفردات هذه اللغة أو يمكن أن يشتق لها نظائر من مفرداتها . وقد كثر دخول هذا النوع من الكلمات في اللغة العربية عند ما توغل الباحثون في ترجمة العلوم اليونانية والهندية ، وكان الفصحاء قد انقضوا من الأمصار ، وتولى الترجمة بعض مستعربة الأعاجم ممن لم تستحكم مرتتهم في العربية ، فعجزوا عن ترجمة بعض

الألفاظ الأعجمية مع وجود مرادف لها في العربية ، ودونوا ما كان العرب لا يعرفونه من أصناف الحيوان والنبات بأسمائها الأعجمية ، واستعمل فلاسفة الإسلام وأطبائهم هذه الألفاظ ، وخاصة من كان منهم من سلالات أعجمية كالفارابي والرازي وابن سينا .

غير أن هذه الظاهرة ليست مقصورة على الألفاظ المولدة ، بل تتحقق كذلك في بعض المفردات الأعجمية التي استعملها فصحاء العرب أنفسهم في جاهليتهم وإسلامهم . فقد جرى على ألسنتهم كلمات أعجمية كثيرة لم تدع إليها حاجة ماسة لوجود نظائرها في لغتهم ، وإنما دعت إليها عوامل الاحتكاك اللغوي .

وبعض هذه المفردات المعربة أخذ تغلب على مرادفه العربي شيئاً فشيئاً حتى قذف به في زوايا النسيان . فمن ذلك مثلاً ألفاظ الورد والزرجس والياسمين والمسك والتوت والبادنجان والكوسج والهون والطاجن والإبريق والديديان والرصاص والميزاب واللوبياء والفالودج . فقد قضت هذه الألفاظ أو كادت تقضي على نظائرها العربية وهي الحوجم والعبر والسمسق والمشوم والفرصاد والحدج والإيظ والمهراس (أو المنحار) والمقلبي والتامورة والعين والصرقان والمشعب والدجر والمبرت والسرطراط^(١) . ولعل اتصال هذه المفردات وما إليها بأمر اختص بها الأعاجم ، أو برزوا فيها ، أو امتازوا بإنتاجها وكثرة استخدامها ، أو كان ارتباطها بمظاهر حضارتهم أو ثق من ارتباطها بمظاهر الحضارة العربية ... لعل ذلك وما إليه كان له بعض الأثر في انتقال هذه المفردات إلى ألسنة العرب وتغلبها على نظائرها في لغتهم . ولعل خفة بعضها وثقل نظائرها العربية على اللسان كان لها كذلك شيء من الأثر في انتقالها وتغلبها .

على حين أن بعضها — على عكس ذلك — قد ضعف عن منافسة مرادفه

(١) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع اللغوي ٣٢٦ ، ٣٢٧ والجزء الأول من المزهري

العربي فقل استعماله . فمن ذلك مثلاً ألفاظ البوصى والجرذقة والقيروان والسبخجل
والموزج والقومس . فقد قل استعمال هذه المفردات لضعفها عن منافسة نظائرها
العربية وهي السفينة والرغيف والجماعة من الخيل والمرأة والخف والأمير .
* * *

ومن المقرر أن الكلمات المقتبسة تخضع للأساليب الصوتية في اللغة التي
اقتبستها ، فتنشكّل في الصورة التي تتفق مع هذه الأساليب ، وينالها من جراء
ذلك بعض التحريف في أصواتها وأوزانها وطريقة نطقها ، وتبعد في جميع هذه
النواحي أو في بعضها عن صورتها الأولى ^(١) . وهذا هو ما يحدث للكلمات التي
اقتبستها العربية في مختلف عصورها عن اللغات الأخرى .

وباستقراء مظاهر التحريف التي لحقت الكلمات الأعجمية المعربة (أي التي
جرت على السنة الفصحاء من العرب في عصور الاحتجاج) يتبين أنها ترجع إلى
نوعين : تحريف في الأصوات ؛ وتحريف في الأوزان .

أما التحريف في الأصوات فكان يحدث تارة بزيادة أصوات ساكنة
أو ليننة (أصوات مد طويلة أو قصيرة) لم تكن في بنية الكلمة الأعجمية ؛
وتارة بحذف أصوات من بنيتها ؛ وتارة باستبدال أصوات ببعض أصواتها الأصلية ؛
وكثيراً ما كان ينال الكلمة الواحدة جميع هذه التغييرات أو معظمها . —
والأصوات الساكنة التي كان يستبدل غيرها بها كانت في الغالب من الأصوات
التي لا توجد في اللغة العربية . ففي معظم الكلمات استبدل بالأصوات التي من
هذا النوع أصوات عربية قريبة منها في الخرج ؛ وفي كلمات قليلة استبدل بها
أصوات بعيدة عنها في الخرج . فالصوت الذي بين الجيم والكاف مثلاً استبدل
به أحياناً صوت الجيم العربية ، وأحياناً صوت الكاف ، وأحياناً صوت القاف ؛
الكرجج أو القرجج أو القربق (وهو الحانوت) ؛ والصوت الذي بين الفاء والباء v

(١) انظر صفحتي ٢١٣ ، ٢١٤ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

استبدل به أحياناً صوت الفاء وأحياناً صوت الباء : فرند السيف أو برنده .
وبعض الكلمات الأعجمية نالها هذا الإبدال بدون ضرورة صوتية تدعو إليه .
فمن ذلك متلاً أصوات اللين الطويلة (الألف والياء والواو) والقصيرة (الفتحة
والكسرة والضمة) التي استبدل بعضها ببعض في كثير من الكلمات المعربة .
ومن ذلك أيضاً بعض الأصوات الساكنة : كصوت الشين الذي استبدل به
السين في مثل إسماعيل وسراويل ودست ونيسابور^(١) ؛ وصوت الهاء الذي
استبدل به الجيم في مثل كوسج^(٢) (وهو الذي لا شعر على عارضيه) . ولعل
وقوع الهاء في مثل الكلمة الأخيرة في موضع لم تألف العربية وضعها فيه (آخر
الكلمة) هو الذي عرضها لهذا الإبدال^(٣) .

وأما التحريف في الأوزان فكان نتيجة للتحريف في الأصوات . وذلك
أن زيادة أصوات على الكلمة أو حذف بعض أصواتها الأصلية ، أو تغيير بعض
أصواتها اللينة (الحركات أو حروف المد الطويلة) بأصوات لينة أخرى ،
كل ذلك يؤدي لا محالة إلى انحراف وزنها عن وضعة القديم . وقد أدى هذا
الانحراف بكثير من الكلمات العربية أن أصبحت أوزانها على غرار الأوزان
العربية ؛ وذلك مثل كلمات درهم وبهرج ودينار وديباج وجورب ؛ فقد أصبحت ،
بفضل ما دخلها من التغيير ، على أوزان كلمات عربية مثل هجرع (وهو الأحمق)
وسهلب (الرجل الطويل) وديماس (وهو الحمام) وجهور (وهو الفرس الذي
ليس بغليظ الصوت ولا أغنه) . وبعض الكلمات المعربة ظلت أوزانها غريبة
عن الأوزان العربية ، إما لأنه لم يدخلها تغيير في هذه الناحية ، وإما لأن ما دخلها

(١) أصل هذه الكلمات إسمائيل وسراويل ودشت ونيسابور .
(٢) وأصلها « كوله » .
(٣) يندر وجود الأسماء العربية المنتهية بهاء ، ويلاحظ أن التاء المربوطة ترمز إلى صوت
آخر غير صوت الهاء وإن كان يوقف عليها بالهاء .

من التغيير لم يصل بها إلى حدود هذه الأوزان : خراسان . آجر . . الخ .

وكثير من الكلمات الدخيلة قد تغير كذلك مدلوله في العربية عما كان عليه في لغته الأولى . فبعضها قد خصص معناه العام وقصر في العربية على بعض ما كان يدل عليه^(١) ؛ وبعضها عم مدلوله الخاص فأطلق على أكثر مما كان يدل عليه ؛ وبعضها استعمل في غير ما وضع له لعلاقة ما بين المعنيين ؛ وبعضها انحط إلى درجة وضعية في الاستعمال فأصبح من فحش الكلام وهجره مع أنه ما كان يستعمل في لغته الأصلية على هذا الوجه ؛ وبعضها سما إلى منزلة راقية فأصبح من نبيل القول ومصطفاه .

وقد عنى علماء اللغة بتمييز الكلمات الدخيلة وحصرها وألف بعضهم في ذلك مؤلفات على حدة^(٢) . ويظهر مما كتبوه بهذا الصدد أن الكلمات العربية ، وهي التي استعملها الفصحاء من العرب لاتعدو نحو ألف كلمة^(٣) .

ووضع بعضهم علامات عامة يميز بها كثير من الكلمات الدخيلة . ومن هذه العلامات أن تكون الكلمة مخالفة للأوزان العربية (إبريسم ، خراسان ، آمين ، جبريل ...) ؛ أو أن تكون فاؤها نوناً وعينها راء (نرجس ، نرد ، نرجيل ، نورج ...) ؛ أو أن تنتهي بدال فزاي (مهندز وقد قلبت زاية سيناً في تعريبها) ؛ أو أن تشمل على الجيم والصاد (جص ، صنج ، صوجلان ...) أو على الجيم والقاف (المنجنيق ، الجسوقة ، الجوالق وهي وعاء ، الجردقة وهي اسم

(١) من ذلك مثلاً « الجون » فإن معناه في الفارسية اللون على العموم ، ولكنه قصر في العربية على الأبيض والأسود .

(٢) انظر في ذلك مثلاً شهاب الدين الخفاجي : « شفاء العليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل » ؛ وأبا منصور الجواليقي : « المعرب من الكلام الأعجمي » .

(٣) الجزء الأول من مجلة المحجم اللغوي ، ص ٢٠٠ .

للرغيف ، الجرموق وهو ما يلبس فوق الخلف ، الجوسق وهو القصر ، جلق وهو موضع بالشام ...) ؛ أو أن تكون رباعية أو خماسية مجردة من حروف الذلاقة التي يجمعها قولك « مر بنفل » (جوسق ...) .

ومن أشهر المقدرات التي انتقلت من الفارسية إلى العربية في عصور الاحتجاج أسماء بعض الآنية والمعادن والأحجار الكريمة وألوان الخبز والطهي والأفاويه والرياحين والطيب والمنتجات الزراعية والصناعية والشئون الحربية التي اشتهر بها الفرس : مثل الكوز والإبريق والطشت أو الطست واخلوان والطبق والقصة والسُكَّرَجَة ... (من أسماء الآنية) ؛ والسمور والخبز والإبريسم والديباج والسندس والاستبرق ... (من أسماء الأقمشة) ؛ والياقوت والفيروزج والبلور ... (من أسماء الجواهر) ؛ والسميد والكعك والجردق ... (من ألوان الخبز) ؛ والفالودج ... (من الحلوى) ؛ والدارصيني والفلفل والكرويا والقرفة والزنجبيل والخلنجان ... (من الأفاوية) ؛ والزرجس والورد والبنفسج والسوسن والياسمين والجلنار ... (من الرياحين) ؛ والمسك والعنبر والكافور والصندل والقرنفل والجوز واللوز ... (من الطيب ومنتجات الزراعة) ؛ والدولاب والميزاب ... (من منتجات الصناعة) ؛ والخذق والعسكر ... (من الشئون الحربية) .

ومن أشهر ما انتقل إلى العربية في عصور الاحتجاج من اليونانية، عن طريق مباشر، أو عن طريق السريانية، أسماء بعض آلات الرصد والجراحة وبعض مصطلحات الطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية وأسماء بعض المعادن والوظائف والمنشآت المعمارية وأدوات البناء والموازن والأمتعة ... كالتقبرس (وهو أجود أنواع النحاس) والبطريق والقيطون (وهو البيت الشتوي) والقنطرة والفردوس (البستان) والقراميد (الأجر) والقسطاس (الميزان)

مناشير
الفارسية

والقنطار والبطاقة والسجنجل (المرآة) والاسطرلاب والنقرس والقولنج (مرضان)
والترياق (دواء السموم) ... وهلم جرا .
ومن أشهر ما عرب في عصور الاحتجاج من السريانية والعبرية : اليم
والطور والربانيون وطه وإبراهيم وإسماعيل وشراحيل وشرجيل والسموئل
وعادياء
ومن أشهر ما عرب في عصور الاحتجاج من الحبشية : المشكاة والكفل
والهرج والمنبر والأرائك^(١) .

الغريب
الغريب
الغريب

هذا ، ولا خلاف بين العلماء في جواز استعمال المعرب ، وهو ما استعمله
فصحاء العرب من كلمات دخيلة . وقد ورد كثير من الألفاظ المعربة في القرآن
الكريم نفسه وفي أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام^(٢) .

أما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور وما أدخله بعض الباحثين في
العصر الحاضر أو يرى إدخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالمتحركات
أو بالمصطلحات العلمية والفنية ، فقد رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية عدم جواز
استعماله « لأن في العربية غنية عنه ، ولأن في بطون معجماتها مئات الألوف من
الكلمات المهجورة ، الحسنة النغم والجرس ، الكثيرة الاشتقاق ، مما يصلح أن
يوضع للمسميات الحديثة بدون حدوث اشتراك ، لأن بعضها من مرادق الإهمال
والنسيان يصيرها كأنها موضوعة وضعاً جديداً »^(٣) . وقد عني الجمع بتطبيق

(١) لاستيعاب معظم الكلمات التي انتقلت إلى العربية من مختلف اللغات يرجع إلى السكتانيين
المذكورين في التعليق الثاني بصفحة ٢٤٣ وإلى نقه اللغة للثعالبي ٣١٤ — ٣١٩ وإلى الجزء
الأول من المزهرة للسيوطي صفحات ١٣٠ — ١٥٢ .

(٢) مما ورد في القرآن الكريم من الفارسية : سجيل واستبرق ؛ ومن الرومية :
الصراط والقسطاس والفردوس وشيطان وإبليس ؛ ومن الحبشية : أرائك وكفلين ؛ ومن السريانية
والعبرية : اليم والطور والقوم وطه والربانيون . وقد وضع الشيخ حمزه فتح الله رسالة خاصة في
المعرب من القرآن الكريم .

(٣) انظر الاحتجاج لقرارات الجمع اللغوي لأستاذنا المغفور له الشيخ أحمد الإسكندري
بصفحتي ٢٠١ ، ٢٠٢ من الجزء الأول من مجلة الجمع .

قراره هذا فوضع عدداً كبيراً من الأسماء العربية لمسميات حديثة جرت العادة باستخدام كلمات أجنبية في التعبير عنها^(١). غير أنه قد احتاط للحالة التي قد تدعو فيها ضرورة قاهرة إلى استخدام لفظ أعجمي في الشؤون العلمية والفنية ويتعذر إيجاد لفظ عربي يحل محله، فأجاز في هذه الحالة فقط استخدام اللفظ الأعجمي بعد صقله بالأساليب الصوتية العربية، وإليك نص قراره بهذا الصدد:

«يجوز الجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم»^(٢).

وقد شرح المغفور له أستاذنا الشيخ أحمد الإسكندري هذا القرار بما يفيد قصر الرخصة التي يتضمنها على حالات الضرورة التي أشرنا إليها، حيث يقول:

«فعبارة القرار تقتضي إجازة استعمال بعض الأعجمي في فصيح الكلام، وتقييده بلفظ «بعض» دون جنس الألفاظ يفيد أن المراد الألفاظ الفنية والعلمية التي يعجز عن إيجاد مقابل لها لا الأدبية ولا الألفاظ ذات المعاني العادية التي يتشدد بها مستعجمة زماننا من أبناء العرب»^(٣).

(٣٠) المولد في اللغة العربية

يريدون باللفظ المولد ما استعمله المولدون على غير استعمال الفصحاء من العرب؛ ويقصدون بفصحاء العرب عرب البدو بالجزيرة العربية إلى أواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار في هذه الجزيرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري؛ وبالمولدين من عدا هؤلاء ممن نشؤوا في البلاد الناطقة بالعربية.

(١) انظر مثلاً الجزء الأول من مجلة المجموع صفحات ٣٨—١٣٨ وخاصة ١١١—١٣٨؛ والجزء الثاني ٦٣—١٩٥؛ والجزء الثالث ٣٥—١٩١؛ والجزء الرابع ٨—١٦٦.

(٢) انظر الجزء الأول من مجلة المجموع ص ٣٣ وصفحات ١٩٩—٢٠٢.

(٣) الجزء الأول من مجلة المجموع ص ٢٠٢.

والألفاظ المولدة على أنواع أربعة :

(النوع الأول) ما استعمله المولدون من مفردات أعجمية لم يعربها فصحاء العرب . وقد تقدم الكلام على هذا النوع وحكم استعماله في الفقرة السابقة .

(والنوع الثاني) ما نقله المولدون بطريق التجوز أو الاشتقاق من معناه الوضعي اللغوي الذي عرف به في الجاهلية وصدر الإسلام إلى معنى آخر تعورف إما بين عامة الناس أو بين خاصة منهم كالتجويين والعروضيين والفقهاء والحاسبين والمهندسين والأطباء وغيرهم .

« وهذا النقل جار على أسلوب القياس العربي . فهو عربي مبين ؛ وهو عمدة الصناع والمؤلفين والمترجمين وواضعي العلوم . ومنه ومن العربي الأصيل تكون اللسان العربي الفصيح : لسان القراءة والكتابة والتعليم والإدارة »^(١) ، كما شرحنا ذلك في الفقرة الخاصة بالمجاز والكناية والنقل^(٢) .

(والنوع الثالث) ما حرف على ألسنة المولدين من مفردات اللغة العربية تحريفاً يتعلق بالأصوات أو بالدلالة أو بهما معاً ، ولا يمكن تخريجه على أصل من أصول اللغة الفصيحة . وهذا ما يسمى أحياناً بالعامي ، وأحياناً بالدارج .

(والنوع الرابع) ما جرى على ألسنة المولدين من المفردات التي ليس لها أصل معروف في اللغة العربية ولا في اللغات الأجنبية كالحشصة والحفلطة والشبرقة ... وما إلى ذلك .

وقد أصدر مجمع فؤاد الأول للغة العربية قراراً يحظر استخدام النوعين الأخيرين في فصيح الكلام^(٣) .

(١) مجلة المجمع اللغوي الجزء الأول ص ٢٠٣ .
(٢) انظر آخر ص ٢٢٨ وتوابعها .
(٣) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٣ ، ٣٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣١) تعريب الأساليب^(١)

لم يقتصر أثر احتكاك اللغة العربية باللغات الأجنبية على انتقال مفردات أجنبية إليها على النحو الذي شرحناه في الفقرتين السابقتين ، بل كان من نتائجه كذلك أن انتقل إليها بعض أساليب من هذه اللغات . ودخول الأساليب الأعجمية في اللغة العربية قديم يتصل بالعهد الجاهلي . وربما وجد له شواهد في شعر عدي بن زيد العبادي الذي تربى في بلاط الأكَاسرة ، وله شعر كثير مملوء بالكلمات الأعجمية ، فيبعد أن لا يكون في شعره أساليب أعجمية أيضاً . وكذا يقال في شعر الأعشى وغيره من الشعراء الذين خالطوا الأعاجم وتأثروا بثقافتهم .

ولكن هذا النوع من التعريب على قدمه لم ينشط إلا في العهد الإسلامي ، منذ حمل راية الكتابة فيه عبد الحميد الكاتب ، ثم تكاثرت وتما في العباسي على يد ابن المقفع ومن تابعه من الكتاب ، حتى كانت نهضتنا الحديثة فرجح ميزانه وطغى طوفانه .

ومعظم الأساليب الأجنبية التي دخلت اللغة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام وعصر بني أمية وبني العباس قد انتقل إليها من اللغة الفارسية / أما الأساليب التي تجرى على أقلام كتابنا في العصور الحاضرة فقد انتقل معظمها من اللغات الأوروبية الحديثة ، ولا سيما الفرنسية والإنجليزية .

هذا ، ويتناول البحث في هذا الموضوع الوجوه الآتية :

١ — قد يقع التوارد بين لغتنا ولغة غيرنا في الأساليب ؛ فلدينا طائفة من الأساليب العربية الأصيلة نرى مثلها في كلام الأعاجم ؛ وتكون هناك قرائن تدل

(١) لخصنا في هذه الفقرة ما ورد في مقال نفيس في هذا الموضوع للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وقد حافظنا على نصوص المقال في كثير من المواطن . ولكننا أضفنا إليه بعض زيادات هامة . (انظر المقال المشار إليه في الجزء الأول من مجلة المجمع صفحة ٣٣٢ وتوابعها) .

على أن لا تواطؤ ولا علاقة بينهما ، وأن كلا منهما نشأ في لغته وبيئته من دون أن يتأثر بالآخر ؛ ويكون السبب في ذلك أن منشأ الأسلوبين والباعث عليهما واحد في اللغتين ، كأن يكون طبيعياً في البشر على اختلاف أجناسهم وثقافتهم . فمن سرح الدابة مثلاً بعد أن كان يقودها بزمامها لا يدع الزمام على الأرض ، بل يطرحه عادة على عنقها أو كتفها . العرب يفعلون ذلك في مطاياهم ، والإفرنج يفعلونه في دوابهم . ثم إن كلا الفريقين من دون أن يتأثر بالآخر تقل استعمال تسريح الدابة إلى معنى تسريح الشخص الذي يهمل أمره وتترك له حريته يتصرف كما يشاء . فقالت العرب : « ألقىت جبل فلان على غاربه » ؛ وقال الفرنسيون *Laisser à quelqu'un la bride sur le cou* . ونحن نقول في وصف الرجل بالغيظ : « صرف أسنانه » و « حرق الأرم » أى حك أسنانه بعضها بعض ؛ وهم يقولون *Grincer les dents* . ونحن نقول في التنويه بالحلب القديم : « ما الحب إلا للحبيب الأول » ؛ وهم يقولون : *L'homme revient toujours à ses premières amours* . ونحن نقول في طلب شدة الانتباه : « افتح أذنك » ؛ وهم يقولون : *Ouvrez les oreilles* . ونحن نقول : « خانته قواه » ؛ وهم يقولون : *Les forces le trahirent* . ونحن نستعمل أكل اللحم أو تمزيقه بالأسنان للدلالة على الغيبة وذكر الآخر بالسوء ؛ وهم يقولون في نفس المعنى *Dechirer à belles dents* . ونحن نقول : « شرب الكأس حتى الثمالة » ، للتعبير عن تجرع النعص حتى نهايتها ؛ وهم يقولون في نفس المعنى *Boire la calice jusqu'à la lie* . ونحن نقول في التعبير عن السلاطة : « فلان ذرب اللسان » أى مشحوده ؛ وهم يقولون *Avoir la langue bien affilée* ... إلى غير ذلك من التعابير التي تولدت في اللغتين بالاستقلال من دون أن تستعير إحداها من الأخرى .

٢ — تسرب إلى لغتنا في العهد الأخير بعض أساليب أعجمية كان الظاهر من

حالتها أنها لا يعرفها العرب ، ولكن قد يدعى مدع عروبتها ورجعها إلى عرق في
الأصاليب العربية . بالذات في قولهم : « فلان رجوعاً إلى عرقه » .
من ذلك مثلاً استخدامنا فعل عاد يعود في التعبير عن نفي أمر مع الإشارة
إلى أنه كان موجوداً قبل ذلك ؛ كقولنا « فلان لم يعد يقدر على المشي » ،
أو « لم يعد صديقاً لي » ، بمعنى أنه كان يقدر قبل ذلك على المشي ثم انقطعت
قدرته ، وكان صديقاً لي ثم انقطعت صداقته . فهذا الأسلوب على شاكلة أسلوب
النفي الفرنسي الذي تستخدم فيه أداة ne...plus : il ne peut plus marcher .
il n'est plus mon ami . غير أنه ليس أسلوباً إفرنجياً محضاً .
إذ قد ورد في فصيح الآثار العربية استعمال فعل « رجع » في النفي للدلالة على
المعنى الذي نحن بصددده . فقول الحديث : « لا ترجعوا بعدي كفاراً » معناه
بعد أن كنتم مسلمين ؛ ومن الواضح أن « عاد » من أخوات « رجع » . على
أنه ورد استعمال « عاد » نفسه في تراكيب قريبة من التراكيب التي نستخدمه
فيها وللدلالة على معنى قريب من المعنى الذي تقصده . فقول الرسول عليه السلام
لمعاذ : « أعدت فتناتاً يا معاذ ؟ » معناه بعد أن لم تكن كذلك . ومن المقرر أن
الاستفهام أخو النفي وأنه يجوز فيه معظم ما يجوز في النفي .
ومن ذلك أيضاً قولنا « تبادلوا التحيات » و « تبادلوا الشتائم » و « تبادلوا
بعض الكلمات » على غرار قول الفرنجية Echanger des paroles . غير أنه
ليس أسلوباً إفرنجياً محضاً . لأن فعل التبادل فصيح ، وهو مستعمل في كلام البلغاء
بصدد التبادل الحسي ، فيقال : « تبادلوا ثوبيهما » . واستخدامه في الأمور
المعنوية هو استعمال مجازي جاء على سنن العرب في استخدام المجاز . على أن
العرب قد استخدموا في الأمور المعنوية فعلاً من أخوات « تبادل » وهو
« تقارض » ؛ فيقولون « تقارضا الثناء وتقارضا المديح » . ويأليت المترجمين الأولين

استعملوا فعل « تقارض » مكان « تبادل » ؛ ولو فعلوا لكانوا وقعوا على نفس اللفظ العربي المستعمل في هذا المقام .
ومن ذلك أيضاً قولنا « بكى بدموع حارة » على غرار قول الفرنجة pleurer à chaudes larmes . غير أن هذا الأسلوب ليس إفرنجياً محضاً . فالعرب ، وإن لم يصفوا الدموع بالحرارة ، فإنهم وصفوها بمرادف الحرارة أعنى السخونة والإحراق ؛ إذ هم يتخيّلون أن دمع الحزن سخين ودمع الفرح بارد . فإذا دعوا لأحد بالمسرة قالوا « أقرّ الله عينه » و « فلان قرير العين » ؛ وإذا دعوا بالمساءة قالوا « أسخن الله عينه » و « عين سخينة » . والفرق بين العرب والإفرنج أن الأولين ينسبون السخونة إلى العين نفسها ، والإفرنج ينسبون الحرارة إلى دموعها .

ومن ذلك أيضاً قولنا : « سافرت برغم المطر » أو « بالرغم من المطر » كما يقول الفرنجة malgré, en dépit . فقبل أن يترجم المترجمون هذه الكلمة الفرنسية بكلمة « رغم » العربية ، كانت « رغم » مستعملة في فصيح الكلام العربي ، إذ يقولون : « فعلت كذا على الرغم من فلان » و « برغم منه » . وكثيراً ما استعمل العرب كلمة « رغم » مع الأنف ، فيقولون : « على رغم أنفه » و « رغم أنف فلان » . ولعل الفرق بين الاستعمالين العربي والإفرنجي أن العرب يستعملون الرغم مع الأشخاص فيقولون « برغمي » و « برغم فلان » ؛ أما الإفرنج فيستعملونه مع غير الأشخاص أيضاً ، إذ يقولون مثلاً : « زرتك برغم المطر » .

ومن ذلك أيضاً قولنا « أثر عليه » كما يقولون الفرنجة influencer sur ؛ فإن « أثر » وإن كان يتعدى في العربية بغير لا بعلى ، إلا أنه من الممكن أن يقال إنه في هذا التركيب مضمن معنى فعل يتعدى بعلى نحو تسلط أو تغلب ، وإن

التضمنين قياسى كما قرر ذلك مجمع فؤاد الأول للغة العربية^(١).
وما قيل في التراكيب السابقة يقال مثله في نحو: « قرأت المتنبي » و « بالنظر
إلى كذا » à l'égard de, vue que « فى الوقت نفسه » en même temps
و « سهر على كذا » veiller à « فلان يعمل ضد فلان » contre lui
و « هذه مسألة جوهرية » essentielle « قتل الوقت » tuer le temps
وما إلى ذلك من الأساليب التى انتقلت إلى أقلامنا فى العصر الحديث من اللغات
الأجنبية ، ولكن يمكن ادعاء عروبتهما ووجود نظائرهما فى الأساليب العربية ،
وإن كانت هذه النظائر غير مطابقة لها كل المطابقة ، أو لم يستعملها الفصحاء
استغناء عنها بغيرها ، أو استعملوها قليلاً .

٣ — و بجانب هذا وذاك تسرب إلى أقلامنا أساليب لا نزاع فى عجمتها ،
إذ لا توجد لها نظائر فى الأساليب الفصيحة ، وذلك مثل قولنا : « عاش ستة عشر
ربيعاً » il a vécu seize printemps ، و « فلان لا يرى أبعد من أرنبة
أنفه » il ne voit plus loin que le bout de son nez و « فلان
يلعب بالنار » (أى يتعرض للخطر) Jouer avec le feu . و « لا جديد
تحت الشمس » rien de nouveau sous le soleil و « أعطاه صوته فى
الانتخابات » donner sa voix و « قبض على دفعة الحكومة » .
Le commerce « ازدهرت التجارة » tenir le gouvernail de l' Etat .
fleurissait و « ساد الجهل أو القوضى » regner و « فلان لعب دوراً » أو
« مثل دوراً هاماً فى هذا الشأن » Jouer un rôle و « فلان رجل الساعة »

(١) الحق أن استعمال فعل « أثر » فى هذا المقام ليس كثيراً فى كلام فصحاء العرب ،
وإنما الفصيحة أو الأوضح استعمال فعل « حاك يحيك » مكن « أثر يؤثر » . وهاك هذا
الشاهد وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى نفسك » . قال
لسان العرب : « أى أثر فى نفسك » ثم قال « فلان ما يحيك فيه الملام إذا لم يؤثر فيه » .

rappports « توترت العلاقات بين الحكومتين » و l' homme de l' heure
tendus و « هذا حجر عثرة في سبيل كذا » pierre d'achoppement و « إلى
pêcher en eau trouble « فلان يصيد في الماء العكر » و au revoir « الملتقى »
و « فعل كذا بصفته حاكماً » en sa qualité de ، و « معرفة سطحية »
superficielle ، و « كلمة شكر بريئة » innocent ، و « حرق بخور الشاء
بين يديه » encenser ، و « ذهب ضحية مبدئه » sacrifier, sacrifice
و « صب عليه جام غضبه » ... الخ .

وغنى عن البيان أن هذه الأساليب ، وإن لم ينطق بها العرب ، جارية على
سنن كلامهم في المجاز والكناية ؛ وقد علمت أنه قد انعقد إجماع الثقات من العلماء
على قياسية المجاز والكناية^(١) . فلا بأس من استخدام مثل هذه الأساليب في
اللغة العربية متى تحققت العلاقات والشروط التي جرت عادة العرب أن يعتمدوا
عليها ويراعوها في تعبيرهم المجازي والكنائي ، ومتى كانت متلائمة مع الذوق
العربي السليم ومستمدة عناصرها من أمور مألوفة في البيئات العربية^(٢) . ولكن
متى وجد لتعبير منها نظير في كلام الفصحاء من العرب كان الأفضل والأصح
العدول عنه إلى ما يماثله في كلامهم .

٤ — غير أن كثيراً من الكتاب في العصر الحاضر ، وخاصة المؤلفين في
العلوم وبعض محرري الصحف ممن لم تستحكم مرتبتهم في اللغة العربية ، تؤدي
بهم ترجمة الأساليب الإفرنجية أو محاكاتها إلى الخروج عما يسير عليه الأسلوب
العربي في ترتيب عناصر الجملة ، ور بطها بعضها ببعض ، وتنسيق أجزاء العبارة ...
وما إلى ذلك . قيأتون عبارات مفككة ركيكة ، عربية المفردات ولكنها
أعجمية التركيب والنظم ، لاتكاد تبين عن المعاني التي يقصدونها . فهذا النوع

(١) انظر ص ٢٣١ .

(٢) انظر ص ١٧١ .

من تعريب الأساليب ، إن صح تسميته كذلك ، هو الذي ينبغي أن تقاومه
جهدنا ونعمل على القضاء عليه .

(٣٢) التأليف في قواعد اللغة العربية وآدابها وفقهها

ترجع أهم البحوث اللغوية في قواعد اللغة العربية وآدابها وفقهها إلى الفروع
الآتية :

١ — النحو والصرف : أما النحو فكان الغرض الأساسي منه في مبدأ
الأمر ضبط القواعد التي يسير عليها إعراب المفردات ليسهل تعلمها وتعليمها
واحتذاؤها في الحديث والكتابة ، ولتعصم الناس من اللحن الذي أخذ يتفشى
منذ صدر الإسلام من جراء تطور اللغة واختلاط العرب بالعجم . ثم أخذ نطاق
هذا العلم يتسع قليلا قليلا وأخذ علماءه يعرضون لكثير من الموضوعات المتصلة
بأجزاء الجملة وترتيبها ، وأثر كل جزء منها في الآخر ، وعلاقة هذه الأجزاء
بعضها ببعض ، وطريقة ربطها وأنواع الجمل ، وعلاقة الجمل التي تتألف منها
العبارة بعضها ببعض ، وأقسام الكلمة ، وأنواع كل قسم منها ، ووظيفته في
الدلالة ... ، حتى شمل جميع البحوث التي يطلق الفرنجة على مثلها اسم « السنتكس
التعليمي » أي « علم التنظيم التعليمي »^(١) . وأما الصرف فموضوعه ضبط
القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات العربية وتصريفها وتغيير أبنيتها بتغيير المعنى
وما يتصل بذلك من البحوث التي يطلق الفرنجة على مثلها اسم « المورفولوجيا
التعليمية » أي « علم البنية التعليمي »^(٢) .

وقد كانت العناية في المبدأ مقصورة على البحوث النحوية ، وظل الأمر
كذلك حتى أواخر القرن الأول الهجري . ثم أخذ العلماء يعالجون بعض مسائل

(١) انظر صفحة ٧ (رقم ج) و صفحة ٨ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

(٢) انظر صفحة ٧ (رقم ب) من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .

الصرف استطراداً وفي خلال دراستهم لمسائل النحو . ثم أخذت مسائل الصرف
تفصل شيئاً فشيئاً عن مسائل النحو وتدرس على حدة ، حتى تكون منها علم
متميز . غير أن هذا العلم لم يستقل تمام الاستقلال عن النحو . فلا تزال طائفة كبيرة
من مسائله متمزجة بالنحو ؛ ولم ينفك الباحثون ، إلى عهد قريب ، ينظرون إلى
الشعبتين نظرتيها إلى علم واحد ويعالجون مسائلهما في مؤلفات واحدة^(١) .
ويرجع الفضل في النهوض بهاتين الشعبتين إلى عدد كبير من أعلام
الباحثين بالبصرة والكوفة وبغداد ومصر وغيرها في العصرين الأموي
والعباسي ، من أشهرهم أبو الأسود الدؤلي (واضع النحو بإرشاد الإمام علي
ابن أبي طالب) وعنبسة الفيل ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ونصر بن عاصم ،
ويحيى بن يعمر ، وميمون الأقرن ، وعبد الله بن اسحق الحضرمي ، والأخفش
الأكبر ، وأبو عمرو بن العلاء (وجميع هؤلاء من قدامى الباحثين البصريين ،
ولم يصلنا شيء يعتد به من مؤلفاتهم) — وعيسى بن عمر الثقفي (وكان على رأس
جماعة يرجع إليها الفضل في نقل هذا العلم إلى الكوفة ، ويقال إنه ألف في نحو
البصريين أكثر من سبعين مجلداً منها كتابا « الجامع » و « الإكمال » ،
ولكن لم يصل إلينا شيء يعتد به من مؤلفاته) . — وأبو جعفر الرؤاسي صاحب كتاب
« الفيصل » في نحو الكوفيين ، وأبو مسلم معاذ الهراء (وكلاهما من قدامى الباحثين
من الكوفيين) — والخليل بن أحمد الذي يرجع إلى جهوده الجبارة ومؤلفاته
الجليلة وعبقريته النادرة أكبر قسط من الفضل في النهوض بهاتين الشعبتين
وغيرها من شعب البحوث اللسانية — وأعضاء مدرسة المحدثين من البصريين
الذين كان على رأسهم سيبويه (أشهر أئمة النحو وصاحب « الكتاب » ، الذي
صار إماماً لكل الباحثين من بعده) ، ثم الأخفش الأوسط (شارح « كتاب »
سيبويه) ، ثم أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج (وقد كتب كلاهما كتباً

(١) ولكن جرت عادة معظمهم أن يفرد لكل منها أبواباً على حدة .

مختصرة للمتعلمين يحدو فيها حدوسيبويه) ، ثم المازني والسجستاني ، ثم المبرد —
ومدرسة المحدثين من الكوفيين الذين كان على رأسهم الكسائي ، ثم الفراء
(صاحب كتاب الحدود) ، ثم ابن السكيت وابن سلام ، ثم ثعلب (وقد حدث
بين هذه المدرسة ومدرسة المحدثين من البصريين خلاف في طائفة كبيرة من
المسائل وفي إعراب كثير من آي القرآن ، ونشأت بينهما مساجلات طريفة
فاضت بها كتب الاخبار) . وابن خالويه (صاحب « كتاب ليس » و « رسالة
في إعراب ثلاثين سورة من القرآن ») ، وابن جنى (صاحب كتب « سير
الصناعة في النحو » و « شرح تصريف المازني » و « اللع في النحو » و « المحتسب
في إعراب الشواذ » و « علل التثنية » ... وغيرها) — وجماعة المتأخرين الذين
جاءوا بمذهبهم في الاختصار والاستيعاب لجميع أبواب العلم ، فوضعوا أهم كتب
النحو والصرف وأكملها وأدقها وأكثرها تهذيباً وتنقيحاً ، ومن أشهرهم الزمخشري
(صاحب « المفصل » في النحو) ، وابن الحاحب (صاحب « الكافية »
و « الشافية » في النحو والصرف) ، وابن معطى (صاحب ألفية في النحو) ،
وابن مالك (صاحب كتاب « التسهيل » و « الألفية » الشهيرة) ، وعز الدين
الزنجاني (صاحب كتاب « تصريف العزى ») ، والسكاكي (صاحب كتاب
« مفتاح العلوم » في النحو والصرف والبلاغة والعروض) وابن هشام (صاحب
كتب « القطر » و « التوضيح » و « الشذور » و « المعنى » وغيرها ، وهو
أكثر المتأخرين مؤلفات وأدقهم بحثاً^(١) .

٢ — علوم البلاغة ، التي تشمل ثلاثة بحوث : المعاني وموضوعه بيان ما ينبغي
أن يكون عليه الأسلوب العربي لي مطابق مقتضى الحال وليعبر عن المراد أبلغ تعبير ؛
والبيان وموضوعه شرح المناهج التي يسلكها الأسلوب العربي في استخدام

(١) وقد شهد بذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته إذ يقول بصدد كتابه المعنى :
« استوفى فيه أحكام الإعراب بجملة ومفصلة وتكلم عن الحروف والمفردات والجمل وحذف ما في
الصناعة من المنكر في أكثر أبوابها ، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها ... فوقفنا منه
على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها .. وقوة ملكته وإطلاعه » .

التشبيه والمجاز والكناية ؛ والبديع وموضوعه دراسة المحسنات المعنوية واللفظية التي يحتملها الأسلوب العربي . — فموضوعات البحوث الثلاثة ترجع إلى ما يسميه المحدثون من علماء الفرنجة « الستيلستيك التعليمي »^(١) « أي علم الأسلوب التعليمي . وقد كتب المتقدمون بعض بحوث في هذه العلوم . فمن ذلك « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ، و « إعجاز القرآن » للجاحظ ، و « البديع » لابن المعتز^(٢) ، وبعض آراء المبرد في الأغراض البلاغية لتوكيد الكلام ، وبعض بحوث لقدامة ابن جعفر عقب بها على بديع ابن المعتز وحاول فيها تكلمته . — ولكن أول من تصدى لاستيعاب هذه البحوث الثلاثة في مؤلف مستقل هو أبو هلال العسكري في كتاب « الصناعتين » . ثم جاء من بعده عبد القاهر الجرجاني فميز بحوث المعاني من بحوث البيان ، ورد مسائل كل منهما إلى قواعد مضبوطة سهلة المأخذ ؛ فكان بذلك المنشئ الحقيقي لهذين العلمين^(٣) . ثم خلف من بعده خلف من الأعاجم كتبوا في هذه العلوم بأساليب ركيكة فلسفية أساءت إلى البلاغة أكثر مما أحسنت إليها . ومن هؤلاء السكاكي الذي وقف قسماً كبيراً من كتابه « مفتاح العلوم » على المعاني والبيان البديع ؛ والخطيب القزويني الذي لخص هذا القسم في كتابه « تلخيص المفتاح » .

٣ — علوم القراءات . — وموضوعها بيان الوجوه التي قرئت بها آي الذكر الحكيم . وقد ظلت موضوعات هذه البحوث يأخذها الناس عن القراء عن طريق التلقين ، حتى جاء العصر العباسي ، فعكف العلماء على تدوينها ، وضبط قواعدها ، ونقد أسانيدها ، فقطعوا بها شوطاً كبيراً في سبيل الكمال . — وأهمية هذه البحوث من الناحية اللغوية ترجع إلى الأمرين الآتيين :

(١) انظر صفحتي ٨ (رقم د) و ٩ من الطبعة الثالثة من كتابنا « علم اللغة » .
(٢) جمع ابن المعتز نحو سبعة عشر نوعاً من المحسنات سماها البديع . ولم تكن جميعها ، في الواقع ، من المحسنات البديعية ، بل كان من بينها بعض مسائل البيان كالاستعارة والكناية .
(٣) كتب عبد القاهر كتابه : « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » وقد وقف معظم فصول الأول على المعاني ومعظم فصول الثاني على البيان .

(أولاً) أنها تفقنا على كثير من نواحي اللهجات العربية في صدر الإسلام .
وذلك أن اختلاف القراءات يرجع أهم أسبابه إلى اختلاف العرب في لهجاتها ،
والى أن القرآن لم يأت كله بلغة قریش بل جاء فيه كثير من المفردات والتراكيب
بلغة غيرها . وإلى أن الرسول عليه السلام كان يقرؤه لكل قبيلة بالطريقة التي
تتفق مع لهجتها . بل إن « ديوان » و « ديوان » و « ديوان » و « ديوان » و « ديوان »
(ثانياً) أن معظم المؤلفات في القراءات قد اشتملت على بحوث دقيقة قيمة
في أصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وأنواعها ومخارجها ، والمد وأحكامه
ومدته ، والغن وضروبه ، وتأثر أصوات الكلمة أو الكلمات المتجاورة بعضها
ببعض ... وما إلى ذلك من مسائل « الفونيتيك »^(١) الخاصة باللغة العربية .
٤ — أدب اللغة وتاريخ الأدب والنقد الأدبي . — نهضت هذه الفروع
نهضة كبيرة في العصر العباسي ؛ ولم تنفك ، منذ ذلك العهد إلى الآن ، موضع
عناية الباحثين من العرب وغيرهم ، حتى أصبحت المكتبة العربية من أغنى
مكتبات العالم في هذه الناحية ، وأصبحت مراجع هذه الفروع من أكبر المراجع
عدداً ، وأوسعها نطاقاً ، وأجلها قيمة^(٢) .

٥ — بحوث في « فقه اللغة العربية » وبعض مسائل من « علم اللغة العام » .
فمن ذلك دراسة الأصمعي للاشتقاق في اللغة العربية ؛

ومعظم البحوث التي ضمنها ابن فارس^(٣) كتابه « الصاحبي » : في فقه اللغة
وسنن العرب في كلامها » : كبحثه في نشأة اللغة العربية^(٤) ، وخصائص اللسان
الرابع الهجري .

(٤) درس ابن فارس هذا الموضوع من وجهة نظر ضيقة ، فتساءل هل اللغة العربية
توقيف أم اصطلاح ، وذهب إلى أنها توقيف بدليل قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها . وهو
بذلك يظن أن اللغة العربية نشأت مع الإنسان الأول . وجميع من عرضوا لهذا الموضوع من
مؤلفي العرب لم يتجاوز بحتمهم هذا النطاق الساذج ماعدا ابن جنى ومن نهج نهجه كما سنذكر ذلك .

العربي ، واختلاف لغات العرب ، ولغات العامة من العرب ، والقياس والاشتقاق في اللغة العربية ، وآثار الإسلام في اللغة العربية ، وأسماء الأشخاص ومأخذها ، والمترادف ، وحروف الهجاء العربية ، وحروف المعنى ، وسنن العرب في حقائق الكلام والمجاز والنحت والاشتراك ... وهلم جرا ؛

والبحوث التي ضمنها ابن جنى^(١) كتابه «الخصائص» : كبحثه في أصل اللغة وهل هي إلهام أم اصطلاح^(٢) ، والقول في هذه اللغة أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط ، والاطراد والشذوذ ، ومقاييس العربية ، والألفاظ والمعاني في اللغة العربية ، وتعليل ظواهر اللغة ومدى قصد العرب لهذه العليل ، والقياس في كلام العرب ، وتركب اللغات ، واختلاف اللهجات ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، والاشتقاق الأكبر ، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ، وإساس الألفاظ أشباه المعاني^(٣) ... وهلم جرا ؛

وبعض البحوث التي عرض لها ابن سيدة في مقدمة كتابه المخصص كالبحث في نشأة اللغة العربية^(٤) ، والتي عرض لها في الأجزاء الأخيرة من هذا الكتاب كالبحوث المتعلقة بالتضاد ، والترادف ، والاشتراك ، والاشتقاق ، والتعريب ، والمجاز ، والممدود والمقصور ، والتذكير والتأنيث ، وإبدال الحروف بعضها من بعض ... وهلم جرا ؛

وبعض بحوث قليلة ضمنها الثعالبي كتابه «فقه اللغة» ، كالبحث فيما يجري

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى ولد عام ٣٣٠ وتوفي عام ٣٩٢ هـ وهو من أشهر علماء النحو واللغة وأدقهم بحثاً وأكثرهم إنتاجاً .
(٢) عرض ابن جنى مختلف الآراء بهذا الصدد ومنها آراء ذهب إلى مثلها كثير من علماء الفرنجة في العصور الحديثة وناقضها مناقشة مترنة حكيمة تشهد بسعة اطلاعه وقوة تفكيره .
(٣) عرض ابن جنى في الأبواب الثلاثة الأخيرة من الجزء الأول من كتابه لموضوعات هامة في فقه اللغة وهي دلالة الحروف في لفظ ما على أصل معنوي كيفما اختلف ترتيبها والعلاقة بين أصوات الكلمة ومعانيها .
(٤) انظر الجزء الأول صفحات ٣ - ٦ .

مجرى الموازنة بين العربية والفارسية (أسماء فارسيتها مئنة وعربيتها محكية مستعملة ؛
أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها ؛ أسماء قائمة في لغة العرب والفرس
على لفظ واحد ؛ أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها
أو تركها كما هي) ، ما نسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية^(١) ؛
والبحوث التي ضمنها أبو منصور الجواليقي^(٢) كتابه « المعرب من الكلام
الأعجمي » وذكر معظم الألفاظ العربية مرتبة على حسب حروف الهجاء ؛
والبحوث القيمة التي ضمنها السيوطي^(٣) كتابه « المزهر » : كالبحت في
نشأة اللغات ، والمصنوع والفصيح ، والحوشي والغرائب والشوارد والنوادر ،
والمستعمل والمهمل ، وتداخل اللغات ، وتوافق اللغات ، والمعرب ، والمولد ،
وخصائص اللغة ، والاشتقاق ، والمشارك ، والترادف ، والتضاد ، والحقيقة ، والمجاز ،
والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والإبدال ، والقلب ، والنحت ، وما اختلفت
فيه لغة الحجاز ولغة تميم ، والتصحيف والتجريف ، والأسماء والكنى
والألقاب ... وهلم جرا ؛
والبحوث التي ضمنها شهاب الدين الخفاجي^(٤) كتابه « شفاء العليل فيما في
كلام العرب من الدخيل » ؛
والبحوث التي ضمنها أحمد فارس الشدياق^(٥) كتابه « سر الليال في القلب
والإبدال » وخاصة ماورد فيه بصدد العلاقة بين أصوات الكلمة ومعانيها ، ودلالة
الحروف في لفظ ما على أصل معنوي كيفما اختلف ترتيبها ، ورجع الكلمات
إلى أصولها ... وما إلى ذلك .

(١) تشغل هذه البحوث نحو خمس عشرة صفحة فقط من الباب التاسع والعشرين .

(٢) من علماء القرن السادس الهجري .

(٣) جلال الدين السيوطي أسمى من أن يعرف به ، فهو من أشهر مؤلفي العرب في
جميع العلوم ، ولد عام ٨٤٩ هـ . وكتابه المزهر من أجل ما ألف في فقه اللغة العربية وهو في
جزئين كبيرين .

(٤) من علماء القرن الحادي عشر الهجري .

(٥) من علماء القرن الثالث عشر الهجري .

والبحوث الحديثة التي قام بها طائفة من المستشرقين وغيرهم بهذا الصد
كبحوث اليازجي في كتابه « اللغة والعصر » ومباحث الكرملي والبحوث التي
كتبها أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية في مجلة المجمع .

(٣٣) متون اللغة العربية

تسكنا بتفصيل فيما سبق على مفردات اللغة العربية وغزارتها وكثرة
مترادفاتنا واختلاف الآراء بصددنا ؛ وعرضنا بهذه المناسبة للمناهج التي كان يسير
عليها أصحاب المعجمات ، ومبلغ تحريمهم الدقة فيما يجمعون ، وتحاشيهم الأخذ بمن
تشوب عربيته أية شائبة ، واقتصرهم على ماورد في العصور التي كان فيها اللسان
العربي سليما لم يصبه بعد تبليل أعجمي ولا انحراف عن أوضاع اللغة الفصحى^(١) .
فلم يبق إذن في موضوع متون اللغة العربية إلا الكلام على أقسامها ، وطريقة
كل منها في ترتيب مواده ، وما يوجه إليها من ما أخذ . وهذا هو ما سنعرض له
فما يلي :

تنقسم متون اللغة العربية ثلاثة أقسام :
١ — رسائل في طوائف خاصة من الألفاظ أو المعاني : ككتاب أبي حنيفة
في الأنواء والنبات ؛ وكتب يعقوب في النبات ، والأصوات ، والفرق ؛ وكتب
أبي حاتم في الأزمنة ، والحشرات والطيور ؛ وكتب الأصمعي في الدارات ، والسلاح
والإبل ، والخليل ، والشاء ، وأسماء الوحوش ، والنبات ، والشجر ، والنخل ،
والكرم ، والمشارك اللفظي ؛ وكتب أبي زيد في المطر ، واللبأ^(٢) ، واللبن ، والغرائز
والجرأئم ، والمشارك اللفظي ؛ وكتب ابن قتيبة في الرجل ، والمنزل ، واللبأ واللبن ؛
وكتب ابن دريد في صفات السرج ، واللجام ، والسحاب ، والغيث ؛ وكتاب
الفيروزبادي في المترادف (الروض المألوف ، فيها له اسمان إلى ألوف) ؛ وكتاب

(١) انظر صفحات ١٣٦ — ١٤٢ وأول ٢٣٧ .

(٢) اللبأ وزان عنب أول اللبن عند الولادة .

ابن خالويه في أسماء الأسد وأسماء الحية ؛ وكتاب أبي هلال العسكري في الألفاظ التي تطلق على بقايا الأشياء (المعجم في بقية الأشياء) ؛ والكتب التي ألفت في الأضداد (الألفاظ التي تطلق على الشيء وضده) لقطرب والحسن بن محمد بن الحسن الصغاني وابن السكيت وأبي بكر بن الأنباري وأبي البركات بن الأنباري وعبد الله بن محمد التَّوَزِي وابن الدهان ، وابن درستوية ؛ والمعجمات الفلسفية والعلمية وما إليها ككشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي والتعريفات للجرجاني والكلبيات لأبي البقاء ومعجم ما استعجم^(١) من أسماء البلاد والمواضع لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ هـ ... وهلم جرا^(٢) .

وهذا النوع من المعجمات كان أسبق في الظهور من النوعين الآتين ؛ فقد ظهر بعض كتب منه في فاتحة العصر العباسي .

٢ - معجمات جامعة ترمي إلى بيان المفردات الموضوعة لمختلف المعاني . فترتب المعاني بطريقة خاصة وتذكر الألفاظ التي تقال للتعبير عن كل معنى منها . فتجد أبوابها مرتبة على نحو هذا الوضع : خلق الإنسان ؛ الحمل والولادة ؛ الرضاع والفظام ؛ الغذاء السيء للولد ؛ أسنان الأولاد وتسميتها في المراحل المختلفة ؛ شخص الإنسان وقامته وصورته ؛ صفات الرأس ؛ قلة الشعر وتفرقه في الرأس ... وهلم جرا . وتذكر في كل باب المفردات التي تعبر عن موضوعه مرتبة ترتيباً خاصاً ومبينة مدلولاتها ومواطن استعمال كل منها .

(١) عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه رَضْبَةُ ونشره الأستاذ مصطفى السقا .
(٢) من هذا النوع كذلك بعض كتب ألف حديثاً ككتاب « نوعة الرأد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد » للشيخ إبراهيم اليازجي اللبناني ؛ و « التذكرة في نقه اللغة » (في بعض مفردات تتعلق بالحيوان والنبات والأزهار وأدوات الزراعة والصناعة المختلفة) للأستاذ محمد عبد الجواد ، والمعجمات المدونة في اللهجات العامية أو في بعض شئونها ونواحيها والتي أشار إلى أهمها الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف في مقال نشره بالجزء الأول من مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية وأشرنا نحن إلى طائفة منها في ثبوت المراجع بهذا الكتاب .

فهذا القسم من المعجمات يرجع إليه من يعرف معنى ما ويرغب في الوقوف على الألفاظ الموضوعه له .

ومن أشهر ما ألف من معجمات هذا القسم خمسة كتب : أحدها « كتاب الألفاظ » لابن السكيت (١٨٦ — ٢٤٤ هـ) . وهذا هو أقدم ما ألف من هذا النوع^(١) ؛ وثانيها « الألفاظ الكتابية » للهمداني (المتوفى سنة ٣٢٧ هـ) ؛ وثالثها « مبادئ اللغة » للأسكافي (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) ؛ ورابعها « فقه اللغة » للثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) في مجلد واحد صغير^(٢) ؛ وخامسها « المختص » لابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) في سبعة عشر جزءاً ، وهو أدقها دراسة ، وأحسنها تنسيقاً ، وأكثرها استيعاباً لمسائل البحث^(٣) .

٣ — معجمات جامعة ترمى إلى شرح معاني المفردات ، فترتب الكلمات ترتيباً خاصاً ليسهل على من يريد الوقوف على معنى أى كلمة الرجوع إليها في

(١) هو العلامة أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت توفى عام ٢٤٤ أو ٢٤٦ هـ في خلافة المتوكل . رقد راجع كتاب « الألفاظ » ونقحه وشرح شواهد وكلمها وعلق عليها الخطيب التبريزي شارح ديوان الحماسة ، وضمن هذا كله كتاباً سماه « كثر الحفاظ في تهذيب الألفاظ » أى في تهذيب كتاب « الألفاظ » لابن السكيت . وقد عثر بمكتبة ليدن على نسخة خطية من هذا الكتاب الأخير فأشرف على طبعا بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت جماعة من الآباء اليسوعيين على رأسهم الأب لويس شيخو ، بعد أن أضافوا إليها كثيراً من التعليقات اللغوية الهامة وذيلوها بشروح واصلاحات وفوائد وفهارس كبيرة القيمة .

(٢) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي . ولد في نيسابور عام ٣٥٠ هـ وتوفى عام ٤٢٩ هـ . وله مؤلفات كثيرة قيمة في مختلف فروع العلوم اللسانية . — وفي تسمية كتابه هذا بفقه اللغة شيء كثير من التجوز ، وذلك أنه ليس فيه ما يصح تسميته بفقه اللغة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة إلا نحو خمسين عشرة صفحة . (الباب التاسع والعشرون) ، أما ما عدا ذلك فتن لغة مرتب حسب فصول المعاني .

(٣) من هذا النوع كذلك بعض كتب ألقت حديثاً ككتاب « الإفصاح في فقه اللغة » للأستاذين عبدالفتاح الصعدي وحسين يوسف موسى .

مواطنها . فهذا القسم من المعجمات ، على عكس القسم السابق . يحتاج إليه من يعرف اللفظ ويرغب في الوقوف على مدلوله .

وأول من عمل على تدوين معجم شامل من هذا القبيل هو الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٤ هـ) فقد وضع كتابه « العين »^(١) ، ورتب كلماته حسب ترتيبها في مخارج أول حروفها ، مبتدئاً بأقصى الحلق ، (ولذلك بدأه بحرف العين الذي سمي الكتاب باسمه) ومنتهياً بالشفيتين^(٢) . غير أنه يظهر أن المنون قد عاجلته قبل إتمامه ، فأكمله جماعة بعد وفاته بأكثر من نصف قرن^(٣) .

وقد نهج الخليل في جمع مواد معجمة منهجاً خاصاً . فما كان يقتصر على شرح ما تفرع من المادة على طريق الاشتقاق العام^(٤) ؛ بل كان يذكر كذلك في كل أصل ما تفرع عنه على طريق الاشتقاق الكبير^(٥) . فيتكلم مثلاً عن ضام وضمي ومضى وضم وأمض في موضع واحد . وهذا يؤيد ما أشرنا إليه فيما سبق من أن الخليل بن أحمد قد فطن ، من قبل الفارسي وابن جنى ، إلى موضوع

(١) يشك بعض الباحثين من المستشرقين على الأخص في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الخليل .
(٢) فترتب حروفه على الوجه الآتي : ع ، ح ، هـ ، خ ، غ ، ق ، ك ، ج ، ش ، ض ، س ، ز ، ط ، د ، ت ، ظ ، ذ ، ث ، ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م ، و ، ا ، ي . —
وقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية : « أن الخليل أتبع في ترتيب معجمه طريقة النجاة السنسكريتيتين في ترتيب حروف لغتهم . فإن حروف السنسكريتيتين تبدأ بأحرف الحلق وتنتهي بالأحرف الشفوية . وهو قد رتب « العين » على الحروف مبتدئاً بحروف الحلق فاللسان فالأسنان فالشفيتين » . — وقد اتخذ بعض الباحثين من المستشرقين على الأخص من هذا التطابق وسيلة للشك في صحة نسبة الكتاب إلى الخليل . ولا يخفى أن ظاهرة كهذه ليس فيها ما ينهض دليلاً على ما يزعمون .

(٣) لم يظهر هذا الكتاب إلا حوالي سنة ٢٥٠ هـ . وتأخر ظهوره إلى هذا الحد كان من الأمور التي اعتمد عليها من أنكر صحة نسبه إلى الخليل . ولا يخفى ما في حججهم هذه من الوهن ؛ لأن وفاة المؤلف قبل إتمام كتابه ، وتسكلمته وظهوره من بعده على أيدي تلاميذه ، من الحوادث الكثيرة الوقوع .

(٤) أنظر صفحات ١٩٧ - ١٩٩ .

(٥) أنظر صفحات ١٩٩ - ٢٠٣ .

الاشتقاق الكبير، وهو دلالة الحروف في لفظ ما على أصل معنوي واحد كيفما
اختلف ترتيبها^(١).

ثم ظهر معجم «الجمهرة» (جمهرة الكلام) لابن دريد (أبي بكر محمد بن
الحسن بن دريد ٢٢٣ - ٣٢١ هـ) وقد جمع مواد من كتاب العين ومن كتب
أخرى للأصمعي وأبي عبيدة وغيرها. وابتدأه بالثنائي من الألفاظ: أب، أت،
أث... - بت، بث، بج... إلى آخر الحروف. وانتقل من الثنائي إلى الثلاثي
ثم الرباعي ثم ملحق الرباعي وكذا الخماسي والسداسي وملحقتهما. وجمع النوازل
في باب مفرد. واصطنع طريقة الخليل في جمع فروع المادة. فذكر في كل أصل
ثلاثي ما تفرع عنه على طريق الاشتقاق الكبير^(٢).

وألف القالي البغدادي (المتوفى في سنة ٣٥٦ هـ) كتابه «البارع»، وزاد
فيه على ما جاء في كتاب العين للخليل.

وألف الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر ٢٨٢ - ٣٧٠)
كتاب «التهذيب» (تهذيب اللغة) في عشرة مجلدات، ونهج في ترتيب مواد
وجمع فروع كل مادة منها منهج الخليل في كتاب العين.

واختصر أبو بكر الزبيدي من علماء الأندلس (المتوفى في سنة ٣٧٩ هـ)
كتاب العين للخليل، وسمى مختصره هذا «استدراك الغلط الواقع في كتاب
العين»^(٣).

وألف الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) معجمه «المحيط» في سبع
مجلدات؛ كما اختصر كتاب الجمهرة لابن دريد في مؤلف سماه «الجوهرة».

(١) أنظر التعليق الأول ص ٢٠٢.

(٢) عن حديثاً بتصحيح هذا المعجم الأستاذ كرنكو Krenkow الانكليزي وغارضه
بسبع نسخ.

(٣) وهذا المختصر خير من الاصل وأقرب منه مأخذاً. وكان جماعة من أهل الغيرة على
العربية قد شرعوا في طبعه بمدينة بغداد قبيل الحرب العظمى، ولكنهم انقطعوا عن مواصلة العمل.

وألف الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ٣٢٣-٥٣٩٣) معجمه « تاج اللغة وصحاح العربية » (المشهور بالصحاح) في جزءين جمع فيهما أربعين ألف مادة تلتقى معظمها من أفواه الأعراب مشافهة في بطن جزيرتهم . ورتب كلماته حسب ترتيب أواخرها في حروف الهجاء ، وقسمه إلى سبعة وعشرين باباً جمع في كل باب منها الكلمات المنتهية بحرف معين من الحروف الهجائية ، مبتدئاً بالكلمات المنتهية بالهمزة ومختتماً بالكلمات المنتهية بالواو أو الياء . وقسم كل باب إلى فصول جمع في كل فصل منها الكلمات المفتوحة بحرف معين من حروف الهجاء مبتدئاً بالكلمات المفتوحة بالهمزة ومنتهاياً بالكلمات المفتوحة بالياء . ورتب كلمات الفصل الواحد حسب ترتيب عين الكلمة في حروف الهجاء . فللبحث عن كلمة « كتب » مثلاً يرجع إليها في فصل الكاف من الباب الثاني من الكتاب (وهو باب الباء) حيث توجد بعد الكلمات التي عينها همزة والتي عينها باء . ويعتمد هذا الترتيب على الحروف الأصلية وحدها ، فلا يقام وزن للحروف المزيدة ولا للحروف التي استبدل بها غيرها وفقاً لقاعدة من القواعد الصرفية . فللبحث عن « مسجد » يرجع إليها في « سجد » وعن « قال » يرجع إليها في « قول » . — وينتهي الجزء الأول من هذا المعجم بباب العين المهملة ، ويفتتح الجزء الثاني بباب الغين المعجمة .

وليس لطريقة « الصحاح » في ترتيب الكلمات مزية ظاهرة غير التسهيل على طالبي القوافي والأسجاع ؛ لأن الكلمات المتحددة في آخر حروفها تجمع بحسبها في باب واحد . ولكن مزيته هذه ليست شيئاً مذكوراً بجانب ما تشتمل عليه من تعقيد ومجانبة للأوضاع الطبيعية . ومع ذلك فقد اتبجها كثير من أصحاب المعجمات من بعده .

ولم يتبع الجوهري طريقة الخليل في جمع التراكيب المختلفة للمادة في موضع واحد (ضام ، ضمي ، مضى ، ضم ، أمض ، أضم ...) ؛ بل تكلم عن كل تركيب

على حدة في موضعه حسب الطريقة التي سار عليها في ترتيب الكلمات .
ومعجم « الصحاح » من أهم المراجع وأشهرها في العصر الحاضر ، وأكثرها
استيعاباً لمفردات اللغة .

ومع ما امتاز به من الدقة وتحري وجوه الحق ، وقوة المصادر التي اعتمدها عليها
وصدقها واقتضاره على اللغات الصحيحة الفصيحة الثابتة بالرواية ، فإن بعض
الناقدين قد أخذ عليه كثيراً من الأخطاء في تفسير الكلمات وكثيراً من مظاهر
التصحيح في رسمها^(١) .

وفي العصر نفسه الذي ألف فيه معجم الصحاح ، ألف ابن فارس (أبو الحسين
أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ٣٢٩ — ٣٩٥ . وهو أستاذ الصاحب
ابن عباد)^(٢) معجمه « المجمل » ورتب كلماته حسب ترتيب أوائلها في حروف
الهجاء ، ومعجم « مقاييس اللغة » في خمسة مجلدات^(٣) .

ثم ألف ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل الضرير الأندلسي المعروف
بابن سيده المرسي نسبة إلى مرسية بالأندلس المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وهو مؤلف
كتاب المخصص الشهير المتقدم ذكره في القسم الثاني من المعجمات)^(٤) معجمه
« المحكم والمحيط الأعظم » أو « المحكم في لغة العرب ، وجمل من غريب
الكتاب والحديث وفنون من النحو والأدب » . وقد سار في ترتيب مواده وجمع
فروع كل مادة منها على غرار الخليل في عينه والأزهري في تهذيبه^(٥) وعرض

(١) من هؤلاء الناقدين الفيروزابادي . وقد تصدى كثير من الباحثين للرد على ناقديه
والدفاع عنه وألقوا في ذلك كتباً خاصة .

(٢) انظر ترجمة لابن فارس وتعريفاً بمؤلف آخر من أنفس مؤلفاته « الصحاحي في لغة
اللغة » في صفحتي ٧٠ ، ٧١ من الطبعة الثالثة لكتابنا « علم اللغة » .

(٣) اعترمت دار إحياء الكتب العربية نشر هذا المعجم الأخير (أنظر عدد أبريل
سنة ١٩٤٦ من مجلة الكتاب ص ٩١٧ .

(٤) أنظر آخر صفحة ٢٦٣ .

(٥) غير أنه وضع حروفه الثلاثة الأخيرة على هذا الترتيب : الألف فالياء فالواو ، على
حين أن الأزهري رتبها في التهذيب على هذا الوضع : الواو فالألف فالياء .

فيه لكثير من قواعد الصرف المتعلقة بالقلب والإبدال والتصغير والنسب والإدغام والجمع وأسماء الجموع والإمالة وأبنية الأفعال والمصادر ... وهلم جرا .
ثم ألف الزمخشري (جار الله محمود بن عمر الزمخشري ٤٦٧ — ٥٣٨ هـ) معجمه « أساس البلاغة » ، ورتب كلماته حسب ترتيب أوائلها في حروف الهجاء مبتدئاً بالهمزة ومنتظماً بالياء . وقد نهج الزمخشري في شرح الكلمات منهجاً خاصاً به ؛ فهو لا يفسر الكلمة بل يشير إلى مواطن استعمالها بذكرها في عبارات مؤلفة أو مأثورة من فصيح الكلام العربي شعره ونثره ؛ ويترك للقارئ استخلاص معانيها المختلفة من سياق العبارات التي ترد فيها . وعنى بناحية هامة أغفلها معظم أصحاب المعجمات من قبله ومن بعده ، وهي التفرقة بين المعاني الحقيقية للكلمة ومعانيها المجازية ، فيبدأ المادة بذكر معانيها الحقيقية ويختتمها ببيان الشائع من معانيها المجازية . — وقد طبع « أساس البلاغة » في جزئين ينتهي أولهما بآخر حرف الشين . — وهو من أشهر المراجع اللغوية وأكثرها تداولاً في العصر الحاضر .

ومع ما امتاز به هذا المعجم من الدقة ، وحسن الترتيب ، وسلامة المنهج ، وإرشاده إلى مواطن استعمال الكلمات ، وجمعه بين متن اللغة العربية وأدبها ، فإن بعض الناقدین قد أخذ عليه إغفاله لكثير من المواد ، وخطأه في تفسير بعض الكلمات ، وعدم دقته أحياناً في التفرقة بين معاني الكلمة الحقيقية ومعانيها المجازية ، وتركه كثيراً من غريب الكلمات التي ترد في عباراته وشواهد بدون شرح ، وهذا يؤدي في الغالب إلى غموض معنى الكلمة التي هو بصدد تفسيرها .
ثم ألف ابن الأثير (مجد الدين ٥٤٤ — ٦٠٦ هـ) معجمه « النهاية » وسار في ترتيب كلماته على غرار الزمخشري .

ثم ألف الصغاني (رضی الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصغاني ٥٧٧ — ٦٥٠ هـ) معجميه « تكملة الصحاح » (وهو أكبر

حجماً من الصحاح نفسه) و « العباب »، وسار فيهما على طريقة الجوهري في ترتيب الكلمات . غير أنه قد جرت عادته في « العباب » أن يذكر في آخر كل مادة ما يدل عليه تركيبها من معنى عام تندرج تحته معاني ما تفرع منها على طريق الاشتقاق العام والاشتقاق الكبير .

ثم ألف ابن منظور المصري (جمال الدين محمد بن جلال الدين بن مكرم الأنصاري الخرزجي الأفريقي المصري والمعروف بابن منظور ٦٣٠ — ٧١١ هـ) أكبر معجم من هذا النوع ، وسماه « لسان العرب » . وجمع فيه ماورد في معظم المعجمات التي ظهرت من قبله . فقد ذكر أنه استمد مادته من كتب « التهذيب » للأزهري و « المحكم » لابن سيده و « الصحاح » للجوهري وحواشي الصحاح و « الجهرة » لابن دريد و « النهاية » لابن الأثير ، و « أمالي ابن بري » . فبلغ عدد مواد زهاء ٨٠ ألف مادة . وهذا العدد لم يجتمع مثله في أي معجم آخر من قبله ولا من بعده . ورتب كلماته حسب ترتيب أواخرها في حروف الهجاء ، متبعاً في ذلك منهج الصحاح السابق ذكره^(١) .

ويمتاز لسان العرب بالدقة في تحرى الحقيقة ، والتفصيل في شرح الكلمات والتوسع في الاستشهاد على المعاني بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأشعار العرب وأمثالهم وخطبهم ، فهو بهذا دائرة معارف وليس معجماً لغوياً فحسب .

ومن أجل ذلك اتسع نطاقه وكبر حجمه ، حتى وقع في طبعته الأخيرة (وهي طبعة بولاق سنة ١٣٠٧ هـ) في عشرين جزءاً من الأجزاء الضخمة^(٢) .

ويبدأ جزؤه الثاني بكلمة « صاب » أي بفصل الصاد من باب الباء ؛ والثالث بكلمة « لبث » ؛ والرابع بكلمة « صبخ » ؛ والخامس بكلمة « أخذ » ؛

(١) انظر صفحتي ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٢) فهو في الحجم نحو خمسة أمثال « القاموس المحيط » الذي سيأتي ذكره ، مع أن

عدد مواد لا تزيد على عدد مواد القاموس المحيط إلا بمقدار الثلث .

والسادس بكلمة « سار » ؛ والسابع بكلمة « مآر » ؛ والثامن بكلمة « عبس » ؛
والتاسع بكلمة « خرض » ؛ والعاشر بكلمة « زبع » ؛ والحادي عشر بكلمة
« دأف » ؛ والثاني عشر بكلمة « زبق » ؛ والثالث عشر بكلمة « أبل » ؛
والرابع عشر بكلمة « غتل » ؛ والخامس عشر بكلمة « حبرم » ؛ والسادس عشر
بكلمة « لأم » ؛ والسابع عشر بكلمة « دبن » والثامن عشر بكلمة « أبي » ؛
والتاسع عشر بكلمة « رأى » ؛ والعشرون بكلمة « فأى » .

ومع أن هذا المعجم منقطع النظير في دقة الشرح والتوسع في إيراد الشواهد
واستيعاب مادة اللغة ، فقد أخذ عليه الناقدون ما أخذ كثرة أهمها أنه كثيراً
ما تبدو فيه مظاهر الاضطراب والتناقض لنقله عن كتب متعددة مختلفة الآراء ،
بدون أن يحاول التوفيق بين آرائها أو تمييز غثها من سمينها .

وبعد ذلك بقليل ظهر كتاب « المصباح المنير في غريب الشرح الكبير »
للفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ) . وقد فرغ
من تأليفه سنة ٧٣٤ هـ . وهو معجم للكلمات الواردة في كتاب الشرح الكبير
للإمام الرافعي (وهو شرح لكتاب « الوجيز » في فروع الفقه على مذهب
الشافعي لحجة الإسلام الغزالي) . ولكنه لم يقتصر على ذلك بل أضاف إليه
« زيادات من لغة غيره ومن الألفاظ المشتبهات والمثائلات ومن إعراب الشواهد
وبيان معانيها ، مما تدعو إليه حاجة الأديب الماهر »^(١) . وقد رتب كلماته حسب
ترتيب أوائلها في حروف الهجاء . فقسمه إلى سبعة وعشرين كتاباً آخرها كتاب
الواو ، وأضاف إليها باين أحدهما « باب لا » وثانيهما « باب الياء » ، وذيله بخاتمة
درس فيها بعض قواعد صرفية تتعلق بالفعل المهموز الآخر وما تسير عليه العرب
في تحقيق همزته أو تخفيفها ، والثلاثي اللازم وتعديته بالهمزة وبالتضعيف وحرف

(١) انظر مقدمة هذا المعجم .

الجر ، وأبذية الأفعال واختصاص بعض أوزانها في الدلالة على أمور خاصة ،
والمشتقات ، والجمع ، وصيغة فُعال وفعالة ومعانيها ، وما يذكر من الأعضاء
وما يؤنث ، وما يفيد النسب ... وهلم جرا .

وقد طبع هذا المعجم في المطبعة الأميرية بالقاهرة في مجلد واحد منقسم إلى
جزئين يقع كل منهما في نحو خمسمائة صفحة من الحجم المتوسط ، ويبدأ ثانيهما
بكتاب الضاد .

وهو من أكثر المعجمات تداولاً وذيوعاً في العصر الحاضر . — ومع أنه
درس بعض المفردات دراسة لا بأس بها ، فقد أغفل عدداً كبيراً من المواد ،
وقصر في دراسة بعضها ، ووجه قسطاً كبيراً من عنايته إلى المصطلحات الفقهية ،
لأنه في الأصل معجم للكلمات الواردة في كتاب فقهي .

ثم ظهر كتاب « مختار الصحاح » للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
الرازي . وقد اختصر فيه معجم « الصحاح » للجوهري مقتصراً « على ما لا بد
لكل عالم فقيه أو حافظ أو محدث أو أديب من معرفته وحفظه ، لكثرة استعماله
وجريانه على الألسن ... خصوصاً ألفاظ القرآن العزيز والأحاديث النبوية » ،
وحذف منه « عويص اللغة وغريبها ، طلباً للاختصار وتسهيلاً للحفظ . وضم
إليه فوائد كثيرة من تهذيب الأزهري وغيره من أصول اللغة الموثوق بها ومن
تحصيله الخاص »^(١) . وفرغ من تأليفه سنة ٧٦٠ هـ . وكان ترتيبه في المبدأ
كترتيب الصحاح ؛ ولكن وزارة المعارف المصرية أمرت بتغيير وضعه وجعله
مرتباً حسب أوائل الكلمات ، وحذفت منه ما لا يليق بالنشء قراءته ، وعهدت
إلى الأستاذ محمود بك خاطر بأمر تنظيمه على هذا النسق وإلى المغفور له العلامة
الشيخ حمزة فتح الله بالإشراف على مراجعته وتصحيحه . وظهرت أول طبعة منه
على هذه الصورة سنة ١٩٠٥ م .

(١) انظر مقدمة هذا المعجم .

وهو معجم صغير موجز متداول بين أيدي الطلبة وعامة المثقفين في مختلف البلاد العربية .

وفي هذا العصر نفسه ظهر كتاب « القاموس المحيط » للفيروزابادي (أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروزابادي الشيرازي ٧٢٩—٨١٧ هـ) .

وقد ذكر الفيروزابادي في سبب تأليفه هذا الكتاب أنه رأى أن المعجمات التي وضعت في عصره ليست جامعة لفصيح اللغة وشواردها ، وليست مبسطة بسطاً وافياً ، وأن « صحاح » الجوهري الذي شاع في زمنه ، واعتمد عليه المدرسون ، قد فاته نصف اللغة أو أكثر ، وأن خير الكتب التي ألفت من قبل كتابان هما : « المحكم » لابن سيده و « العباب » للصغاني ، وأن أحدهما لا يغني عن الآخر ، وهما لا يغنيان عما عداهما . لذلك شرع في وضع كتاب واسع يجمع ما ورد في هذين الكتابين ويكمل ما فاتهما . وسماه « اللامع المعلم العجيب ، الجامع بين المحكم والعباب » . ولما رأى أن هذا الكتاب سيبلغ ستين سفراً ، وأن الطلاب سيعجزون عن تحصيله ، وطلب إليه وضع كتاب موجز ، اختصره في سفرين اثنين ، فجعل كل ثلاثين سفراً من الكتاب الأصلي في سفر واحد . وسمى هذا المختصر « القاموس المحيط » . وقد ضمنه خلاصة المحكم والعباب وزيادات أخرى من غيرها ومن تحصيله ، فبلغت مواده ٦٠ ألف مادة . ورتب كلماته حسب ترتيب أواخرها في حروف الهجاء ، متبعاً في ذلك منهج الجوهري في « الصحاح » وابن منظور في « لسان العرب » ولم يخالفهما إلا في تقديم الواو على الهاء .

والطبعة المتداولة في العصر الحاضر من « القاموس المحيط » تقع في أربعة أجزاء ؛ يتبدى ثانياً بكلمة « حبر » أي بفصل الحاء من باب الراء ؛ وثالثها بكلمة « أمع » أي بفصل المهمزة من باب العين ؛ ورابعها بكلمة « صؤل » أي بفصل الصاد من باب اللام .

وقد دعت شدة الرغبة في الإيجاز إلى اتخاذ طريقة خاصة في إيراد معاني

الكلمة واصطناع بعض رموز في التفسير . فمن ذلك أنه يحرص على ألا يفسر
الكلمة في معنى من معانيها بأكثر من كلمة واحدة ؛ وأنه لا يكرر الكلمة
عند ذكر معانيها المختلفة بل يكتفي بذكر بعض متعلقاتها (نَفَح الطيبُ كمنع
فاح نَفْحاً ونَفْحاً بالضم ونفحانا والريح هبت والعرق نَزى منه الدم والشئ
بسيفه تناوله وفلاناً بشئ أعطاه واللمة حركها ... وانتَفَح به اعترض له وإلى
موضع كذا اقلب) ؛ وأنه يميز اليأى من الواوى بوضع حرف واو أو ياء
قبل الكلمة (مى مضى ، و رجا) ؛ وأنه يكتفى في بيان مؤنث الاسم أو الوصف
بذكر علامة التأنيث بدون تكرار الكلمة (« وهى بهاء » ، للإشارة إلى أنها
تؤنث بالتاء) ؛ وأنه يرمز بحرف م لكلمة معروف ، وبحرف ع لكلمة موضع ،
وبحرف د لكلمة بلد ، وبحرف ة لكلمة قرية ، وبحرف ج لكلمة جمع ،
وبحرفي جج لكلمة جمع الجمع .

ومما يمتاز به القاموس المحيط أنه يعرض لأسماء الأعلام من الأناسى والأمكنة
وغيرهما ولبعض العقاقير الطبية وخواصها .

وقد ألفت عدة كتب في شرح القاموس المحيط ، من أهمها وأشهرها
« تاج العروس في شرح القاموس » للسيد مرتضى الحسينى المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ .
وقد طبع هذا الشرح بمصر في عشرة مجلدات ضخام ظهرت في سنتى ١٣١٦ ،
١٣١٧ هـ .

ولم يحظ أى معجم آخر في العصر الحاضر بما حظى به « القاموس المحيط »
من سعة الانتشار ، وكثرة التداول ، والاعتماد عليه ، والاستشهاد بما ورد فيه ،
حتى أنه لا تخلو منه مكتبة أديب أو عالم ، وحتى أن اسمه (القاموس) أصبح
بمنزلة اسم جنس يطلق على كل معجم .

غير أنه قد أخذت عليه عدة مأخذ ، منها أن شدة حرصه على الإيجاز كثيراً
ما توقعه في الغموض والإبهام ، فتصيح عباراته من قبيل الإشارات البرقية ؛ وأنه

يغفل شرح كثير من الكلمات الغريبة الغامضة مكتفياً بأن يضع بعدها حرف م للإشارة إلى أنها معروفة ؛ وأنه يشتمل على كثير من الأوهام التاريخية والخرافات ؛ وأنه كثيراً ما يشرح كلا المترادفين بالآخر بدون توضيح المعنى الذي يدلان عليه ؛ وأنه لا يميز بين الفصيح والغريب والمهمل ؛ وأنه كثيراً ما يخطئ الجوهرى ويكون هو المخطئ^(١) ؛ وأنه قد وقع في عدة أخطاء في شرحه للكلمات الدالة على الحيوانات والنباتات ؛ وأنه يسرد معاني الكلمة بعضها تلو بعض بدون ذكر شواهد تبين وجوه استعمالها وتوضح مدلولاتها . - وقد ألقت كتب خاصة في بيان هذه المآخذ وغيرها ، من أشهرها وأحدثها كتاب « الجاسوس على القاموس » لأحمد فارس الشدياق اللبناني .

وهذا النوع من المعجمات قليل الفائدة للباحث في فقه اللغة . وذلك أن مؤلفيها قد وجهوا كل عنايتهم إلى ذكر معاني الكلمات والاستشهاد عليها أحياناً بالقرآن والحديث والمأثور من كلام العرب ؛ ولكنهم أغفلوا إغفالاً تاماً تعقب معاني كل كلمة في مراحل حياتها ، وشرح تطور مدلولها في مختلف العصور ، وبيان الأصول التي انحدرت منها ... وما إلى ذلك من البحوث القيمة التي تشغل الآن أ كبر حيز في المعاجم الإفرنجية الحديثة ، وتهم كثيراً الباحثين في فقه اللغة . هذا إلى أن معظم هذه المعجمات لا يسير على نظام ثابت في ترتيب معاني الكلمة وتنظيم طوائفها ، فيخلط بين الحقيقي منها والمجازي^(٢) ، وبين القديم والجديد ، كما يخلط بين معانيها في مختلف اللهجات العربية ومن ثم جاءت مضللة في كثير من المواطن .

(١) كتب بعض المؤلفين كتباً خاصة في المفاضلة بينهما والانتصار لأحدهما على الآخر .

(٢) يستثنى من ذلك « أساس البلاغة » للزمخشري (انظر ص ٢٦٨) . على أنه قد وقع في هذا الكتاب نفسه أخطاء كثيرة بصدد التفرقة بين المعاني الحقيقية والمجازية .

وقد اشتملت ، فضلا عن هذا كله ، على كلمات كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال ومستبدلا بها كلمات أخرى ، وعلى عدد كبير من المفردات المولدة والمشكوك في عمريتها ، وحرقت فيها كلمات كثيرة عن أوضاعها . ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة : منها أن جامعي المعجمات قد أخذوا أحيانا عن أشعار جاهلية ثبت فيما بعد أنها موضوعة ؛ ومنها أنهم كانوا ينقلون أحيانا عن الكتب ، فحدث من جراء ذلك تصحيف في كثير من الكلمات ، لأن الرسم في عصورهم كان مجرداً من الإجمام والشكل ، فكان من الممكن أحيانا قراءة الكلمة الواحدة على عدة وجوه .

وليست المأخذ السابقة مقصورة على هذا النوع من المعجمات ، بل يوجه كثير منها كذلك إلى النوعين الآخرين : المعجمات الخاصة^(١) ومعجمات المعاني^(٢)

هذا ، وقد ألف بعض علماء هذا العصر الحاضر معجمات حديثة لا تكاد تمتاز عن المعجمات القديمة إلا في حسن التنسيق ، ونظام الترتيب ، واستخدام بعض وسائل الإيضاح كرسوم ما تدل عليه الكلمات من حيوان أو نبات أو جماد ، وتعرضها أحيانا لبعض المصطلحات الحديثة في العلوم والفنون والصناعات ... وما إلى ذلك . ومن أشهر هذه الطائفة كتاب « محيط المحيط في اللغة واصطلاحات العلوم » للمعلم بطرس البستاني ، وقد فرغ من تأليفه سنة ١٨٦٩ ؛ و « أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد » في ثلاثة مجلدات لسعيد الشرتوني اللبناني الماروني ؛ و « المنجد » للأب لويس معلوف اليسوعي (وهو معجم مدرسي صغير) ؛ و « معجم الطالب في المأثوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات

(١) انظر صفحتي ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٢) انظر صفحتي ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

العلمية والعصرية « المعلم جرجس همام الشويرى اللبناني ، وقد طبع في لبنان سنة ١٩٠٧ م ؛ و « البستان » لعبد الله البستاني^(١) .

(٢٤) كفاية اللغة العربية ومنزلتها

إن فيما تقدم ذكره بصدد خواص اللغة العربية ،^(٢) ودقة قواعدها ،^(٣) وغزارة مفرداتها^(٤) ، وخصب مناهجها في الاشتقاق^(٥) ، وقياسية أوزانها واختصاص كثير من هذه الأوزان بالدلالة على معان معينة^(٦) ، وسعة صدرها حيال التعريب والمجاز والكناية والنقل^(٧) ؛ وشدة حرصها على جمال الأسلوب وبلاغة العبارة ، وتوجيهها الوصول إلى الغرض من أقرب الطرق وأكثرها ملاءمة لمقتضيات الأحوال^(٨) ... إن في ذلك كلفة وما إليه لأوضح دليل على أنها من أعظم اللغات كفاية ، وأكثرها مرونة ، وأقدرها على التعبير عن مختلف فنون القول .

وقد انتقل العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام ، ومن النطاق العربي الضيق الذي امتازت به مدينتهم في عصر بني أمية إلى الأفق العالمي الواسع الذي تحولوا في عصر بني العباس ، فلم تعجز لغتهم عن مواجهة هذه الشؤون الجديدة ، ولم تضيق ذرعاً بالتعبير عن أية ناحية منها ؛ بل اتسعت للعلوم والفنون على اختلاف أنواعها ، وللحضارة على كثرة مظاهرها ؛ فنهضت بالمواد الشرعية واللغوية والطبيعية والرياضية وعلوم النفس والاجتماع ، وصارت لسان الفلسفة

(١) انظر في موضوع المعجمات مقالا نفيسا لصديقنا الأستاذ محب الدين الخطيب بمؤلفه « الحديقة » صفحات ٨٢ - ١١٨ من الجزء الثاني .

(٢) انظر صفحتي ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) انظر صفحتي ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٤) انظر صفحتي ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٥) انظر صفحات ١٩٧ - ٢٠٥ .

(٦) انظر آخر ص ٢٠٧ - ٢١٥ .

(٧) انظر صفحات ٢٢٥ - ٢٣٣ ، ٢٣٧ - ٢٥٤ .

(٨) انظر آخر ص ٢٢٨ وأول ٢٢٩ وصفحات ٢٣٣ - ٢٣٦ .

والسياسة والتقصص والصناعة والفن ومختلف ضروب المعاملات . وبالجملة لم تقف أمام أية شعبة من شعب العلم أو الحضارة وقفة المتعثر الحائر ، بل كان لها من قوة حيويتها ، وعظيم مرونتها ، وغزارة ثروتها ، وسلامة أسسها ، ما أتاح لها الخوض في مختلف مناحي القول ، والتعبير عن شتى مظاهر التفكير .

هذا ، وقد عرف للغة العربية هذه الكفاية النادرة والمنزلة السامية جميع الثقافات من المستشرقين الأجانب أنفسهم . وسنعرض فيما يلي من نماذج آرائهم في هذا الصدد ، خلاصة بحث قيم نشره العلامة المستشرق الفرنسي الأستاذ لويس ماسينيون تحت عنوان : « مقام الثقافة العربية بالنسبة إلى المدنية العالمية » .

« يبدو أن هناك تضادا بين الحضارة وما يلزمها من ثقافة من جهة ، وبين البادية من جهة أخرى ، وذلك باعتبار أن لفظة حضارة ذاتها مشتقة من الحضرة والحاضرة ، والحاضرة في معجم اللغة ضد البادية .

ولكن هذا التضاد اللغوي غير مسلم به في واقع التاريخ ، وبخاصة فيما يتعلق ببادية العرب ونشوء الثقافة بها ؛ وذلك لأن هذه البادية قد كانت دار هجرة ، نزحت إليها أقوام حاملة معها ما تملك من نفائس مادية وروحية ؛ وفي نجد مضر وجبال قحطان أقام أولئك المهاجرون متخذين من الفيافي والقفار الممتدة حولهم دروعا تحميهم .

ولما كانت اللغة هي وعاء الثقافة ، فإن دراسة اللغة العربية ومدى قابليتها لتلقي الثقافة يعد مفتاحا لإدراك فوائد تلك الثقافة .

والذي لا شك فيه أن قوة اللغة في الأداء والبلاغة لا تأتيها من مفرداتها أسماء كانت أم أفعالا ، وإنما تأتيها من تركيب جملها ، وطريقة هذا التركيب .

وللغات السامية — بما فيها اللغة العربية — طابع خاص في تركيب الجمل يمكن أن يسمى بالتركيب الجوارى (Parataxe) فترى الجمل تتتابع في سلك

خطى كما تتتابع حبات العقد على نسق موحد دون أن تنبني إحداها على الأخرى أو تفوقها في القيمة تبعا لتوزيعها بين جملة أصلية وجمل تبعية .

وأما اللغات الآرية فتركيب الجمل فيها « تركيب بنائي » hypotaxe ، حيث نرى بعضها مبنيا على بعض في منطق قياسي تلعب فيه كل جملة دورا خاصا ، وتنزل من الأهمية منزلا محددًا . وهذا ظاهر في خطب مشاهير اليونان ، حيث نجد الفقرات الطويلة المكونة لوحدة منقسمة إلى عدة جمل مرتبط بعضها ببعض ومبنى بعضها على بعض .

وأخيراً ننظر في اللغات الطورانية فنجد تركيب الجمل فيها أشبه ما يكون بالوشى المؤلف من عناصر جمعتها الصدفة ، وكأنها خطرات شعرية خالية من نظام الجدل السامى ومن القياس اليونانى ، ونحن لا نصل فيها إلى محصل الدلالة إلا إذا وصلنا إلى نهاية ألفاظها .

وأما من حيث الكلمات فدلاتها في اللغات السامية ترجع إلى أصول ثابتة ثلاثية تلونها الحركات حسب اتجاه النية الشخصية إلى معنى الفعل المطلوب . والأزمنة الفعلية فيها مطلقة بحسب الفعل المجرد . وهذا يخالف طريقة اللغات الآرية حيث الأزمنة نسبية راجعة إلى الفاعل . وأما اللغات الطورانية فأزمنتها وقتية بالنسبة إلى الواقعة والحادثة .

والنتيجة التي تصدر عن اختلاف هذه المجموعات اللغوية الثلاث في طرق الأداء هي ما نلاحظه من ميل اللغات الآرية ميلا طبيعيا إلى التمييزات النظرية ، وميل اللغات الطورانية إلى الإيقاعات الموسيقية ، وأخيرا ميل اللغات السامية إلى الحكم الأخلاقية ، وتركيزها في جمل موحدة ، وإن لم تنحصر ثقافتها في تلك الجمل المقيدة .

ولو أننا تركنا المقارنة بين مجموعات اللغات وأخذنا نقارن بين اللغة العربية في داخل المجموعة السامية لوجدنا أنها تفضل زميلتيها الكبيرتين العبرية والسريانية .

ولقد دلوا على أفضلية اللغة العربية بقولهم : « أنها السابقة بالوصلة ، والآخرة بالنبوة » . وهم يقصدون بالوصلة المحافظة على خصائص اللغة السامية الأصلية التي تفرعت عنها اللغات السامية المختلفة . ويضربون لذلك الأمثال باحتفاظ الهجاء العربي بشمانية وعشرين حرفاً ، و ٣٢٧٦ أصلاً ثلاثياً مجرداً (أو ٤١٨٠ إذا أضفنا إليها الأصول الثنائية الزائدة) ، وتعدد أشكال الأفعال فيها... إلى غير ذلك مما نجد ناقصاً في أخواتها . — وأما أنها الأخيرة بالنبوة ، فالمقصود بالنبوة هنا هو الثقافة بالمعنى العام . وذلك ما يمكن استنتاجه من ثروة المعاني الكامنة في كل أصل ثلاثي من أصولها ، ومن قدرتها في القبض على الامتدادات المعنوية المشتركة أسسها ، وأخيراً من صقلها للمعاني والصعود بها في مدارج التقدم . ولنضرب لذلك أمثلة بالأصل السامي الثلاثي « رحم » فمعناه السرياني « المحبة » والعربي « الشفقة » ؛ والأصل « صبر » معناه العبري « الترجي » والسرياني « التفكير » والعربي « الامسك » ؛ والأصل « عشق » معناه العبري « التشاغل » والسرياني « الحزن » والعربي « الولع » . — فالصعود بمعاني هذه الأصول وتقويتها في العربية واضح من المقارنة .

ولو أننا انتقلنا من اللغات إلى الثقافات ، لوجدنا أن السريانية خدمتها قديمة للمدنية بفضل كثرة كتابتها في الدول الإيرانية قبل الإسلام ، وكثرة مترجميها في الدول اليونانية المعاصرة ، وإن لم تحظ باستقلال سياسي بل ظلت تحت الضغط الأجنبي دائماً . ولقد قيل أنها لغة عذاب الغير وأهاويل القيامة . — وأما العبرية فثقافتها حديثة العهد . وذلك لأن أكبر مؤلفي اليهود اختاروا في القرون الوسطى اللغة العربية للاجتهد الفكري ، بينما اقتصرت العبرية على الطقوس الدينية ، وتقدمة الذبائح الناموسية . — وأخيراً نجد أن اللغة العربية تفضل أختيها من الوجهة الثقافية أيضاً . وذلك لأن العربية لغة عذبة وحلوة للدموع أي لدم القلب ، والدموع تجرى من مشاهدة الحق المجرد . وهذا الحق يجرى مجريين : مجرى

التجارب النفسية الاجتماعية ؛ ومجربى التجارب العلمية الرياضية . وفي العربية من الحكم وجوامع الكلم ما يثقب الضمير مثل السيف المسلول ، وفيها من الاصطلاحات الرياضية ما يدل على مدى تقدم العرب في تلك الدراسات بعد اليونان . — ومرد المجريين واحد وهو تميز اللغة العربية بالتجرد والانقباض والتصميد والتوحيد .

وأما في علوم اللغة فإن الفكر السامى لم يصل إلى علم العروض إلا عند العرب . وفي علم النحو كان في تعميم الإعراب من الأسماء إلى الأفعال المضارعة ، بل إلى الجمل التي لها محل من الإعراب ، كان في هذا التعميم ما يدل على أن فلسفة توحيد النحو والصرف لم يصل إليها غير العرب . كما أن الأسلوب لم يصل إلى أوجه إلا لديهم .

ولقد وجه إلى الثقافة العربية نقدان : أولهما خاص بقيمة الأدب العربى ، إذ اتهمه المنتقدون بأنه أصوات وألفاظ وإيقاعات فارغة بلا معنى ؛ وثانيهما قائم على ما يدعونه من عدم وجود عيون كبيرة فى الأدب العربى كالإلياذة عند اليونان . وجوابنا على النقد الأول يمكن أخذه مما سبق أن قررناه خاصاً بحسن الألفاظ فى البلاغة العربية ، وثبوت الأصول اللغوية فيها ، وتنوع الصيغ . وأما الاعتراض الثانى فما نظنه يقوم إلا عند من يأخذون إنتاج الفكر والروح بمقياس الكم ، ويخضعونه للثقل والمادة ، فيحكمون بحسب عدد المجلدات والأسطر . ومع ذلك فإن عدد الأبيات الشهيرة بما تحمله من ثروة لا يعدو فى الإلياذة المائة بيت ؛ وما تبقى بعد ذلك ليس إلا حشواً وتطويلاً وتصنعاً . وباستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما فى أدبهم من جوامع الكلم التى تحمل من سمو الفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له . وأعجاز التأليف عند العرب يأتى من الإيجاز الذى كأنه تركيز بالتقطير .

ثم : كيف ننسى بعض مطالع قصاد « المتنبى » ، وهي كالأسهم صيغت
من حكم خالصة تسمو قدراً على مجلدات من أقصوصات .
كيف ننسى حكمة المتصوفين وكأنها قطرات ماء سكب فحملتها راحتان
بغير نصب في ابتهاهما إلى الله .
وأخيراً كيف ننسى أن العرب قد وضعوا في مجال العلوم الرياضية والكيمياء
من الاصطلاحات الدقيقة ما يسير اليوم في خط متواز مع أحدث الأبحاث
في تلك العلوم .
وعلى الرغم من كل ذلك نسمع صيحات عن انحطاط الثقافة العربية ، ثم
ننظر فيما يقترح هؤلاء الصائحون من علاج لهذا الانحطاط ، فلا نجد إلا دعوة إلى
تقليد الثقافة الغربية من الناحية المادية ؛ مع أن تلك الثقافة تقوم على خصائص
طبيعية لصيقة بلغاتها الآرية ؛ وتقليدها في حكم المستحيل .
أن سر الإصلاح الحقيقي بالنسبة للفرد وللجماعة على السواء هو الإخلاص ،
أي تحقيق فضائل اللغة العربية المتواترة ، وقابليتها لنقل الأفكار المفيدة في
صيغتها المتوارثة ، وذلك بدرس الوسائل العقلية والروحية التي استعملها في الماضي
بنجاح العلماء في التعبير عن تجاربهم العلمية والنفسية والطبية مثل « محمد بن زكريا
الرازي » في استدركات شكوكه على « جالينوس » وغيره ، ومثل « أبو حيان
التوحيدى » في إشارته الإلهية ، و « البيروني » في تاريخ الهند ، والأصوليين
من « الشافعي » إلى « ابن قيم الجوزية » و « ابن الهمام » في تجاربهم
الاجتماعية .
أن إحياء الثقافة العربية لن تكون وسيلته تقليد أسلوب ونمو غير طبيعيين ،
ولا وضع أفكار عربية في قالب مستعار من الخارج ؛ وليس من المروءة في شيء
أن يهرب المرء من نفسه ، وليس مثل هذا الهرب بطريق حقيق للنجاة ؛ وإنما
الطريق هو أن نلقى السمع من صميم القلب إلى اللغة ، وأن نركز التأمل في

درسها باعتبارها وعاء الثقافة وأداتها . ومتى خلصت النية للمصلحة العامة اتضح هذا الطريق «^(١) .

ولا يعوز اللغة العربية في العصر الحاضر إلا أن تخصص ألفاظ من مفرداتها للدلالة على مستحدثات العلوم والفنون . ولن يرهقنا هذا من أمرنا عسرا ؛ لأن في بطون معجمات هذه اللغة مئات الألوف من الكلمات المهجورة والمستعملة ، مما يصلح أن يوضع لهذه المسميات الحديثة . ولنا بهذا الصدد أسوة حسنة فيما فعله العرب أنفسهم في صدر الإسلام والعصر العباسي . وهذه هي إحدى الغايات الجليلة التي يعمل على تحقيقها « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » .

(٣٥) مجمع فؤاد الأول للغة العربية

في الرابع عشر من شهر شعبان سنة ١٣٥١ (الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢) في عهد المغفور له صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر ، صدر مرسوم بإنشاء مجمع ملكي للغة العربية يكون مركزه مدينة القاهرة . وقد عدل فيما بعد هذا المرسوم بالمراسيم الصادرة في ٧ أغسطس سنة ١٩٣٨ وفي ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ وفي ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦ . وسنقل فيما يلي بما يتصل من مواد هذه المراسيم بأعمال المجمع وأغراضه ونظام تأليفه :

(مادة ٢) أغراض المجمع هي :

(أ) المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ؛ وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب .

(ب) أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

(١) نشرت هذه الخلاصة لبحث العلامة ماسينيون في عدد ١/٢٦٤ : ٩ من جريدة الأهرام .

(ج) أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

(د) أن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية مما يعهد إليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية .

(مادة ٣) يصدر المجمع مجلة تنشر فيما تنشر أبحاثه التاريخية ، وقوائم الألفاظ والتراكيب التي يرى استعمالها أو تجنبها ، وتتقبل مناقشات الجمهور واقتراحاته .

وينشر على الطريقة العلمية من النصوص القديمة ما يراه لازماً لأعمال المعجم ودراسات فقه اللغة .

(مادة ٤ — في تعديلها الأخير في المرسوم الصادر في ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦) يؤلف المجمع من أعضاء عاملين لا يقل عددهم عن ثلاثين ولا يزيد على ٤٠ عضواً يختارون من بين العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية وآدابها أو في العلوم والفنون . ويجوز أن يكون بينهم عدد من العلماء غير المصريين لا يتجاوز العشرة . ويعين الأعضاء العاملون لأول مرة بمرسوم بناء على عرض وزير المعارف العمومية وكذلك الحال عند زيادة عدد الأعضاء حتى يبلغ العدد المقرر .

(مادة ٨) لوزير المعارف العمومية أن يمنح لقب « عضو مراسل » لكل شخص يرى في معونته فائدة كبرى بناء على اقتراح من مجلس المجمع بالأغلبية المطلقة .

(مادة ٨ مكررة) إذا خلا محل من أحد الأعضاء اقترح مجلس المجمع اسم العضو الجديد بأغلبية ثلثي أعضائه العاملين . ويجب أن يصحب الاقتراح بتقرير مفصل لمؤهلاته العلمية . ويعين العضو الجديد بمرسوم بناء على عرض وزير المعارف . (مادة ٩ معدلة) يجتمع مجلس المجمع في فترات دورية من السنة وفقاً لما هو مبين باللائحة الداخلية . ولا يصح انعقاده إلا إذا حضر الجلسة أغلبية الأعضاء .

ويجتمع مؤتمر المجمع سنوياً مدة أربعة أسابيع متوالية . ويجوز إطالة هذه المدة بقرار من وزير المعارف العمومية بناء على اقتراح رئيس المجمع . ولا يصح انعقاده إلا إذا حضر الجلسة ثلاثة أخماس أعضائه على الأقل .
وفي غير الأحوال التي تشترط فيها أغلبية خاصة تصدر قرارات هيئتي المجمع بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين . وعند تساوى الآراء يرجح الجانب الذي فيه الرئيس .

وتصدر القرارات الخاصة بمادة اللغة العربية من مؤتمر المجمع .
(مادة ١٠) المجمع أن يعهد في إعداد كل فرع من فروع الأعمال الموكولة إليه إلى لجنة ينتخبها من بين أعضائه العاملين .

ولهذه اللجان أن تعقد اجتماعاتها في غير المدة المحددة للاجتماعات العامة .
(مادة ١١) يجوز أن يدعى لحضور اجتماعات اللجان والجلسات العامة أشخاص من غير الأعضاء ممن يرى ضرورة مراجعتهم ومعاونتهم في أعمال المجمع وهؤلاء يكون رأيهم استشارياً .

(مادة ١٧) تتخذ وزارة المعارف العمومية كل الوسائل التي تكفل اتباع قرارات المجمع في أمر اللغة العربية وألفاظها وتراكيبها ، وذلك بإذاعتها إذاعة واسعة وباستعمالها بوجه خاص في مصالح الحكومة ، وفي التعليم والكتب الدراسية المقررة .

ووفقاً للمادة العاشرة من مرسوم إنشائه ، اتخذ المجمع في دور انعقاده الأول قراراً بتأليف لجانته وبيان اختصاصاتها وأعضائها . وفيما يلي ملخص هذا القرار .
ألقت لجان المجمع في دور الانعقاد الأول كما يأتي :

١ — لجنة الرياضيات . وتبحث في مصطلحات الحساب والهندسة بأنواعها والجبر وعلم الآلات والحيل (الميكانيكا) والفلك ... وما إلى ذلك .

- ٢ — لجنة العلوم الطبيعية . وتبحث في مصطلحات الطبيعة بأقسامها والكيمياء بأنواعه .
- ٣ — لجنة علوم الحياة والطب . وتبحث في مصطلحات المواليذ الثلاثة ، ووظائف الأعضاء وما إليها وفي الطب بأنواعه .
- ٤ — لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية وتبحث في مصطلحات العلوم الاجتماعية كالحقوق والاقتصاد والسياسة والإدارة ووصف الشعوب ، والعلوم الفلسفية كعلوم النفس والمنطق والأخلاق والتصوف والإلهيات والدينيات .
- ٥ — لجنة الآداب والفنون الجميلة . وتبحث في مصطلحات التاريخ والجغرافيا وما يتعلق بالمدينة ومسالكها والمنزل وأجزائه وأدواته ونحو ذلك ، ومصطلحات الصناعات والحرف وما إليها ، ومصطلحات الفنون الجميلة مثل الرسم ، والتصوير والنحت ، ونقر الخشب ، والموسيقى بأنواعه وآلاته وأجزاء آلاته ، والتمثيل والخيالة والشعر ، كما تعمل على تصحيح الألفاظ والأساليب التي يغلط فيها .
- ٦ — لجنة المعجم . وتقوم بوضع المعجمات التي أشير إليها في الفقرتين الأولى والثانية من مرسوم إنشاء المجمع .
- ٧ — لجنة اللهجات . وتبحث في دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .
- ٨ — لجنة المجلة . وتشرف على تحرير المجلة المشار إليها في المادة الثالثة من مرسوم إنشاء المجمع .
- ٩ — لجنة خزانة المكتبة .
- ١٠ — لجنة الميزانية .
- ١١ — لجنة الأصول العامة . وتبحث في قواعد اللغة العربية ، وتتنخير من آراء أئمتها ما يوسع أقيستها لتكون أداة سهلة للتعبير عن المقاصد العلمية وغير العلمية .

ووفقاً للفقرة الرابعة (٤) من المادة الثانية من قانون الجمع ، صدرت قرارات وزارية تعهد إليه بالإشراف على أعمال خاصة تساعد على تقدم اللغة العربية ، من أهمها القرار الذي يعهد إليه بدرس ما من شأنه تيسير الكتابة العربية وقواعد النحو والصرف وبالتماس الوسائل إلى تشجيع الأدباء على التنافس في الإنتاج الأدبي الممتاز (١) .

* * *

فأعمال الجمع الأساسية ترجع إذن إلى سبع طوائف :
(إحداها) وضع أسماء عربية لمصطلحات العلوم والفنون والشئون العامة ، وتصحيح الألفاظ والأساليب التي تنحرف فيها الألسنة والأقلام عن الأوضاع العربية الفصيحة . ولهذا الغاية أنشئت لجان الرياضيات ، والعلوم الطبيعية ، وعلوم الحياة والطب ، والعلوم الاجتماعية والفلسفية ، والآداب والفنون الجميلة .
وقد قطع الجمع في هذا السبيل مرحلة كبيرة ، فأقر مئات من الأسماء العربية في مختلف هذه الشئون ، ونشرت هذه الأسماء في القسم الرسمي من مجلته ، كما نشر بها أسماء وتحقيقات أخرى كثيرة من هذا النوع اقترحها بعض أعضائه أو لجانته أو بعض الباحثين من غير أعضائه ولم تقرها هيئة الجمع بعد (٢) .
ومع ذلك لا تزال أمامه مراحل طويلة في هذا السبيل ، كما أنه في حاجة إلى اتخاذ الوسائل الفعالة لتعميم ما يقره بهذا الصدد ، وضمان تداوله واستقراره ، وتمكينه من الألسنة والأقلام .

(١) انظر القرار الوزاري رقم ٥٤٣٤ بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٩٤١ في صفحة ١٧٩ من الجزء الخامس من مجلة الجمع .
(٢) أنظر في ذلك مثلاً الجزء الأول صفحات ٣٨ — ١٧٠ ، ٣٩٤ — ٣٩٩ ؛ والجزء الثاني صفحات ٦٣ — ١٩٥ ، ٢٥٦ — ٣٠٤ ؛ والجزء الثالث صفحات ٣٥ — ١٩١ ، ٢٥٤ — ٢٨٩ ، ٣٠٢ — ٣١١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ؛ والجزء الرابع صفحات ٨ — ١٧ ، ٢٢ — ٣٠ ، ٣٩ — ١٢٣ ، ١٤١ — ١٦٦ ، ٢١١ — ٢٢٤ ، ٢٧٥ — ٢٩٣ ، ٣١٦ — ٣٢٧ . والجزء الخامس صفحات ١١ — ٥٨ ، ١٠٦ — ١٦٩ ، ٢٦٤ — ٣١١ .

و (ثانيتها) وضع معجمات مهذبة للغة العربية . ولهذا الغاية أنشئت لجنة المعجم .

وقد قدم إلى المجمع بهذا الصدد اقتراحات كثيرة أقر منها ما يلي :

١ — « أن يطبع معجم الأستاذ فيشر^(١) (وقد كان أحد أعضاء المجمع) وأن يتولى هو تصحيحه بمصر ، على أن يحل حضرته ما يرد إليه من استدراقات حضرات الأعضاء محل النظر والتقدير ، وأن يعاونه من حضرات أعضاء المجمع من يتفق الرئيس معهم ، ومعهم المراقب الإداري ، الذي يكون له ، مع الأستاذ فيشر ، الإشراف على من يعين من الموظفين لهذا العمل^(٢) » .

وقد توقف العمل في هذا المعجم في أثناء الحرب العالمية الأخيرة ، ثم استؤنف بعدها ، ولم تؤثر وفاة المؤلف تأثيراً كبيراً في متابعة العمل فيه .

٢ — « البدء في عمل معجم علمي صغير للتعليم الثانوي في الأقطار العربية ، وذلك بأن يعين معالي الرئيس موظفين مختصين في العلوم (الطبيعية والكيميائية والرياضية وعلوم الحياة) مع إجادة اللغة العربية للقيام بعمل هذا المعجم وما يحتاج إليه من رسوم . ويرى المجمع بعد تعيين هؤلاء الموظفين أن يراجعوا معجماً علمياً صغيراً أوروبياً ، وأن يستخرجوا منه جميع الكلمات العلمية الضرورية لطلاب التعليم الثانوي ، وأن يشرعوا في تقسيم العمل بينهم ، ثم ترجمة الإصطلاحات والتعريفات مع وضع الكلمة اللاتينية أو اليونانية إذا كان الإصطلاح من هاتين

(١) قدم الأستاذ الدكتور فيشر الألماني إلى المجمع بعض جذازات من معجمه هذا . وقد ظهر من بحث هذه النماذج أن مؤلفها قد عني بناحية هامة أغفلها أصحاب المعجمات من قبله ، وهي تعقب الكلمة في مختلف العصور والأمكنة وبيان ما اعتورها من تطور في مدلولها وأصواتها ، والموازنة بين الأصل العربي ونظائره في اللغات السامية الأخرى ، وأنه بذلك سيسد فراغاً كبيراً في متون اللغة العربية (انظر فقرة متون اللغة العربية صفحتي ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

(٢) انظر الجزء الثالث من المجلة ص ٣٢ . وقد ألغى هذا القرار بقرار سمح فيه للدكتور فيشر بالانفراد بالإشراف على طبع معجمه (انظر قرارات الدورة الخامسة من ١٨ / ١٢ / ٣٧ إلى ٢٧ / ١ / ٣٨ بصفحة ٩ من الجزء الخامس من مجلة المجمع) .

اللغتين ، أو الإنجليزية والفرنسية معاً ، ويضاف إلى كل مادة الاصطلاح المستعمل في بلاد الشرق الأخرى ، كسوريا والعراق والمغرب . وكلما أنجز الموظفون قسماً ، أرسل إلى كل عضو من حضرات أعضاء المجمع بالخارج ومصر ، ليبدى ما يعن له من الملاحظات أو الإصطلاحات أفراداً ولجاناً ، ويرسل بها إلى المجمع ، ثم تطبع هذه الملاحظات جميعاً ، وتعرض على المجمع عند انعقاده ، لإصدار قراراة فيها^(١) .

٣ — تأليف « معجم لغوى وسيط سهل التناول ، ميسر الترتيب ، مصور ، بحيث يتناول من المصطلحات العلمية الصحيحة ، ما يتعلق بالأسباب الدائرة بين الناس » . وقد قرر المجمع « الشروع في اتخاذ الأسباب للقيام بهذا العمل وأن يعهد إلى لجنة بالشروع في تحقيقه ، مع رجاء حضرات أعضاء المجمع أن يقدموا اقتراحاتهم في شأن هذا المعجم لرياسة المجمع ليطلع عليها حضرات أعضاء تلك اللجنة للاستعانة بهم في وضع مشروعهم على أكمل وجه ممكن^(٢) » . ولم يظهر إلى الآن أى معجم من هذين المعجمين الأخيرين .

و (ثالثها) البحث في قواعد اللغة العربية والعمل على تيسيرها ، وتحرير أصولها الصرفية وغيرها وتوسيع دائرة أقيستها لتكون أداة سهلة للتعبير . ولهذا الغاية أنشئت « لجنة الأصول العامة » .

وقد أصدر المجمع بهذا الصدد قرارات هامة وثيقة الصلة ببحوث فقه اللغة العربية . ولذلك دعت الحاجة إلى دراسة بعض هذه القرارات أو الإشارة إليها في كثير من فصول هذا الكتاب^(٣) . وسنذكر فيما يلي أهم ما لم تدع مناسبة لذكره منها فيما سبق :

(١) انظر الجزء الثالث من مجلة المجمع صفحتي ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انظر الجزء الثالث من مجلة المجمع ص ٣٤ .

(٣) انظر صفحات ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ .

١ — « قرار التضمين : التضمين أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر أو ما في معناه ، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم . ومجمع اللغة العربية الملكى يرى أنه قياسى لا سماعى ، بشروط ثلاثة : الأول تحقق المناسبة بين الفعلين ؛ والثانى وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس ؛ والثالث ملاءمة التضمين للذوق العربى . — ويوصى المجمع ألا يلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغى^(١) . »

٢ — « قرار النسبة إلى جمع التكسير : المذهب البصرى فى النسب إلى جمع التكسير أن يرد إلى واحد ، ثم ينسب إلى هذا الواحد . ويرى المجمع أن ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز أو نحو ذلك^(٢) . »

٣ — « قرار جمع الكلمات التى لم تسمع جموعها : يرى المجمع أن الكلمة التى لم يسمع لها جمع فى اللغة يختار لها صيغة جمع القلة الذى يطردها فى وزنها ، وإذا وجد لها صيغتان مع التساوى فى القوة أختيراً معاً . وعند التفاوت فى القوة يختار جمع واحد هو أقواها ، ويكتفى بجمع واحد فى المصطلحات العلمية أياً كان^(٣) . »

(ورابعها) تنظيم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية ولهذا الغاية أنشئت لجنة للهجات .

ولم ينشر بعد فى صورة رسمية أى بحث من بحوث هذه اللجنة^(٤) .

(١) انظر الجزء الأول من مجلة المجمع صفحات ٣٣ ، ١٨٠ — ١٩٩ .

(٢) انظر الجزء الثانى من مجلة المجمع صفحات ٣٥ ، ٤٥ ، ٥٠ .

(٣) انظر الجزء الرابع من مجلة المجمع ص ١ وصفحة ١٧٤ وتوابعها .

(٤) نشر لبعض أعضاء المجمع وغيرهم فى القسم غير الرسمى من المجلة بعض مقالات فى هذه الناحية من أهمها : « اللهجة العربية العامية » (للأستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع :

الجزء الأول ٣٥٠ — ٣٦٨ والجزء الثالث ٣٤٩ — ٣٧١) ؛ و « دراسة فى اللهجة المصرية »

(للأستاذ الشيخ عبد القادر العربى عضو المجمع : الجزء الثالث ص ٢٩٠ — ٣٠١) ؛

و « اللهجة العامية فى لبنان وسورية » (للأستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع :

الجزء الرابع ص ٢٩٤ — ٣١٥) .

(وخامستها) تيسير الكتابة العربية . وقد رصد المجمع جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن مقترح يمكن الأخذ به في تيسير الكتابة العربية . وقد قدمت إليه عدة اقتراحات في هذا الصدد ، ولكنه لم يبت فيها بعد برأى قاطع .

(وسادستها) تشجيع الإنتاج الأدبي . وقد قرر المجمع في هذا الصدد أن تؤلف اللجنة العامة للأدب ثلاث لجان فرعية : إحداهما للشعر ؛ وثانيتها للقصة والرواية (نثراً وشعراً) ؛ وثالثتها للمقالات والبحوث الأدبية . وتقوم كل لجنة فرعية بتقصي الإنتاج الأدبي في الفرع الذي أسند إليها . وتقدم كل سنة تقريراً بملاحظاتها يشتمل على سير الحركة الأدبية في مصر والعالم العربي في هذا الفرع طوال العام وعلى ما يمكن أن يكون ممتازاً من هذا الإنتاج امتيازاً يقتضى تشجيعاً مادياً أو أدبياً . وتدرس اللجنة العامة تقارير اللجان الفرعية وتعرض تقريرها على المجمع الذي يصدر قرارات نهائية مسببة ينوه فيها بما استحق التنويه وما استحق جائزة مادية من الآثار الأدبية . وتستوعب هذه الجوائز نصف الاعتماد المقرر سنوياً للتشجيع الأدبي . وأما الثاني فيخصص لجائزتين يمنحهما الأول والثاني في مختلف الفروع التي يطلب المجمع سنوياً إلى الأدباء المسابقة فيها^(١) .

(وسابعها) إصدار مجلة يسجل فيها ما تقره هيئة المجمع بصدد الشؤون السابقة وينشر فيها كذلك ما يقترحه الأعضاء وغيرهم وما يقومون به من بحوث في مختلف نواحي اللغة العربية . وقد أنشئ للإشراف على تحرير هذه المجلة لجنة خاصة (لجنة المجلة) تتألف من بعض أعضاء المجمع .

وقد صدر من هذه المجلة بضعة أجزاء يشتمل بعضها على قسمين : قسم رسمي

(١) انظر الجزء الخامس من مجلة المجمع صفحتي ١٩٤ ، ١٩٥ . هذا ، وقد صدر بالأعمال المنوه عنها في هذه الفقرة وفي الفقرة السابقة لها (تيسير الكتابة العربية وتشجيع الإنتاج الأدبي) القرار الوزاري الخاص الذي أشرنا إليه فيما سبق (انظر ص ٢٨٦) .

يتضمن قرارات المجمع في الشئون السابقة وشرح هذه القرارات والاحتجاج لها ؛
وقسم غير رسمي يتضمن ما يقدمه الأعضاء وغيرهم من اقتراحات وينشره من
بحوث . وقد ظهر بهذا القسم الأخير في فقه اللغة العربية ومنتها وأدبها مقالات
قيمة أشرنا إلى بعضها في كثير من فصول هذا الكتاب (١).

وفي عهد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول سمي هذا
المجمع باسم « مجمع فؤاد الأول للغة العربية »^(٢) تخليداً لذكرى منشته العظيم ،
وزيد عدد أعضائه من عشرين إلى أربعين وزادت اعتماداته المالية ، ووسعت
سبل إنتاجه ، فاستكمل بذلك عدته ، وزادت قدره على تحقيق ما علق به آمال .

انتهت طبعته الثالثة في { ربيع الآخر ١٣٦٩ هـ
م { فبراير ١٩٥٠ م

(١) انظر التعليق الثاني بصفحة ٢٢٤ وتكلمته بصفحة ٢٢٥ . والتعليقات الواردة في
فقرات : الحجاز والسكنايه والنقل ؛ والدخيل والمغرب والمولد ، وتعريب الأساليب واللهجات
العامية . ومن أهم المقالات التي لم تدع مناسبة للإشارة إليها فيما سبق ؛ « الترادف » للمغفور له
الأستاذ علي الجارم بك عضو المجمع (الجزء الأول ص ٣٠٣ وتوابعها) ؛ و « تيسير الهجاء
العربي » للمغفور له الأستاذ الشيخ أحمد الاسكندري (الجزء الأول ص ٣٦٩ وتوابعها) ؛
« بحث في علم الاشتقاق » لعبد الله أفندي أمين (الجزء الأول صفحة ٣٨١ وتوابعها) ؛
و « سبيل الاشتقاق بين القياس والسمع » للمغفور له الأستاذ الشيخ حسين والي (الجزء الثاني
صفحة ١٩٥ وتوابعها) ؛ و « الاشتقاق الكبير » للأستاذ الشيخ ابراهيم حمروش (الجزء
الثاني صفحة ٢٤٥ وتوابعها) ، و « لهجات عربية شمالية قبل الإسلام » للأستاذ ليمان (الجزء
الثالث صفحة ٢٤٧ وتوابعها) ؛ و « بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية » للأستاذ
بندلي جوزي بجامعة باكو (الجزء الثالث صفحة ٣٣٠ وتوابعها) ؛ و « المصادر التي لا أفعال لها »
للمغفور له الأستاذ علي الجارم بك (الجزء الرابع صفحة ٢٢٥ وتوابعها) ؛ و « المترادف في اللغة
العربية » للشيخ محمد الطاهر شيخ الإسلام في تونس (الجزء الرابع صفحة ٢٤١ وتوابعها) ؛
و « بحث في الطرق التي سلكها العرب عند اشتقاقهم الأفعال من أسماء الأعيان » للأستاذ
عبد الله أمين (الجزء الرابع صفحة ٣٢٨ وتوابعها) .

(٢) أنظر المرسوم الصادر في ١١ جمادى الثانية ١٣٥٧ الموافق ٧ أغسطس ١٩٣٨ .

تلخيص وتنظيم لموضوعات اللغة العربية

ترجع جميع المسائل التي درسناها في اللغة العربية الباقية إلى الموضوعات الأربعة الآتية :

الموضوع الأول

حياة اللغة العربية

ويدخل في ذلك نشأتها ؛ وصراع لهجاتها بعضها مع بعض وتغلب لغة قريش ؛ ومجىء القرآن والأدب الجاهلي بلغة قريش ؛ ونهضة لغة قريش وعوامل هذه النهضة ؛ وأثر القرآن والحديث والإسلام في اللغة العربية ؛ واللهجات العربية بعد تغلب لغة قريش ؛ واحتكاك العربية بأخواتها السامية وغيرها وآثار ذلك ؛ وتفرع العربية إلى لهجات عامية ؛ ولغة الكتابة العربية أو اللغة الفصحى وتطورها وما استقرت عليه في العصر الحاضر ؛ ومشكلة الازدواج بين العامية والفصحى .
وقد عالجتنا هذه المسائل في صفحات ١٠٤ — ١٢٨ ؛ ١٤٢ — ١٧١ .

الموضوع الثاني

عناصر اللغة العربية

وترجع عناصر أية لغة إلى أمرين : الصوت ؛ والدلالة . — وتتكون الدلالة من : معاني المفردات ؛ وقواعد التنظيم (النحو) ؛ وقواعد البنية (الصرف) ؛ وقواعد الأسلوب (البلاغة) . فينقسم هذا الموضوع إذن إلى المسائل الآتية :

(١) الصوت . ويدخل في ذلك طبيعة أصوات اللغة العربية ومخارجها وصفاتها . — (وقد عالجتنا هذه المسائل في السطور ٦٥ — ١٨ من ص ١٢٨ وفي صفحات ١٩١ — ١٩٤) .

(٢) المفردات ومعانيها . ويدخل في ذلك : كثرة المفردات العربية ومترادفاتها ؛

والدخيل؛ والمولد؛ والمشارك؛ والتضاد؛ والنحت؛ والعلاقة بين أصوات الكلمة ومعانيها. — (وقد عالجنا هذه المسائل في السطور الخمسة الأولى من ص ١٢٩ وفي صفحات ١٣٦ - ١٤٢ ؛ ١٩٤ - ٢٠٧ ؛ ٢١٥ - ٢٢٤ ؛ ٢٣٧ - ٢٤٧).

(٣) قواعد التنظيم أو النحو . ويدخل في ذلك الكلام على خواص هذه القواعد ووظائفها وعلى الإعراب واختلاف الآراء بصدده. — (وقد عالجنا هذه المسائل في السطور الأربعة الأخيرة من ص ١٢٨ وفي صفحات ١٢٩ - ١٣٦).

(٤) قواعد البنية أو الصرف . ويدخل في ذلك الكلام على خواص هذه القواعد ووظائفها وعلى اختصاص بعض الأوزان العربية بالدلالة على أمور خاصة . (وقد عالجنا هذه المسائل في السطور الأربعة الأخيرة من ص ١٢٨ وفي السطور الثمانية الأخيرة من صفحة ١٢٩ وفي السطور الأوليين من ص ١٣٠ وفي صفحات ٢٠١ - ٢١٥).

(٥) قواعد الأسلوب أو البلاغة . ويدخل في ذلك الكلام على المجاز والكناية والنقل واستخدام الجمل في غير أبوابها؛ وأساليب اللغة العربية واختلافها باختلاف الموضوعات؛ وتعريب الأساليب. — (وقد عالجنا هذه المسائل في صفحات ٢٢٥ - ٢٣٦ ؛ ٢٤٨ - ٢٥٤).

الموضوع الثالث

كفاية اللغة العربية

وقد عالجنا هذا الموضوع في صفحات ٢٧٦ - ٢٨٢ .

الموضوع الرابع

صيانة اللغة العربية ورسمها وضبط قواعدها وتخليد آثارها وإشاعة استعمالها ويدخل في ذلك الرسم العربي وتاريخه ومراحله وعيوبه ووجوه إصلاحه؛ والتأليف في قواعد اللغة العربية وآدابها وفقهها؛ وامتون اللغة العربية؛ وجمع فواد الأول للغة العربية. — (وقد عالجنا هذه الموضوعات في صفحات ١٧٢ - ١٩١ ؛ ٢٥٤ - ٢٧٦ ؛ ٢٨٢ - ٢٩١).

أهم المراجع^(١)

أولا - أهم المراجع العربية

- ١ - ابن الأثير (المبارك بن محمد بن محمد الجزري) النهاية في غريب الحديث
- ٢ - ابن الجوزي (أبو الفرج) غريب الحديث (وهو أحد مصادر كتاب الغريبين للهروي المذكور برقم ١١٦).
- ٣ - ابن الجوزي (أبو الفرج) لحن العامة.
- ٤ - ابن الخراط (عبد الحق الأشيلي) معجم غريب القرآن والحديث في ٢٥ جزءاً
- ٥ - ابن السكيت (يعقوب الجعفي) كتاب الألفاظ.
- ٦ - ابن جنى (أبو الفتح عثمان) الخصائص.
- ٧ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) المقدمة
- ٨ - ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم) وفيات الأعيان.
- ٩ - ابن دريد (محمد بن الحسن) جمهرة الكلام . طبع في الهند .
- ١٠ - ابن دريد الملاحن (في الكلمات التي تنصرف إلى معنى ولها في اللغة معنى آخر أراد المتكلم).
- ١١ - ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني) العمدة
- ١٢ - ابن سلام (أبو عبد الله محمد بن سلام) طبقات الشعراء .
- ١٣ - ابن سيده (علي بن إسماعيل) المحمص
- ١٤ - ابن سيده (علي بن إسماعيل) المحكم . منه أجزاء بدار الكتب
- ١٥ - ابن سينا (الرئيس أبو علي الحسين) أسباب حدوث الحروف . مطبوع
- ١٦ - ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) العقد الفريد

(١) لم تقتصر في هذا الترتيب على الكتب التي رجعنا إليها ، بل ذكرنا أهم المراجع في موضوعنا وما يتصل به . وقد استعنا في هذا الباب بصدقنا الأستاذ الفاضل محب الدين الخطيب ، واقتبسنا طائفة كبيرة من أهم المراجع الخاصة باللغات العامية من بحث قيم للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف نشره في الجزء الأول من مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية تحت عنوان « اللهجة العربية العامية » . وللإحاطة بجميع ما كتب في هذا الموضوع ينبغي الرجوع إلى هذا البحث .

- ١٧ — ابن فارس (أبو الحسين أحمد) — الصحابي في فقه اللغة
- ١٨ — ابن فارس (أبو الحسين أحمد) — المجمل (معجم لغوي) طبع الجزء الأول منه ؛ ومقاييس اللغة (معجم لغوي كذلك) تنشره دار إحياء الكتب العربية .
- ١٩ — ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) — غريب اللغة . منه نسخة بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٢٣ لغة .
- ٢٠ — ابن قتيبة مشكل القرآن . منه نسخة في مكتبة كوبريلي بالقسطنطينية وأخرى بمكتبة ليدن .
- ٢١ — ابن قتيبة — إصلاح غريب أبي عبيد (المذكور برقم ٢٩)
- ٢٢ — ابن قتيبة — أدب الكاتب
- ٢٣ — ابن كمال باشا — رسالة التعريب
- ٢٤ — ابن كمال باشا — غلطات العوام
- ٢٥ — ابن مطرف الكناني — كتاب القرطين (جمع فيه بين كتابي ابن قتيبة : غريب اللغة ومشكل القرآن) منه نسخة نفيسة بالخرزانة التيمورية رقم ٥٩ لغة
- ٢٦ — ابن منظور (جمال الدين بن مكرم) — لسان العرب
- ٢٧ — ابن هشام (عبد الملك الحميري المعافري) — السيرة النبوية
- ٢٨ — أبو البقاء (الحسيني الكفوي) — الكلبيات
- ٢٩ — أبو عبيد (القاسم بن سلام) — الغريب المصنف . منه نسخة بدار الكتب المصرية رقم ١٢١ لغة
- ٣٠ — أبو عبيدة (معمر بن المثنى) — غريب الحديث والأثر
- ٣١ — أبو عبيدة (معمر بن المثنى) — لحن العامة
- ٣٢ — أحمد تيمور باشا — معجم اللغة العامية (مخطوط بالخرزانة التيمورية) وقد نشر بعض نماذج منه بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، في المجلد السادس .

- ٣٣ - أحمد تيمور باشا الأمثال العامية طبع سنة ١٩٤٩
- ٣٤ - أحمد تيمور باشا الكنايات العامية طبع سنة ١٩٤٩
- ٣٥ - أحمد عيسى (الدكتور) التهذيب في أصول التعريب
- ٣٦ - الأزهرى (محمد بن أحمد بن الأزهر) تهذيب اللغة . منه نسخة
بدار الكتب المصرية رقم ٩ لغة
- ٣٧ - الأسكافى (محمد بن عبد الله) مبادئ اللغة
- ٣٨ - الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) كتاب الأغاني
- ٣٩ - الأصمعي (عبد الملك بن قريب) غريب الحديث (أنظر كذلك
رسائله في طوائف خاصة من الألفاظ والمعاني بصفحة ٢٦١)
- ٤٠ - الألوسى (شهاب الدين الألوسى البغدادي المتوفى ١٨٥٤) كشف
الطيرة عن الغرة (شرح على درة الغواص للحريري المذكور تحت رقم ٦١)
- ٤١ - الأنبارى (أبو بكر محمد القاسم) كتاب الأضداد
- ٤٢ - البدرأوى (حسن علي) عجملة في مرادف العامي والمحرف والدخيل
- ٤٣ - البستاني (بطرس) محيط المحيط
- ٤٤ - البستاني (بطرس) قطر المحيط
- ٤٥ - البستاني (بطرس) دائرة المعارف
- ٤٦ - البستاني (عبد الله) البستان
- ٤٧ - البشبيشى (المتوفى سنة ١٨٢٠هـ) التذييل والتكميل، لما استعمل من اللفظ الدخيل
- ٤٨ - البغدادي (عبد القادر) خزانة الأدب
- ٤٩ - التبريزى (محيى بن علي) تهذيب كتاب الألفاظ لابن السكيت (المذكور برقم ٥)
- ٥٠ - التهانوى (محمد علي بن علي) كشف اصطلاحات الفنون
- ٥١ - التياني (تمام بن غالب) الموعب (معجم لغوى)
- ٥٢ - الثعالبي (أبو منصور عبد الله بن محمد) فقه اللغة

- ٥٣ — الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) البيان والتبيين
٥٤ — الجرجاني (علي بن محمد) التعريفات
٥٥ — الجزائري (الشيخ طاهر) التقريب إلى أصول التعريب
٥٦ — الجزائري شرح مقدمة الكافي في اللغة
٥٧ — الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد) المعرب من الكلام
الأعجمي طبعته أخيراً « دار الكتب المصرية » في مجلد يقع في ٤٥٦ صفحة
من القطع الكبير مع بعض شروح وتعليقات للأستاذ أحمد محمد شاكر
٥٨ — الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد) التكملة فيما تلحن به العامة
٥٩ — الجوهرى (إسماعيل بن حماد) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)
٦٠ — الحربى (إبراهيم بن إسحاق) غريب الحديث
٦١ — الحريرى (القاسم بن علي) درة الغواص في أوهام الخواص
٦٢ — الحلبي (محمد التهامي) الطراز المذهب في الدخيل المعرب
٦٣ — الخفاجى (شهاب الدين أحمد بن محمد) شفاء العليل فيما ورد في
كلام العرب من الدخيل
٦٤ — الخليل بن أحمد العين
٦٥ — الدسوقي (محمد علي) تهذيب الألفاظ العامية
٦٦ — الدمشقى (محمد الأمين المحبى) قصد السبيل ، فيما في العربية من الدخيل
٦٧ — الدينورى (أبو حنيفة أحمد بن داود) لحن العامة
٦٨ — الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر) مختار الصحاح
٦٩ — الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد بن الفضل) مفردات غريب اللغة
٧٠ — الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن) مختصر العين
٧١ — الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن) لحن العامة
٧٢ — الزمخشري (أبو القاسم محمود) أساس البلاغة
٧٣ — الزمخشري الفائق في غريب اللغة
٧٤ — السجستاني (سهل بن محمد) غريب القرآن

- ٧٥ — السجستاني (سهل بن محمد) لحن العامة
٧٦ — السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) المزهر في علوم اللغة وأنواعها
٧٧ — الشدياق (أحمد فارس) سر الليال في القلب والإبدال
٧٨ — الشدياق (أحمد فارس) الجاسوس على القاموس
٧٩ — الشرتوني (سعيد) أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد
٨٠ — الشيباني (إسحاق بن مراد) كتاب الجيم (معجم لغوي)
٨١ — صاحب بن عباد المحيط (معجم لغوي) في دار الكتب المصرية
المصرية رقم ٤٢ لغة الجزء الثالث منه
٨٢ — الصباغ (ميخائيل الصباغ السوري المتوفى سنة ١٨١٦) الرسالة التامة ،
في كلام العامة
٨٣ — الصباغ (ميخائيل الصباغ السوري المتوفى سنة ١٨١٦) اللغة العربية
العامة في مصر والشام
٨٤ — الصغاني (الحسن بن محمد) العباب (معجم لغوي) الجزء الأول
منه بدار الكتب المصرية رقم ١٤١ لغة
٨٥ — الصغاني التكملة والذيل والصلة (تكملة الصحاح)
٨٦ — الصغاني مجمع البحرين منه نسخة بدار الكتب المصرية
٨٧ — الطنطاوي (محمد بن عياد المتوفى سنة ١٨٧١) رسائل في العربية العامية
٨٨ — العسكري (أبو هلال حسن بن عبد الله) المعجم في بقية الأشياء
٨٩ — العسكري (أبو هلال حسن بن عبد الله) كتاب الصناعتين
٩٠ — العسكري (أبو هلال حسن بن عبد الله) لحن الخاصة
٩١ — الفارابي (إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم) الجامع لديوان الأدب
بدار الكتب المصرية رقم ٢٥ لغة
٩٢ — الفتني (محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي) مجمع بحار الأنوار مطبوع بالهند

- ٩٣ — الفغالى (ميخائيل) لهجة أهل كفر عبيدا (قرية لبنانية) طبع
باريس سنة ١٩١٩
- ٩٤ — الفغالى (ميخائيل) درس في سريانية لبنان وعربيته العامية، طبع
باريس سنة ١٩١٨
- ٩٥ — الفيروزابادى (محمد بن يعقوب) الروض المؤلف فيما له اسمان إلى ألوف
- ٩٦ — الفيروزابادى القاموس المحيط
- ٩٧ — الفيومى (أحمد بن محمد بن علي المقرئ) المصباح المنير
- ٩٨ — القالى (أبو علي) الأملى وذيل الأملى والنوادر
- ٩٩ — القالى البارع فى اللغة
- ١٠٠ — القزاز (محمد بن جعفر التميمى) الجامع (معجم لغوى)
- ١٠١ — الكرملى (انستاس) مجلة لغة العرب
- ١٠٢ — الكسائى (أبو الحسن حمزة) لحن العامة
- ١٠٣ — الكلبي (محمد بن جزى) الفوائد العامة، فى لحن العامة
- ١٠٤ — اللخمى (ابن هشام محمد بن أحمد) لحن العامة
- ١٠٥ — المازنى (أبو عثمان بكر بن محمد) لحن العامة
- ١٠٦ — المعلوف (عيسى اسكندر) اللغة العربية العامية وآدابها (نشر فى
عدة أجزاء من جريدة المنار البيروتية سنة ١٨٩٨ م)
- ١٠٧ — المغربى (الشيخ عبد القادر المغربى) الاشتقاق والتعريب
- ١٠٨ — المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) كتاب الكامل فى اللغة والأدب
- ١٠٩ — المبرد غريب الحديث
- ١١٠ — المبرد ما اتفق لفظه واختلف معناه من كتاب الله عز وجل
- ١١١ — المدينى (محمد بن أبى بكر الأصفهانى) استدرارك مافات الهروى فى
الغريبين (المذكور تحت رقم ١١٦)
- ١١٢ — المطرزى المغرب (معجم لغوى) طبع فى الهند

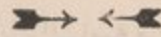
- ١١٣ — النجفي مجمع البحرين ومطلع النيرين . معجم لغوى مطبوع
١١٤ — النضر بن شميل غريب الحديث
١١٥ — النووي (محيي الدين) تهذيب الأسماء واللغات . مطبوع
١١٦ — الهروي (أبو عبيد أحمد بن محمد) كتاب الغريبين
١١٧ — الهمداني (عبد الرحمن بن عيسى) الألفاظ الكتابية
١١٨ — اليازجي (إبراهيم) نبعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد
١١٩ — اليازجي مجلة الضياء
١٢٠ — اليازجي (الشيخ خليل المتوفى سنة ١٨٨٩) الصحيح ، بين
العامى والفصيح
١٢١ — الياس بقطر القبلى معجم فى اللغات العامية لمصر والشام والمغرب وتونس
(طبع فى مصر سنة ١٨٧٢)
١٢٢ — ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى) غريب الحديث
١٢٣ — ثعلب الفصيح
١٢٤ — جرجى زيدان الفلسفة اللغوية
١٢٥ — جرجى زيدان تاريخ اللغة العربية
١٢٦ — جرجى زيدان تاريخ آداب اللغة العربية
١٢٧ — حسن توفيق (المتوفى سنة ١٨٩٩) أصول الكلمات العامية
١٢٨ — حسين فتوح ومحمد على عبد الرحمن الدرر السنينة ، فى الألفاظ
العامية وما يرادفها من الفصحى
١٢٩ — حفى ناصف تاريخ الأدب
١٣٠ — حفى ناصف مميزات لغات العرب وتخرىج اللغات العامية عليها
١٣١ — حمزة فتح الله العرب من ألفاظ القرآن الكريم
١٣٢ — حمزة فتح الله الترجمة والتعريب (خطاب ألقاه فى المجمع العلمى
بقينا سنة ١٨٨٦)

- ١٣٣ - حمزة فتح الله المواهب الفتحية
١٣٤ - خسرو زادة (مصطفى بن محمد) غلطات العوام
١٣٥ - طه حسين الأدب الجاهلي
١٣٦ - علي العناني ومحمد عطية الإبراشي وليون محرز كتاب الأساس في
الأم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها
١٣٧ - علي العناني ومحمد عطية الإبراشي وليون محرز كتاب المفصل في
قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية
١٣٨ - علي عبد الواحد وافي علم اللغة
١٣٩ - قطرب (محمد بن المستنير) غريب الحديث
١٤٠ - لويس شيخو (الأب) حقوق اللغة العامية بإزاء اللغة الفصيحة
١٤١ - مجلة الزهراء منشأها الأستاذ محب الدين الخطيب
١٤٢ - مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق
١٤٣ - مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية
١٤٤ - محب الدين الخطيب اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب
١٤٥ - محب الدين الخطيب الحديقة
١٤٦ - مرتضى الزبيدي تاج العروس في شرح القاموس
١٤٧ - مرمجى الدومنيكى (الأب) هل العربية منطقية؟
١٤٨ - معلوف (الأب لويس) المنجد (معجم لغوى)
١٤٩ - مؤرج السلدوسى غريب القرآن
١٥٠ - نشوان الحميرى شمس العلوم (معجم لغوى وبحوث في اللغة والأدب)
الجزء الأول منه بدار الكتب المصرية رقم ٣٠ لغة ومنه نسخة في طنطا
١٥١ - همام (جرجس الشويرى) معجم الطالب
١٥٢ - ولفنسن . (الدكتور اسرائيل) تاريخ اللغات السامية
١٥٣ - ياقوت معجم الأدباء

ثانياً — أهم المراجع الأفرنجية

1. Bauer—Leander : Historische Gram. d'Hebräischen Sprache.
2. Brockelmann : Grundriss der verglichenen Grammatik der Semitischen Sprachen.
3. Brockelmann : Précis de Linguistique Sémitique «trad. fr.»
4. Chabot : Les Langues Araméennes.
5. Clodd : Story of the Alphabet « New york »
6. Cooke : North semitic inscriptions.
7. Cowley : The Origin of the Semitic alphabet (ext. the Journal of egyptian archaeology) .
8. Darmesteter : La Vie des Mots.
9. Dauzat : La Philosophie du Langage.
10. Dauzat : La Vie du Langage.
11. Delitzsch : Assyrische Grammatik.
12. De Sacy : Gammaire Arabe.
13. Dillmann : Grammatik der athiopischen Sprache.
14. Dussaud : Les Arabes en Syrie Avant l'Islam.
15. Encyclopédie de l'Islam.
16. Gardiner (Allan H.) The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet.
17. Gies. Untersuchungen über die addad auf grund von Stellen in Allarabischen Dichtern.
18. Guidi : Della Sede dei popoli sem.
19. Hermann — Paul : Etudes sur les changements phonétiques
20. Jahn : Die Mehri Sprache.
21. King : Assyrian Language.
22. Larousse du 20ème Siècle.
23. Littman : Nabatean Inscriptions.
24. Littman : Thamudenische Inschriften.
25. Littman : Semitic Inscriptions.
26. Littman : Safa Inschriften.
27. Meillet : Comment les mots changent de sens (dans l'Année Sociologique. T—IX, P. P. 3-33).
82. Meillet : Linguistique Historique et Linguistique générale

29. Meillet et Cohen (groupe de linguistes sous la direction de Meillet et Cohen) : Les Langues du Monde.
30. Noldek : Die Semitischen Sprachen.
31. Praetorius : Die Amharisch Sprache.
32. Redslop . Die Arabischen Wörter mit en tgegengesetzten Bedeutungen.
33. Renan . Histoire générale des Langues Sémitiques.
34. Renan : L'Origine du Langage.
35. Rousselot : Les Modifications Phonétiques du Langage.
36. Sottas (Henri) Une Nouvelle théorie sur L'Origine égyptienne de l'alphabet sémitique.
37. Vannier . L'Esprit et les Mœurs d'une nation d'après sa Langue.
38. Wright. Lectures on the comparative grammar of the Semitic Languages.
39. Zimmern : Vergleichend Grammatik der Semitischen.



(استدراك)

- في السطر الثاني من التعليق الأول بصفحة ٢٠ اقرأ : انظر الفقرة ٢٣
- في السطر الحادي عشر من صفحة ١٠٢ اقرأ : في الفقرة التاسعة عشرة
- في السطر العاشر من صفحة ١٧٤ . اقرأ : المشدد والمخفف
- في السطر الثالث عشر من صفحة ١٨٩ اقرأ : تحصران بينهما الجملة المعترضة
فيستبدل بها القوسان
- في السطر الثالث عشر من صفحة ٢٧٦ اقرأ : الذي تحولوا إليه
- في السطر السادس قبل الأخير من صفحة ٢٧٩ اقرأ : ولقد قيل إنها لغة حساب
القبر

الفهرس

- (الموضوع) (الصفحة)
- مقدمة الطبعة الأولى ٥
- تمهيد في الشعوب السامية ولغاتها ٦ - ٢٤
- (١) الشعوب السامية ٦ ، ٧
- (٢) اللغات السامية ٧ ، ٨
- (٣) دراسة اللغات السامية ٨ ، ٩
- (٤) انحدار الأم الناطقة باللغات السامية من أصل واحد ٩ ، ١٠
- (٥) الموطن الأول للشعب السامي ١٠ - ١٤
- (٦) أقدم لغة سامية ١٤ - ١٦
- (٧) خصائص اللغات السامية وصفاتها المشتركة ١٦ - ٢١
- (٨) وجوه الخلاف بين اللغات السامية ٢١ ، ٢٢
- (٩) صلة اللغات السامية باللغات الحامية ٢٢ - ٢٤
- الفصل الأول: اللغات الأكدية ٢٥ - ٣٣
- (١) نشأتها وانتشارها ٢٥ - ٢٨
- (٢) خصائصها ومدى تأثيرها بلغات السكان الأصليين ٢٨ - ٣٠
- (٣) رسم اللغات الأكدية ٣٠ ، ٣١
- (٤) اللهجات الأكدية ٣١ ، ٣٢
- (٥) مراحل اللغة الأكدية ٣٢ ، ٣٣

(الصفحة) (الموضوع) (تسلسل)
الفصل الثاني: اللغات الكنعانية ٣٥ — ٥٣

- ٢ (١) الشعوب الكنعانية ٣٥
- ٣٨ — ٣٥ (٢) اختراع الكنعانيين الرسم السامي ٣٨
- ٤٠ ، ٣٩ (٣) اللغة الكنعانية الأولى وما تفرع منها ٤٠ ، ٣٩
- ٤٢ — ٤٠ (٤) اللغة الفينيقية ولهجة البونية ٤٢ — ٤٠
- ٤١ ، ٤٠ (٥) اللغة الفينيقية الأصلية ٤١ ، ٤٠
- ٤٢ ، ٤١ (٦) اللهجة البونية ٤٢ ، ٤١
- ٤٣ ، ٤٢ (٧) نهاية اللغة الفينيقية ولهجة البونية ٤٣ ، ٤٢
- ٥٣ — ٤٣ (٨) اللغة العبرية ٥٣ — ٤٣
- ٤٥ — ٤٣ (٩) أهميتها والمتكلمون بها وصلتها باللغات الكنعانية الأخرى ٤٥ — ٤٣
- ٤٧ — ٤٥ (١٠) المراجع التي وصلت إلينا اللغة العبرية عن طريقها ٤٧ — ٤٥
- ٥٢ — ٤٧ (١١) مراحل اللغة العبرية ٥٢ — ٤٧
- ٥٣ ، ٥٢ (١٢) رسم اللغة العبرية ٥٣ ، ٥٢

الفصل الثالث: اللغات الآرامية ٥٤ — ٦٩

- ٥٦ — ٥٤ (١) نشأة الآرامية وانتشارها ٥٦ — ٥٤
- ٦٠ — ٥٧ (٢) اللهجات الآرامية ٦٠ — ٥٧
- ٦٧ — ٦٠ (٣) الآثار التي وصلت إلينا عن الآرامية ٦٧ — ٦٠
- ٦٩ ، ٦٧ (٤) نهاية الآرامية ٦٩ ، ٦٧

الفصل الرابع: اللغات اليمنية القديمة ٧٠ — ٧٤

- ٧٣ — ٧٠ (١) نشأتها ومنزلتها من الفصيلة السامية وصلتها باللغة العربية ٧٣ — ٧٠

- (الصفحة) (الموضوع)
- (٢) أدوارها وأقسامها ٧٦ — ٧٣
- (٣) الرسم اليميني ٧٧ ، ٧٦
- (٤) نهاية اللغات اليمينية القديمة ٧٧ — ٨٤

الفصل الخامس: اللغات الحبشية السامية . ٨٥ — ٩٣

- (١) نشأتها وخواصها ٨٥ ، ٨٦
- (٢) الرسم الحبشي ٨٦ ، ٨٧
- (٣) أقسام اللغات الحبشية السامية وخصائص كل قسم وأهم آثاره ٨٨ — ٩٣

الفصل السادس: اللغة العربية . ٩٤ — ٢٩١

- (١) شعبتها ومنزلتها من اللغات السامية ٩٤
- (٢) نشأتها وأقسامها ٩٥ ، ٩٦
- (٣) العربية البائدة أو عربية النقوش ٩٦ — ١٠٤
- (٤) العربية الباقية ١٠٤ ، ١٠٥
- (٥) صراع لهجاتها بعضها مع بعض وتغلب لهجة قريش . ١٠٥ — ١٠٩
- (٦) القرآن والأدب الجاهلي ومجيئها بلغة قريش ١٠٩ — ١١١
- (٧) نهضة لغة قريش وعوامل هذه النهضة ١١١ — ١١٥
- (٨) أثر القرآن والحديث والإسلام في اللغة العربية ١١٥ — ١١٨
- (٩) اللهجات العربية بعد تغلب لغة قريش ١١٩ — ١٢٤
- (١٠) احتكاك العربية بأخواتها السامية وغيرها وصراعها معها وآثار ذلك ١٢٤ — ١٢٨
- (١١) خصائص اللغة العربية ١٢٨ ، ١٢٩

- (الموضوع) (الصفحة)
- (١٢) قواعد اللغة العربية : الإعراب واختلاف . ١٢٩ — ١٣٦
الآراء بصدده
- (١٣) مفردات اللغة العربية : كثرتها ومترادفاتها . ١٣٦ — ١٤٢
واختلاف الآراء بصددها
- (١٤) اللهجات العامية الحديثة : عوامل تطورها . ١٤٢ — ١٥٨
وصفاتها المشتركة
- (١٥) طوائف اللهجات العامية ومبلغ بعد كل منها . ١٥٨ — ١٦١
عن الفصحى
- (١٦) لغة الكتابة العربية في العصر الحاضر . ١٦١ ، ١٦٢
- (١٧) بين العامية والفصحى ١٦٢ — ١٧٠
- (١٨) اللهجة الممالطية ١٧٠ ، ١٧١
- (١٩) الرسم العربي : تاريخه ومراحله ١٧٢ — ١٧٨
- (٢٠) عيوب الرسم العربي ووجوه إصلاحه ١٧٨ — ١٩١
- (٢١) مخارج الأصوات العربية وصفاتها ١٩١ — ١٩٤
- (٢٢) العلاقة بين أصوات الكلمات العربية ومعانيها ؛
محاكاة الأصوات ؛ الاشتقاق وأنواعه ١٩٤ — ٢٠٥
- (٢٣) النحت في اللغة العربية ٢٠٥ — ٢٠٧
- (٢٤) اختصاص بعض الأوزان العربية بالدلالة على
أمور خاصة ٢٠٧ — ٢١٥
- (٢٥) الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ٢١٥ — ٢١٨
- (٢٦) التضاد في اللغة العربية ٢١٨ — ٢٢٤

- (الصفحة) (الموضوع) (تصفحة)
- (٢٧) المجاز والكناية والنقل واستخدام الجمل في غير أبوابها في اللغة العربية ٢٢٥ — ٢٣٣
- (٢٨) أساليب اللغة العربية واختلافها باختلاف الموضوعات ، الخيال في العربية ومادته ٢٣٣ — ٢٣٦
- (٢٩) الدخيل — المغرب والأعجمي والمولد ٢٣٧ — ٢٤٦
- (٣٠) المولد في اللغة العربية . ٢٤٦ ، ٢٤٧
- (٣١) تعريب الأساليب ٢٤٨ — ٢٥٤
- (٣٢) التأليف في قواعد اللغة العربية وآدابها وفقهها ٢٥٤ — ٢٦١
- (٣٣) متون اللغة العربية ٢٦١ — ٢٧٦
- (٣٤) كفاية اللغة العربية . ٢٧٦ — ٢٨٢
- (٣٥) مجمع فؤاد الأول للغة العربية ٢٨٢ — ٢٩١

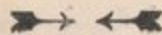
تلخيص وتنظيم لموضوعات اللغة العربية ٢٩٢ ، ٢٩٣

أهم المراجع : ٢٩٤ — ٣٠٣

- (أولاً) أهم المراجع العربية ٢٩٤ — ٣٠١
- (ثانياً) أهم المراجع الإفرنجية ٣٠٢ ، ٣٠٣

استدراك

٣٠٣



AUC - LIBRARY



DATE DUE

[blacked out]	
[blacked out]	
2 MAY 1990	
14 MAY 1990	
11 JUN 1990	
4 JUN 1990	

PJ
3016
W3
1950

- MAR 1972

